جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

إسهامات علماء الجزائر في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى ما بين القرنين 10-13هـ/16-19م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالب: عزالدين الهاشمي

إشراف الأستاذ: د/ توفيق دحماني

السنة الجامعية: 2015-2016م

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

إسهامات علماء الجزائر في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى ما بين القرنين 10-13هـ/16-19م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

أعضاء لجنة المناقشة

د/ عبد الرحمن أولاد سيدي الشيخ	رئيسا
د/ توفيق دحماني	مقررا
د/محمد بلقاسم	عضوا
د/ أحمد بن جابو	عضوا

إعداد الطالب: عزالدين الهاشمي

إشراف الأستاذ: د/ توفيق دحماني

السنة الجامعية: 2015-2016م

إهداء

إلى

أمي

و

أبي

أطال الله في عمرهما

الهاشمي عزالدين

شكر وعرفان

الحمد لله العلي الكبير الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع ، فله كل الشكر و الحمد على توفيقه و عونه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف على هذا العمل ، الأستاذ المحترم و القدير .الدكتور * توفيق دحماني * ، و ذلك لصبره و جده وكده و حرصه على مسايرة مختلف أطوار هذا العمل ، أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يمنحه الصحة و العافية.

كما أشكر كل الأساتذة الذين تعلمت على يديهم و لو حرفا واحدا، إلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2-أبو القاسم سعد الله.

كما أشكر كل من ساهم في هذا البحث و لو بكلمة واحدة.

كما أشكر كل عمال و عاملات المكتبات على تعاونهم و تسهيلهم للمهمة،

الهاشمي عزالدين

قائمة المختصرات

بالعربية:

- مج .....مجلد
- ج.....جزء
- ص.....صفحة
- د ت ..... دون تاريخ
- د م.....دون مكان الطبع

بالأجنبية:

-R .A …….Revue Africain.
-T…..Tome
-P……...Page
-P P……..Plusieurs Pages
- IMP…….....Imprimerie
- pub……Publié

المقدمة

عرفت فترة القرون الحديثة من تاريخ بلاد المغرب الكبير العديد من الأزمات في العلاقات السياسية بين أقطاره، وخاصة بين الجزائر والمغرب الأقصى، وذلك لأسباب عديدة، منها ما يتعلق بمسألة الحدود، ومنها ما يتعلق بالأطماع الشخصية لحكام كلا البلدين رغبة منهم في الإنفراد بالزعامة وتوحيد بلاد المغرب تحت سلطتهم، غير أن التدهور في العلاقات السياسية لم يكن له تأثير على العلاقات الثقافية، حيث كان هناك تواصل ثقافي كبير بين شعوب البلدين ولاسيما طبقة العلماء منهم. وفي هذا الإطار يبدوا أن العامل الأساسي في الصراع بين حكام البلدين تمثل في الجانب الاقتصادي والرغبة في التحكم في الجزء الأكبر من الأراضي للاستفادة من المداخيل الناتجة عنها من الزكاة والعشور وغيرها من الموارد التي تحتويها تلك الأراضي.

تحكمت جملة من الظروف والعوامل في التواصل الثقافي بين كل من الجزائر والمغرب الأقصى، من خلال المستجدات التاريخية التي طرأت على البلدين، فقد دخلت الجزائر مطلع القرن 10هـ/16م طورا جديدا في تاريخها من خلال انضمامها إلى الدولة العثمانية، في حين خلص أمر الحكم في المغرب الأقصى إلى السعديين

أثرت هذه التطورات السياسية بشكل بارز على الحركة الثقافية برسم وجه آخر يتعلق بالتواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، من خلال عملية الهجرة و الانتقال التي ميزت علماء البلدين.

عرف المغرب الأقصى توافد أعداد كبيرة من علماء الجزائر على مراكزه الثقافية على غرار مدينتي فاس ومراكش خلال القرن 10هـ/16م، لعدة أسباب، منها ما تعلق بالرغبة في طلب العلم، ومنها ما تعلق بمحاولة العلماء الابتعاد عن الفتن والمضايقات التي تعرضوا لها من قبل السلطة الحاكمة، وكذلك البحث عن مكان آمن يتمكن فيه هؤلاء العلماء من مواصلة نشاطهم العلمي. كما شهدت القرون التالية أيضا توافدا لعلماء الجزائر على المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية، إلا أنه لم يكن بالقدر الذي شهده القرن 10هـ/16م.

كما عرفت المراكز الثقافية في المغرب الأقصى تواجدا معتبرا لعلماء الجزائر خلال الفترة الحديثة، حيث استقروا بها وتبوؤوا مكانة مهمة بين علمائها و خاصة في كنف حكام الدولة السعدية، كما تقلد علماء الجزائر العديد من المناصب والوظائف الهامة، من خلال ما تميزوا به من مواصفات علمية وما امتلكوه من مؤهلات كبيرة في العديد من مجالات العلم والمعرفة، وهو ما ساعدهم على الاندماج في الوسط الثقافي المغربي، وبالتالي مساهمتهم القيمة في إثراء الحياة الفكرية في المغرب الأقصى.

أسباب اختيار الموضوع:

استقر رأيي على الخوض في موضوع " **إسهامات علماء الجزائر في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى بين القرنين " 10- 13الهجريين16-19 الميلاديين** "، وذلك لعدة أسباب منها:

- أهميته الكبيرة خاصة في إطار العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة، نظرا للتطورات الكبيرة التي ميزت البلدين.
- إبراز الدور الكبير لعلماء الفترة في توطيد تلك العلاقات دون تدخل من قبل الحكام الذين كانت علاقاتهم متوترة.
- التأكيد على الطابع المشترك والمميز لثقافة البلدين، وتشابه الحركة الفكرية في كليها من خلال مساهمة العلماء في نشر مختلف فنون العلم والمعرفة.
- التعريف بالعلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى، وتسليط الضوء على أسباب هجرتهم.
- الرغبة الكبيرة في إظهار مدى مساهمة علماء الجزائر في إثراء الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى أثناء تواجدهم بالمنطقة خلال الفترة الحديثة.
- التعرف على المآثر والمخلفات العلمية والفكرية لهؤلاء العلماء، خاصة وأنهم تقلدوا العديد من الوظائف الهامة على غرار التدريس والخطابة والقضاء والإفتاء.

الإشكالية:

كانت عملية هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى في الفترة الممتدة بين القرنين 10و13الهجريين 16و 19الميلاديين سهلة بحكم التقارب الجغرافي بين البلدين .

ولا شك بأن تلك الهجرة كانت تتحكم فيها العديد من الظروف الداخلية والخارجية، فيذكر البعض أن السياسة الداخلية التي انتهجتها الإدارة العثمانية في الجزائر أدت إلى تراجع النشاط الثقافي، وانتشرت الاضطرابات مما أدى إلى شعور العلماء بالضيق والإحساس بانعدام الأمن فلجؤوا إلى الهجرة نحو مدن المغرب الأقصى بحثا طلب العلم وكذلك عن الأمن والاستقرار.

ومن الأسباب الأخرى يذكر البعض افتقار الجزائر إلى مركز ثقافي وعلمي كبير، كان بإمكانه أن يساهم في تطوير الحياة الفكرية ويستقطب العلماء وطلبة العلم على غرار المركزين المتواجدين في كل من تونس والمغرب (القيروان والقرويين)، دفع بالعلماء وطلبة العلم في الجزائر إلى الهجرة نحو هذه المراكز، وخاصة إلى المغرب الأقصى الذي عرفت مراكزه الثقافية نشاطا كبيرا بسبب اهتمام الملوك السعديين ومن بعدهم العلويين بالعلم والعلماء وتشجيعهم للنشاط الفكري والعلمي بمختلف مجالاته، إذ تبوأ فيها علماء الجزائر مكانة هامة. ولم يقتصر وجود علماء الجزائر هناك على طلب العلم والاحتكاك بنظرائهم من المغرب والاستفادة منهم، وإنما تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك، فكان لهم دور كبير في إثراء النشاط الثقافي ومساهمة كبيرة في الإنتاج الفكري من خلال المناصب والوظائف الهامة التي تقلدوها في شتى الميادين.

وعلى هذا الأساس نطرح العديد من التساؤلات :

- ما هي أسباب ودوافع هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى خلال تلك الفترة؟.
- وهل افتقار الجزائر إلى مركز ثقافي وعلمي كبير هو السبب في ذلك؟.
- وهل لنظام الحكم العثماني في الجزائر دور في هجرة العلماء الجزائريين نحو المغرب الأقصى؟.
- ما هو موقف حكام المغرب الأقصى من الوافدين عليهم من علماء الجزائر؟ وكيف تم التعامل معهم؟.
- كيف كانت مكانة علماء الجزائر في المغرب الأقصى ؟ وبماذا امتازوا؟

– ما هي أهم الأدوار التي لعبها علماء الجزائر بالمغرب الأقصى؟ وفيم تمثلت نشاطاتهم؟.

– ما هي مآثر علماء الجزائر ومخلفاهم في المغرب الأقصى في تلك الفترة؟.

الإطار الزماني والجغرافي لموضوع الدراسة:

تركزت هذه الدراسة على الفترة الزمنية الممتدة من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م، أو ما يعرف بالفترة الحديثة، وكلمة الحداثة في هذا المجال تدل على مختلف التغيرات والتطورات التي مست مختلف الجوانب، وبما أن الدراسة تخص منطقة بلاد المغرب وبالخصوص كلا من الجزائر والمغرب الأقصى، فتسمية المغرب الحديث أطلقت على المنطقة تزامنا والتطورات التي شهدتها الدول الأوروبية خلال تلك الفترة، وذلك من خلال التطورات العلمية والسياسية والحضارية التي شهدتها أوروبا وفي مختلف المجالات، غير أن هذه الحداثة في بلاد المغرب لا تعكس الواقع الحقيقي الذي ميز المنطقة، باعتبار أن بلاد المغرب شهدت خلال تلك الفترة تراجعا كبيرا في العديد من المجالات، عكس ما كانت علية في الفترات السابقة، إذ أن المنطقة لم تشهد ذلك التطور الحضاري الكبير الذي عرفته خلال القرون السابقة، وبالخصوص خلال فترة الحكم العباسي وفترة الموحدين، حيث ازدهرت العلوم والفنون أيما ازدهار، وبلغت الحضارة العربية الإسلامية في تلك الفترة مبلغا كبيرا، امتدت آثارها إلى مختلف بقاع العالم.

أما الإطار الجغرافي الذي تختص به هذه الدراسة فتشمل كلا من الجزائر والمغرب الأقصى، وتهتم هذه الدراسة بالجوانب الثقافية والعلمية لكلا البلدين، وخاصة ما يتعلق منها بحركة العلماء والمثقفين، حيث شهدت تلك الفترة حركة واسعة لعلماء البلدين من خلال انتقالهم بين مختلف المراكز الثقافية والحواضر العلمية للاستفادة منها ومن علمائها، والإفادة من خلال التدريس بها ونشر مختلف أنواع العلوم. غير أن ما ميز هذا الجانب من نشاط العلماء وانتقالهم من قطر إلى آخر النظرة الواسعة لأولئك العلماء، إذ كانت تلك الحواضر العلمية والمراكز الثقافية تمثل ملتقى مختلف العلماء كونها مركز إشعاع إسلامي، وطالما لم تكن فكرة القطرية والحدود السياسية قد ظهرت الأمر الذي لم يكن حاجزا أما العلماء للانتقال بين مختلف الحواضر التي تنتشر في كل أرجاء البلاد الإسلامية، حيث كان علماء

البلدين يتنقلون بكل حرية ودون عوائق وحواجز رغم الصراع السياسي الذي ميز علاقات البلدين خلال الفترة الحديثة. كما لم يكن للحكام أي سلطة على حركة العلماء وتنقلهم من بلد إلى آخر.

خطة البحث:

تم تقسيم هذا البحث من خلال المادة العلمية التي تتناثر بين صفحات المصادر والمراجع، إلى أربعة فصول مهيكلة على النحو التالي:

مدخل عام وتناولت فيه الأوضاع الثقافية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى قبيل القرن 10هـ/16م، والعوامل المتحكمة فيها، وتبيان تأثيرها أو تأثرها بالفترة التي تلتها، من خلال إبراز أهم الجوانب التي ميزت النشاط الثقافي في كلا البلدين، خاصة في فترة الحكم الزياني في الجزائر والمريني والوطاسي في المغرب الأقصى.

الفصل الأول تحت عنوان التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة (القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م)، تناولنا فيه مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين ودور العلماء في توطيد العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى، كما تم التطرق فيه إلى أهم مراكز التواصل الثقافي بين البلدين ودورها في بعث النشاط العلمي والفكري في المنطقة، إضافة إلى الحديث عن العوامل المتحكمة في التواصل الثقافي بين البلدين سواء كانت تاريخية أو سياسية و ثقافية ودينية.

الفصل الثاني تحت عنوان هجرة علماء الجزائر إلى المغرب الأقصى، تم التطرق فيه إلى أسباب هجرة العلماء الجزائريين إلى المعرب الأقصى، وركزنا فيه بصفة خاصة على الأسباب السياسية والثقافية، كما تناولنا في هذا الفصل أيضا المكانة العلمية للعلماء الجزائريين في المغرب الأقصى، وأبرزنا موقف سلاطين المغرب الأقصى منهم ، كما ترجمنا فيه لنماذج من العلماء الجزائريين المتواجدين بالمغرب الأقصى من كل قرن من الفترة التي نحن بصدد دراستها.

أما الفصل الثالث فهو بعنوان النشاط الفكري لعلماء الجزائر بالمغرب الأقصى، تم التطرق فيه إلى أهم مجالات النشاط الفكري للعلماء وإبراز مساهمتهم في الحركة الفكرية والعلمية بالمغرب الأقصى، ودورهم الكبير في نشر العلم بمختلف فنونه في المنطقة، كما

تناولنا فيه المآثر والمخلفات العلمية والفكرية التي خلفها علماء الجزائر خلال فترة تواجدهم بالمغرب الأقصى، وأعطيا نماذج من الإنتاج الفكري والعلمي لبعض العلماء الجزائريين بالمغرب خلال الفترة موضوع الدراسة.

كما تناولنا في هذا الفصل جانبا من المواقف التي اتخذها العلماء الجزائريون في المغرب الأقصى تجاه بعض الأحداث السياسية بحكم قيمتهم العلمية الكبيرة والمكانة الهامة التي تبوئوها بين علماء المغرب في عصرهم، والمكانة المرموقة التي حضوا بها لدى الحكام والسلاطين، وذلك من خلال إبراز بعض المواقف الهامة لبعض العلماء تجاه الأحداث السياسية التي شهدها المغرب خلال الفترة الحديثة.

أنهينا هذا البحث بخاتمة تم من خلالها التوصل إلى بعض النتائج، التي تخص حركة العلماء. لأن الموضوع لا يزال بحاجة إلى دراسة معمقة حتى تتضح معالمه خاصة وأن الموضوع لم يلق الاهتمام اللازم خاصة من الدارسين والباحثين في المغرب أو في الجزائر، شأنه شأن الجالية الأندلسية الوافدة إلى المغرب الأقصى والتي خصصت لها دراسات كثيرة ومعمقة خاصة في الميدان الثقافي، في حين لم تستوف العناصر الجزائرية الوافدة إلى المغرب خاصة منها فئة العلماء حقها من الدراسة.

المنهج المعتمد في الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، تحليلا ومقارنة، وذلك من خلال البحث في المعطيات التاريخية التي تخص تلك الفترة، والخوض في أسباب هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى، وتحليل الظروف والأوضاع التي ميزت حركة العلماء وتحكمت في تنقلاتهم ونشاطاتهم، وكذلك المقارنة بين الوضعية الثقافية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى، واستخلاص العوامل التي أثرت فيها، والتعرف على عوامل جذب مدن المغرب الأقصى لأعداد كبيرة من العلماء الجزائريين، وإبراز النتائج المترتبة عن حركة العلماء الجزائريين وهجرتهم إلى المغرب الأقصى.

ولتحقيق المبتغى من هذا البحث وفق المنهج المتبع كان لزاما البحث عن المصادر التاريخية التي اختصت بها هذه الفترة وخاصة تلك المتعلقة بكتب السير والتراجم، والتي تعتبر المصدر الأساسي في التعرف على نشاط العلماء وتنقلاتهم من منطقة إلى أخرى،

إضافة إلى كتب الرحلات التي تُفصح لنا عن مختلف النشاطات الثقافية والعلمية في مختلف المدن والحواضر في كلا البلدين.

أهداف الدراسة:

حاولت تجاوز ذلك التاريخ السردي والابتعاد عن النمط الذي يعتمد على ذكر الأحداث التاريخية ووضعها في صورتها المجردة، وذلك من خلال التعمق في ما حوته تلك الفترة من مميزات فكرية هامة رسخت قيم التواصل بين مجتمعات البلدين. ولكون موضوع الدراسة يهتم بالجوانب الفكرية والعلمية، فقد حاولت إبراز الطابع الذي تميزت به تلك الفترة، وتسليط الضوء على نشاط العلماء وطريقة تعاملهم مع مختلف الظروف التي كانت سائدة في كلا البلدين.

وبما أن الاهتمامات العلمية والفكرية للعلماء مثلت الجزء الأساسي في نشاطهم، ومثلت الجزء الأساسي في البحث، فلم يطغ على بحثنا الاعتبارات السياسية التي ميزت العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى.

ومن خلال هذه الدراسة حاولنا تتبع الفكر المشترك لعلماء البلدين، وإعطاء نظرة شاملة حول نشاطاتهم المختلفة وتنقلهم بين مختلف المراكز الثقافية، لكون أولئك العلماء لم يكونوا يعترفون بفكرة القطرية والحدود الإدارية والسياسية الموضوعة من قبل حكام البلدين، وكان هدفهم الأسمى هو تحصيل العلم ونشره وخلق جو من الانسجام والتنوع الفكري بين مختلف العلماء وفي مختلف المراكز الثقافية سواء في الجزائر أو في المغرب الأقصى.

بما أن موضوع الدراسة يهتم بالعلماء الجزائريين وإسهاماتهم في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى في الفترة الممتدة من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م، فإنها تهدف إلى محاولة معرفة الأسباب الحقيقية لهجرة علماء الجزائر نحو المغرب الأقصى.

كما تهدف الدراسة كذلك إلى إعطاء صورة واضحة حول العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى وطبيعة تواجدهم هناك، وإبراز دورهم في النشاط الثقافي بالمغرب ومساهمتهم الفعالة في الحركة الفكرية والعلمية، خاصة وأن اغلبهم كانوا من كبار العلماء والفقهاء في

المنطقة من خلال المناصب والوظائف الهامة التي تقلدوها والمكانة الهامة التي حظوا بها لدى حكام المغرب الأقصى.

دراسة المصادر والمراجع:

اعتمدنا في انجاز هذا البحث والخوض في تفاصيله على مجموعة من المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع من مختلف جوانبه، وذلك تفصيلا للموضوع والإجابة عن الإشكالية المطروحة.

أولا : المصادر:

تمثلت غالبية المصادر المعتمدة في كتب التراجم والسير لكون الموضوع يتحدث عن العلماء، وللتعرف على هؤلاء العلماء ونشاطاتهم لابد من العودة إلى هذه المصادر والتي تعتبر المصدر الرئيسي في البحث، و أهمها:

- البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان لمؤلفه ابن مريم التلمساني، حيث وضع فيه تراجم للعديد من العلماء الجزائريين وخاصة منهم علماء تلمسان ، ومن خلاله استطعنا الحصول علة بعض المعطيات الهامة التي تبين لنا تاريخ انتقال بعض العلماء إلى المغرب الأقصى واستقرارهم بالمنطقة.
- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمؤلفه محمد بن عسكر، والذي يعتبر المصدر الرئيسي في التعرف على علماء القرن 10هـ /16م ونشاطاتهم الثقافية المختلفة، كما أنه يعتبر مصدرا أساسيا للتعرف على بعض الأجزاء الهامة من البحث خاصة فيما يتعلق بأسباب هجرة علماء الجزائر إلى المغرب الأقصى في تلك الفترة والمكانة التي حضي بها أولئك العلماء لدى سلاطين الدولة السعدية.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس لمؤلفه ابن القاضي، ذكر فيه مختلف العلماء الدين قصدوا فاس لدوافع مختلفة ، ومن بينهم العلماء الجزائريون الذين استقروا بمدينة فاس، وله أيضا درة الحجال في أسماء الرجال والنساء، وهو يترجم فيه لعلماء الإسلام بما فيهم علماء الجزائر.

• صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر لمؤلفه محمد الصغير الوفراني، ترجم فيه لبعض العلماء الجزائريين المتواجدين بالمغرب الأقصى خلال القرن الحادي عشر ميلادي.

• نشر المثاني في لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري، والذي أفادنا في معرفة بعض الجوانب المتعلقة بحياة بعض العلماء وبمواقفهم المختلفة.

• نيل الإبتهاج بتطريز الديباج لمؤلفه أحمد بابا التنبكتي والذي يعتبر مصدرا ها في التعرف على العلماء والفقهاء خاصة علماء المالكية منهم.

• شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمؤلفه محمد مخلوف، والذي تناول فيه تراجم للعديد من العلماء الجزائريين في مختلف المناطق، واستفدنا منه في التعرف على جوانب من حياة أولئك العلماء خاصة فيما يتعلق بنشاطاتهم الفكرية والعلمية المختلفة.

أما الكتب التاريخية فنجد العديد منها مثل:

• فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته لمؤلفه أبو راس الناصري ، والذي يعتبر ذو قيمة هامة من حيث التعرف على الوضع الثقافي في الجزائر، حيث عرف فيه بالعديد من العلماء الجزائريين الذين كان لهم دور بارز في النشاط العلمي في الجزائر خلال تلك الفترة.

• الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لابن سحنون الراشدي والذي يعد مصدرا هاما يؤرخ للوجود العثماني بالجزائر، خاصة في الغرب الجزائري .

• دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران لمحمد بن يوسف الزياني والذي يتحدث عن تاريخ مدينة هران، وذكر فيه جزءا خاصا بالحكم العثماني في الجزائر، وعرج فيه عن العثمانيين وسياستهم تجاه الجزائريين، وانتقد فيه الحكام العثمانيين وأشار فيه إلى استبدادهم.

• نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الوفراني، و مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا لعبد العزيز الفشتالي، حيث أرخ الفشتالي للدولة الدولة السعدية وللسلطان أحمد المنصور الذهبي، كما أرخ الوفراني لأواخر الدولة السعدية ونشأة الدولة العلوية، ومن خلال هذين المصدرين نستشف بعض المعطيات حول الأوضاع الثقافية في المغرب الأقصى، والتي شجعت على استقطاب العديد من العلماء من مختلف المناطق خاصة من الجزائر.

• إضافة إلى بعض كتب الرحلات مثل رحلة ابن زاكور الفاسي ورحلة ابن حمادوش الجزائري، والتي من خلالهما نتعرف على نشاط العلماء وعلاقاتهم في كل من الجزائر والمغرب، والدور الكبير لهم في نشر العلم والتقريب بين شعوب البلدين.

ثانيا: المراجع:

كما كان للمراجع والدراسات الحديثة أهمية كبيرة في استكمال مذكرتنا، وخاصة منها المتعلقة بالحياة الثقافية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى، ومن أهمها:

• العلاقات الاقتصادية الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي للدكتور عمار بن خروف، حيث يتناول هذا الكتاب جوانب هامة من التاريخ الثقافي والسياسي للجزائر والمغرب الأقصى والروابط التاريخية التي ميزت البلدين في مختلف المجالات خاصة الثقافية مننها خلال القرن 10هـ /16م.

• العلاقات المغربية الجزائرية – مقاربة سياسية ، ثقافية خلال القرن 10هـ/ 16م، لمؤلفه الدكتورة زهراء النطام، وهو مرجع هام يتناول مختلف أطوار العلاقات السياسية والثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م.

• تاريخ الجزائر الثقافي لمؤلفه أبو القاسم سعد الله، والذي يعتبر من أهم المراجع الجزائرية التي اعتمدنا عليها في البحث ، لكونه تناول جميع أطوار الحياة الثقافية في الجزائر بما فيها هجرة العلماء والأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، بالرغم من أنه لم يتطرق

إلى نشاط العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى وإسهامهم في الحركة العلمية والثقافية في المنطقة خلال فترة تواجدهم بالمغرب.

• الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى في عهد السعديين لمحمد حجي، وهو من المراجع المغربية الهامة التي تحدثت عن النشاط الثقافي في المغرب الأقصى خلال حكم السعديين في جزئيه الأول والثاني، تحدث خلاله عن بعض العلماء الجزائريين الوافدين على المغرب الأقصى خلال تلك الفترة، إلا أنه لم يسهب في الحديث عن نشاطهم الكبير ومساهمتهم الفعالة في النشاط الفكري والعلمي بالمغرب خلال حكم السعديين.

أما عن المصادر والمراجع الأجنبية فقد اعتمدنا على بعض منها والتي تعرفنا ببعض المظاهر الثقافية في الجزائر والمغرب ولو بصورة ضيقة جدا خلال العصر الحديث مثل كتاب :

- VENTURE DE PARADIS : Alger au 18^{éme} siècle.

وهو من المصادر الهامة التي تعرفنا بالجوانب المختلفة لمدينة الجزائر سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية والدينية.

إضافة إلى بعض المراجع مثل :

- BOYER PIERRE : La vie quotidienne a Alger à la vieille de l'intervention frongais.
- DE GRAMMONT, (D) : Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830).
- JACQUE BERQUE : L'intérieure de Maghreb du 16^{éme} -19^{éme} siècle

وهي دراسات أساسية تصف لنا الحياة العامة في الجزائر خاصة في جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ووضحت لنا علاقة السلطة بالرعية، وتبرز لنا جوانب من نشاط الطرق الصوفية في فترة الحكم العثماني بالجزائر.

أما بقية المراجع الأجنبية فقد ركزت في معظمها على الجوانب السياسية من تاريخ الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة، ولذلك لم نستفد منها إلا في بعض الجوانب التي تخدم الموضوع.

الصعوبات:

أما عن الصعوبات التي واجهتني أثناء عملية البحث فهي متعددة، منها:

– شح المادة العلمية المتعلقة بالموضوع خلال هذه الفترة والمتعلقة بنشاط العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى.

– كما أن أغلب الدراسات ركزت اهتمامها على الجوانب السياسية والعسكرية، أو ركزت الحديث عن العلاقات الثقافية والاجتماعية بصفة عامة.

– إضافة إلى ندرة الوثائق الأرشيفية التي تخص الموضوع، بالإضافة إلى مجموعة من المصاعب التي تصادف أي باحث، وهي صعوبة الحصول على الوثائق والمصادر و المراجع التي تخص الموضوع وتخدمه بدقة.

وفي الأخير أجدد شكري الخالص إلى الأستاذ المحترم" الدكتور توفيق دحماني " الذي صبر معي طوال مسيرة إنجاز هذا البحث ، و نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

مدخل عام

• الأوضاع الثقافية في الجزائر والمغرب الأقصى قبيل القرن 10هـ/16م

I- الأوضاع الثقافية في الجزائر قبيل القرن10هـ/16م.

II- الأوضاع الثقافية في المغرب الأقصى قبيل القرن 10هـ/16م

عرفت الجزائر والمغرب الأقصى في فترة حكم الزيانيين والمرينيين ازدهارا ثقافيا كبيرا، وشهدت خلالها الحركة الثقافية نشاطا واسعا في كلا البلدين، رغم العلاقات المتوترة بينهما، بسبب الصراع المتواصل رغبة من كل دولة توسيع نفوذها وبسط سيطرتها على أكبر قدر من الأراضي والاستفادة منها، إلا أن هذا التوتر في العلاقات لم يؤثر على الحركة الثقافية في كلا البلدين وفي استمرارها، بل على العكس من ذلك كان هناك تنافس كبير بين سلاطين بني زيان وبني مرين حول نشر العلم وتقريب العلماء والأدباء وبناء المؤسسات العلمية والدينية.

شهدت الجزائر والمغرب الأقصى في الفترة الأخيرة من حكم الزيانيين والمرينيين تراجعا في الحركة الثقافية، نتيجة لانتشار الاضطرابات والصراعات السياسية الداخلية وكذلك التحرشات الأيبيرية على سواحلها، إضافة إلى الضعف الذي ميز سياسة السلاطين المتأخرين لكلا الدولتين خاصة خلال القرن 9هـ/15م.

I- الأوضاع الثقافية في الجزائر قبيل القرن 10هـ/16م:

كانت الجزائر قبيل مجيء العثمانيين تخضع في حكمها لدولة بني زيان، رغم أن هذه الدولة لم تسيطر على كامل القطر الجزائري، لأن الدولة الحفصية في تونس كانت تسيطر على أجزاء من الشرق الجزائري، والدولة المرينية في المغرب الأقصى كانت تسيطر على بعض المناطق في الجهة الغربية، أما مدينة الجزائر وضواحيها فكانت منطقة عازلة بين الزيانيين و الحفصيين في الشرق، وكانت منطقة للصراع بين القوتين [1]، وعلى إثر ذلك ظهرت العديد من الإمارات المحلية التي حاولت الاحتفاظ بنفوذها في المناطق التي تقع تحت سلطتها والابتعاد عن سلطة الزيانيين والعمل على تأسيس دويلات مستقلة تنازع الدولة الزيانية في حكمها [2].

---

[1]– الأخضر عبدلي :الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633–962هـ /1236–1554م)، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، 2005 ، ص 90.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي–1500–1830م، دار البصائر، الجزائر 2007، ج1، ص 40.

أولا: دور الزيانيين في تنشيط الحركة الثقافية:

اتسمت فترة حكم بني زيان بالصراع المتواصل مع كل من الحفصيين في الشرق والمرينيين في الغرب، وبالرغم من الوضعية السياسية الحرجة التي شهدتها الجزائر في تلك الفترة والمبنية أساسا على الصراعات السياسية، إلا أن الحياة الثقافية كانت عكس ذلك، فقد عرفت الحركة الثقافية في الجزائر خلال فترة حكم بيني زيان نموا كبيرا ونشاطا واسعا في مختلف مجالات العلم والأدب، كما عرفت انتشارا واسعا للعلوم العقلية وخاصة منها علم الكلام[1]، حيث ارتبط نمو الحركة الفكرية والعلمية وتطورها بالمنطقة ارتباطا وثيقا بالحكام والسلاطين الزيانيين، وذلك بفضل اهتمامهم الكبير بالعلم وتشجيعهم للعلماء[2]، وهو ما كان له الأثر البارز في انتعاش الحركة الفكرية والعلمية بالمنطقة، فقد كان معظم سلاطين الدولة الزيانية منذ المراحل الأولى لتأسيس الدولة على يد **يغمراسن**[3] يولون اهتماما بالغا بالجانب العلمي والثقافي، إذ حرصوا على بناء المدارس والمساجد واستقطاب العلماء والمدرسين، وتخصيص موارد كبيرة للإنفاق على الطلبة والعلماء وخاصة منها موارد الأوقاف، والتي كانت تشكل المورد الرئيسي لتنشيط الحياة الثقافية[4]، كما عقدوا المجالس العلمية وفتحوا فيها المجال للمناظرات والمناقشات العلمية والفكرية بين العلماء، وقربوا منهم الأدباء والشعراء وشجعوهم على الكتابة والتأليف[5] وخاصة في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني الذي كان له الدور الكبير في تطوير الحياة العلمية والفكرية

---

[1]– رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط 3، دار الهدى، الجزائر، 2000، ص 309.

[2]–عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني(633–962هـ/1235–1554م) ، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008، ص 20–21.

[3]– هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد وادي ، بويع للإمارة سنة 633هـ ، كان في صراع مع أحد قادة الموحدين (السعيد المؤمني) وتمكن من القضاء عليه سنة 646هـ واستقل بالحكم في تلمسان وأعلن نفسه ملكا على بني عبد الواد ، وبقي في ملكه إلى أن توفي 681هـ/ 1283م ودفن بتلمسان.

أنظر:ـ التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان–، تحقيق وتعليق، محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 115.

[4]– مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت، ج2، ص 491.

[5]– هوارية بكاي: العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر هجريين (633–922هـ/1233–1554م) ، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014، ص 184–185.

بالمنطقة، كونه اهتم بنشر العلوم الدينية والأدبية من خلال جلبه لكبار العلماء والأدباء[1]، كما شهد هذا العصر انتشارا كبيرا للمؤسسات العلمية في مختلف المراكز الثقافية في الجزائر كمدينة تلمسان وملیانة وبجاية وقسنطينة وغيرها، حيث نبغ فيها العديد من العلماء والفقهاء والأدباء والمتصوفة، وكانوا بحق يمثلون مدارس في حد ذاتها[2].

ولتحقيق الإزهار الثقافي كان لزاما على الملوك الزيانيين الأخذ بزمام المبادرة في تنظيم الحركة العلمية وتشجيعها، من خلال بناء المؤسسات العلمية وتنصيب العلماء الأكفاء للتدريس بها، وعقد المجالس العلمية التي يحضرها الفقهاء والعلماء وحتى الملوك والسلاطين، وعلى هذا الأساس تم الاعتماد على أسس علمية قويمة في التعليم والتدريس، من خلال تحديد المواد الدراسية وطرق تدريسها، وحتى اختيار أمهات الكتب سواء الدينية منها أو الأدبية، و خاصة في الفقه التفسير والعقائد لدراستها، وكذلك تقسيم مسار التعليم إلى عدة مراحل يتم خلالها الانتقال من مرحلة أولى إلى مرحلة أعلى منها [3].

ثانيا: دور العلماء في النشاط الثقافي خلال العهد الزياني:

اشتهرت مدن وحواضر الجزائر في تلك الفترة ببروز العديد من العائلات والأسر العلمية التي ذاع صيتها في مختلف المناطق داخل الجزائر وخارجها، مثل عائلة المقري والمرزوقي و العقباني بمدينة تلمسان، وعائلة ابن باديس و القنفد بقسنطينة، وعائلة المنجلاتي والمشدالي في بجاية، وغيرها من العائلات التي اشتهرت بالعلم والأدب[4]، وكرست نفسها في خدمة العلم ونشره في الجزائر، من خلال نشاطها البارز في مختلف المجالات كالتدريس والخطابة والإمامة والقضاء والفتوى، إضافة إلى إنتاجها العلمي الكبير الذي شمل مختلف العلوم كالفقه والتفسير وعلم الكلام والعقائد.

---

[1]– بوزياني الدراجي: أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل لدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ج 1، ص 300.

[2]– رابح بونار: المرجع السابق، ص 310.

[3] – الأخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 90–91.

[4] – مبارك الميلي: المرجع السابق، ج2، ص 493.

عرفت الجزائر نبوغ العديد من العلماء في مختلف المجالات خلال القرنين 8 و9 الهجريين 14و15الميلاديين، في مختلف المدن الجزائرية، فاقت شهرتهم الحواضر الجزائرية لتصل إلى مناطق أخرى من العالم العربي والإسلامي مشرقا ومغربا، ومن أبرز هؤلاء العلماء نجد:

-**أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر العجيسي بن مرزوق الخطيب:** من العلماء الأجلاء بمدينة تلمسان خلال القرن الثامن هجري ، ولد سنة 710هـ بمدينة تلمسان ، نشأ بها وأخذ العلم على علمائها، عرف برحلاته المختلفة خاصة إلى المشرق العربي، تولى الخطابة في مسجد العباد بتلمسان، كما أنه تولى مناصب هامة كمنصب القضاء في الأندلس وتونس لما نزل بها، ثم بعد ذلك رحل إلى القاهرة واستقربها إلى أن توفي بها سنة 781هـ[1]، خلف وراءه إنتاجا علميا كبيرا يتعلق في غالبيته بعلوم الفقه وأحكامه.

- **أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني:** من العلماء البارزين في تلمسان خلال القرن 8هـ/14م، ولد سنة 720 هـ بتلمسان ونشأ بها، أخذ العلم على كبار العلماء في عصر، نهل من جميع العلوم العقلية منها و النقلية، تولى الخطابة والتدريس بالمدرسة التاشفينية بتلمسان، أخذ عنه جمع غفير من العلماء وطلبة العلم، مثل ابنه قاسم العقباني والإمام ابن مرزوق الحفيد وابن زاغو المغراوي وغيرهم، وتولى القضاء في مناطق مختلفة مثل بجاية ومراكش ووهران وتلمسان، وتوفي سنة 811هـ بمدينة تلمسان مخلفا وراءه إنتاجا علما غزيرا شمل كتبا في الفقه والتفسير[2].

- **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد:** ولد بتلمسان سنة 766هـ ونشأ بها، أخذ العلم عن والده وعن كبار العلماء في عصره أمثال سعيد العقباني، ارتحل إلى تونس وبعدها إلى المشرق، ولقي خلال رحلاته هذه العديد من العلماء الأجلاء

---

(1) – ابن فرحون: الديباج المهذب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص396-397.

أنظر أيضا: ابن مريم:البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، مراجعة، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908 ، ص 184-185.

(2) – ابن فرحون: المصدر السابق، ص205.

أنظر أيضا: ابن مريم: المصدر السابق، ص 106-107.

في تونس والمشرق العربي، ذهب إلى الحج سنة 790هـ، ولقي خلال فترة الحج العديد من علماء مكة وجالسهم وتدارس معهم، عُرف على ابن مرزوق الحفيد بالورع والتقوى والعلم، إذ بلغ مبلغا كبيرا من العلم وجمع بين العديد من العلوم النقلية منها والعقلية، خلف إنتاجا علميا وفكريا هاما في مختلف المجالات خاصة في مجال الفقه والعقائد، توفي سنة 842 هـ بمدينة تلمسان[1].

- **أحمد بن محمد عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي:** من مواليد سنة 782هـ في تلمسان، أخذ العلم عن كبار العلماء في عصره مثل سعيد العقباني وغيره من علماء تلمسان، برز في العديد من العلوم كالفقه والتصوف، تولى التدريس بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان، توفي خلال فترة انتشار الوباء في المنطقة سنة 845هـ[2].

- **أحمد بن محمد بن زكري التلمساني:** فقيه مالكي وأصولي، اشتهر بعلمه وقوة حجته، أخذ العلم عن ابن زاغو المغراوي وعن قاسم بن سعيد المغراوي وغيرهم من علماء تلمسان، خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي، تولى التدريس وأخذ العلم عنه جمع غفير من العلماء وطلبة العلم[3]، وبقي في حالة من النشاط العلمي والفكري حتى توفي سنة 899هـ بتلمسان مخلفا آثارا علمية هامة نثرا ونظما، وجل مؤلفاته تتمحور حول العقائد وعلم الكلام[4].

- **محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي:** من مشاهير العلماء في تلمسان خلال القرن التاسع هجري، أصله من مدينة تنس نشأ بتلمسان وتعلم فيها مبادئ العلوم على علمائها أمثال ابن مرزوق الحفيد وقاسم بن سعيد العقباني وغيرهم من علماء تلمسان،

---

(1) – القلصادي: رحلة القلصادي ، دراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دت، ص 96-97 .

أنظر أيضا ـــ : السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، بيروت، ج 7، ص 50.

(2)– القلصادي:المصدر السابق، ص 102- 103-104.

أنظر أيضا ـــ: ابن مريم: المصدر السابق، ص 41-42.

(3)– نفسه، ص 38-39.

(4) – الأخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 176.

اشتهر بالعلم في زمانه وجمع بين العديد من العلوم، كرس نفسه للتدريس والتأليف إلى توفي سنة 899هـ[1].

تعتبر فترة القرن 9هـ/15م من أخصب الفترات التاريخية من حيث النشاط الثقافي والإنتاج العلمي والفكري في الجزائر، وما يدل على ذلك كثرة العلماء والأدباء، وتنوع المؤلفات التي شملت مختلف العلوم، وذلك بفضل النشاط الكبير لملوك الدولة الزيانية الذين حرصوا كل الحرص على دعم العلماء وطلبة العلم، وتشجيع الأدباء والشعراء، حتى غدت الحواضر العلمية في الجزائر مقصدا للعديد من العلماء وطلبة العلم، ليس من داخل الجزائر فحسب وإنما من مناطق مختلفة من المشرق والمغرب[2].

شهدت الجزائر خلال هذه الفترة (القرن 9هـ/15م) انتشارا واسعا للتصوف والزوايا خاصة في الغرب الجزائري، ونشط بذلك علماء التصوف في مجال نشر تعاليم الصوفية وعقائدها معتمدين في ذلك على الزوايا التي خصصت لنشر العلم وتلقينه خاصة العلوم الدينية منها، واهتمت في تعليمها على علوم التصوف والزهد في الحياة الدنيا، وأصبحت الزوايا وشيوخها تنافس المدارس والجوامع في نشر التعليم واستقطاب طلبة العلم[3]، واشتهر في هذا المجال العديد من علماء التصوف في الجزائر خلال تلك الفترة أمثال " **محمد بن يوسف السنوسي**"[4] و**عبد الرحمن الثعالبي**[5]، والذين يعتبران من كبار

---

[1]– السخاوي: المصدر السابق، ج8، ص 120.

أنظر أيضا: ابن مريم: المصدر السابق، ص 248–249.

[2]– مبارك الميلي: المرجع السابق، ج2، ص490.

[3]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق، ج1، ص 48.

[4]–هو محمد بن يوسف أبو عبد الله السنوسي ، من كبار العلماء في مدينة تلمسا وزهادها خلال القرن التاسع هجري، تميز بنشاطه الواسع في المختلف المجالات العلمية ، اهتم بعلن التصوف، ألف كتبا كثيرة في العقائد ، لقيت مؤلفاته إقبالا كبيرا من طرف العلماء وطلبة العلم ، توفي سنة 895هـ .

أنظر: – ابن مريم: المصدر السابق، ص 237.

[5]–هو من كبار علماء الجزائر خلال القرن التاسع هجري ، ولد سنة 789ه، نشأ في مدينة الجزائر ، انتقل إلى بجاية وبها أخذ العلم عن كبار العلماء فيها، انتقل بعدها إلى تونس ومصر ولقي رحلاته هذه العديد من العلماء ، وتوفي سنة 875هـ.

أنظر: ـــــ السخاوي: المصدر السابق ، ج4 ص 152.

الزهاد وعلماء التصوف في الجزائر خلال القرن التاسع هجري، الخامس عشر ميلادي، حيث تميز نشاطهما بالجمع بين الإنتاج العلمي الغزير، والزهد والتصوف والابتعاد عن سلطان الدنيا وملذاتها [1].

ثالثا: المؤسسات العلمية والدينية:

1 - المدارس:

عمل سلاطين بني زيان على تنشيط الحياة الثقافية ونشر العلم على نطاق واسع، فأنشئوا العديد من المدارس والمساجد والمكتبات عبر مختلف الفترات التي حكمت فيها هذه الدولة، فقد أُسست العديد من المدارس خاصة في مدينة تلمسان والتي تضاهي في قيمتها تلك التي أسست في بلاد المشرق، ومن أشهر هذه المدارس نجد:

- **مدرسة ابني الإمام** [2] : تعتبر من بين أهم المدارس التي تم بناؤها في تلمسان أوائل القرن 8هـ/14م، وشهدت هذه المدرسة منذ تأسيسها نشاطا علميا كبيرا ، خاصة وأنها تميزت بتواجد علماء كبار في محيطها، حيث عين فيها منذ تأسيسها ابني الإمام (أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى) للتدريس ونشر العلم بها كما ذكر يحي بن خلدون ذلك بقوله: "...وتركا بتلمسان خلقا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا، بلغ كثير منهم مقام التدريس والعلم والفتيا في النوازل...."[3]، وبذلك ساهمت هذه المدرسة بنشاطها في الحركة العلمية والفكرية بالمنطقة خلال تلك الفترة بفضل احتوائها على كبار العلماء [4].

- **المدرسة التاشفينية**[5] : تم إنشاء مدرسة أخرى بمدينة تلمسان عرفت بالمدرسة التاشفينية، بسبب تزايد أعداد الطلبة وكثرة الوافدين على المدرسة السابقة الذكر وتهافتهم

---

(1)– أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق، ج 1، ص 49.

(2) – هي أول مدرسة بناها الزيانيون في تلمسان ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أشهر العلماء المدرسين فيها وهما (أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى) ، وقد شيدت بين سنتي 707هـ و 718هـ .

أنظر: ــ الأخضر عبدلي: المرجع السابق، ص125.

(3)– يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ــ تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 ص 130.

(4)–بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ج1، ص200–201.

(5)– تم بناؤها على يد الملك أبي تاشفين عبد الرحمن الأول بين سنتي 718هـ و 737هـ، لينافس بها الملوك الحفصيين والمرينيين.

أنظر:ــ التنسي: المصدر السابق ص141. أنظر أيضا: عبد القادر بوحسون : المرجع السابق ، ص 27.

على العلم والأدب بها، ونظرا للاهتمام الكبير الذي كان يوليه السلطان الزياني أبو تاشفين للعلم والعلماء حرص على أن تكون هذه المدرسة منارة علمية كبيرة من خلال الاهتمام بها وبمرافقها وبالعلماء والمدرسين بها أمثال أبي موسى المشدالي[1] وغيره ممن كان يقصد هذه المدرسة للتدريس بها أو لطلب العلم وأخذه عن كبار علمائها[2].

- **المدرسة اليعقوبية**[3] : تأسست هذه المدرسة في النصف الثاني من القرن 8هـ/ 14م، حيث اشتهرت هذه المدرسة بتدريس مختلف العلوم النقلية العقلية، وأهم من تولى التدريس بها العلامة أبو عبد الله بن أحمد بن الشريف الحسني[4].

وقد وجدت العديد من المدارس العلمية في مختلف مناطق الجزائر، والتي كانت تمثل مراكز إشعاع علمي في المنطقة، نظرا للأعداد الكبيرة من العلماء المتواجدين بها والجموع الغفيرة من طلبة العلم التي تتوافد عليها من مختلف المناطق[5]، وكل ذلك بفضل سياسة ملوك بني زيان التي بنيت على الاهتمام بالعلم والعلماء وتقريبهم منهم ومنحهم العطايا والهبات، فاستقدموا أهل العلم والأدب من مختلف المناطق، وأحاطوا أنفسهم بالفقهاء، وخصصوا للشعراء مكانا في بلاطهم ، وذلك مجاراة لما يفعله أقرانهم من الحكام المرينيين والحفصيين في كل من المغرب الأقصى وتونس [6].

---

[1]– هو الفقيه الحافظ أبو موسى عمران المشدالي ، من بجاية قدم إلى تلمسان في أيام السلطان أبي تاشفين ، كان من كبار علماء المالكية، توفي سنة 745هـ.

أنظر: ــ يحي بن خلدون:المصدر السابق، ص 130–131.

[2]– التنسي : المصدر السابق، ص 141–142.

[3]– شيدها الملك أبي حمو موسى الثاني عام 765هـ ، وسميت باليعقوبية نسبة إلى أبي يعقوب والد أبي حمو تخليدا له ولسيرته في المنطقة.

أنظر:ــ الأخضر عبدلي : المرجع السابق: ص 134.

[4]– التنسي: المصدر السابق، ص 179.

[5]– عبد القادر بوحسون : المرجع السابق ، ص 26.

[6]– ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم تحقيق وتعليق: هاني سلامة، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 48.

2- المساجد:

تعد المساجد من المظاهر والمنشآت الحضارية التي لا تخلوا أي مدينة إسلامية منها، فهي تعتبر الجوهر الأساسي للعقيدة الإسلامية لسكان تلك المناطق، إذ كان لهذه المساجد دور كبير في حياة المجتمع الجزائري منذ الفتح الإسلامي، فكانت المساجد مراكز للعبادة تقام فيها الشعائر الدينية كأداء الصلاة، إلا أن دورها لم يقتصر على هذا الجانب فقط بل تعداه إلى أكثر من ذلك، حيث أصبحت هذه المساجد مراكز علمية هامة يمارس فيها التعليم، كما أنها أصبحت موردا لطلبة العلم في ظل النشاط الكبير للعلماء من خلال حلقات العلم التي كانت تعقد في المساجد[1].

عرفت الجزائر انتشارا للمساجد في مختلف مدنها، وهي ميزة تميزت بها المدن الجزائرية عبر فترات تاريخية مختلفة، إذ يوجد العديد من المساجد التي بنيت في فترات حكم الدويلات الإسلامية السابقة، فمنها ما بناه الأدارسة ومنها ما بناه المرابطون ومنها ما بني في فترة حكم الموحدين لبلاد المغرب[2]، أما في العهد الزياني فقد عرفت هذه المساجد تطورا من حيث شكلها حيث عمل سلاطين بني زيان على إضفاء بعض من التميز على هذه المساجد بتوسعتها وتزيينها وإضافة القباب والمآذن والصوامع إليها[3]، إضافة إلى تخصيص أوقاف كثيرة لها مثل ما هو الحال بالنسبة **لمسجد أغادير**[4] وغيره من المساجد المنتشرة في المنطقة خاصة في مدينة تلمسان .

كما بنيت في فترة الحكم الزياني العديد من المساجد خاصة في مدينة تلمسان حتى وإن كانت لا تضاهي مكانتها تلك التي بنيت من قبل مثل **مسجد سيدي أبي الحسن** [5]

---

[1]– الأخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 107.

[2]– نفسه ص 108.

[3]–هوارية بكاي: المرجع السابق، ص 149.

[4]– تم تأسيس هذا المسجد في عهد الأدارسة من طرف إدريس الأول بعد دخوله مدينة تلمسان ، وحضي هذا المسجد بعناية الأمير يغمراسن الذي رممه وبنا له مئذنة.

أنظر: ــ الأخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 108.

[5]– تم تشييده من قبل السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 696هـ/1294م، وهو يحمل أحد علماء تلمسان المعروف بأبي الحسن بن يخلف التنسي.

أنظر: ــ هوارية بكاي: المرجع السابق، ص 153.

و**مسجد ابني الإمام**[1]، وغيرها من المساجد التي بنيت سواء في المدن أو الأرياف، وفي مختلف المناطق من الجزائر، كما كان للزوايا دور كبير في النشاط الثقافي والعلمي، حيث عرفت أغلب الزوايا بالجزائر في تلك الفترة باهتمامها بالتعليم ونشره خاصة منها العلوم الدينية.

وخلال هذه الفترة عرفت الجزائر ازدهار العديد من المدن والحواضر الكبرى، حيث أصبحت تمثل مراكز ثقافية هامة في مختلف الجهات، في غرب الجزائر وشرقها وحتى في بعض المناطق الجنوبية، وذلك من خلال ازدهار النشاط الثقافي والعلمي بها، بفضل انتشار المؤسسات العلمية والدينية بمختلف أصنافها من مدارس ومساجد وزوايا، واستقطابها للعديد من الفقهاء والعلماء الذين عكفوا على دراسة مختلف العلوم والفنون خاصة منها الدينية والأدبية، واشتهروا بالتأليف في مختلف المجالات العلمية [2].

من المدن والحواضر الكبرى التي عرفت ازدهارا ثقافيا ونشاطا علميا كبيرا نذكر كلا من تلمسان و قسنطينة و بجاية و مازونة و عنابة ووهران وبسكرة، وغيرها من المدن والمراكز الثقافية الأخرى، والتي كان لها دور كبير في إنعاش الحياة الثقافية في القطر الجزائري، وأنجبت العديد من العلماء والفقهاء والأدباء، وذلك قبل إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية أوائل القرن 10هـ/16م[3]، وهذه المدن والمراكز الثقافية سنتحدث عنها بشيء من التفصيل في الفصل الأول من هذا البحث.

تعتبر فترة الحكم الزياني من أهم الفترات من حيث الانتعاش الثقافي والنشاط العلمي، إذ تميزت بغزارة الإنتاج العلمي والفكري وتنوع مجالاته بين العلوم النقلية والعقلية، ووفرة العلماء والأدباء وكثرة المؤسسات التعليمية، خاصة في منطقة الغرب الجزائري، كما أشار إليه القلصادي في رحلته عندما قدم إلى مدينتي تلمسان ووهران بين سنتي 840 و 844هـ ، حيث قال : "...وأدركت فيها كثيرا من العلماء والصلحاء والعباد

---

[1]–تم تشييده من قبل السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول سنة 710هـ/1310م، ليكون ملحقا بالمدرسة التي بناها من قبل، المتمثلة في مدرسة ابني الإمام.

أنظر: ــ هوارية بكاي: المرجع السابق، ص 154.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق، ج1، ص 44–45.

[3] – يحي بوعزيز: الموجز ، المرجع السابق، ج2، ص 67.

والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة..."[1]، وهو ما يدل على الازدهار الثقافي الكبير الذي ميز المنطقة خاصة خلال القرنين 8 و9هجريين /14و15 ميلاديين، أين شهدت المنطقة تنافسا علميا كبيرا بين الحواضر الثقافية في الجزائر ونظيراتها في المغرب الأقصى وتونس.

تضافرت العديد من الأسباب التي ساعدت على الوقوف في وجه التقلبات السياسية التي كانت تعيشها الجزائر من فترة إلى أخرى، وكلها ساهمت في تحقيق الازدهار الثقافي وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة، فحكام الدولة الزيانية رغم انشغالهم بالصراعات السياسية والحروب المختلفة، إلا أنهم كانوا خير سند للعلم و العلماء [2]، إضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته المؤسسات العلمية في النهضة العلمية التي ميزت المنطقة ، وخاصة المدارس التي تم تأسيسها في مدينة تلمسان خلال القرنيين 8 و9 هجريين/ 14 و15 ميلاديين، من خلال استقطابها لأعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم، وتخرج منها علماء أجلاء من أمثال **ابن زكري** السالف ذكره، وغيره من العلماء الذين اشتهروا في المنطقة خلال تلك الفترة[3]، كما كان للهجرات الأندلسية خلال القرن 9هـ/ 15م دورها الكبير في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية بعد استقراهم في بعض المدن الجزائرية، بفضل ما نقلوه إلى المنطقة من علوم وفنون[4].

أما على الصعيد السياسي فقد عرفت المنطقة في ظل حكم بني زيان اضطرابات كثيرة وصراعات سياسية خاصة بينها وبين الدولة الحفصية في الشرق والمرينية في الغرب، مما أضعف شوكتها بسبب التحامل عليها من الدولتين ، وخاصة في الفترة الأخيرة من حكمها[5]، أين ساءت الأوضاع الداخلية للدولة سواء بسبب الصراعات الداخلية وكذلك الهجمات الاسبانية على سواحلها، كما أن بعضا من المدن الجزائرية فقدت بريقها

---

(1) – القلصادي: المصدر السابق، ص 95.

(2) – ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 49.

(3) – عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص 124-124.

(4) – أبو القاسم سعد الله، تاريخ ، المرجع السابق، ج 1، ص 50.

(5) – الأخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 114.

وتراجعت مكانتها الثقافية بعد أن تعرضت للاحتلال الاسباني ، خاصة منها بجاية ووهران اللتين احتلتهما اسبانيا أوائل القرن 10هـ/16م[1].

أثرت هذه العوامل بشكل سلبي على الحياة الثقافية والعلمية في الجزائر، وأدت إلى اتخاذ العديد من العلماء قرار الهجرة إلى مختلف المناطق مشرقا ومغربا بحثا عن ظروف أفضل، في حين اختار بعضهم حياة العزلة الابتعاد عن العامة حتى لا يتعرضوا إلى المضايقات والمشاكل السياسية [2]، وبذلك بدأت الحياة الثقافية تتأثر بكل هذه الظروف والأوضاع، وضعف نشاطها، وبدأ الإنتاج العلمي والفكري يتناقص بتناقص العلماء بسبب الهجرة، وأخذت الحركة الثقافية تتراجع، خاصة بعد انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية.

منذ مطلع القرن 10هـ/16م شهدت الجزائر تغيرات سياسية واسعة، أثرت على الحياة الثقافية بشكل كبير، وفقدت خلالها الحركة العلمية والفكرية جانبا من نشاطها، فاضطر العديد من العلماء إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى، مما ترك فراغا ثقافيا واسعا في الجزائر وحواضرها، وأفقدها جانبا من إشعاعها الثقافي والعلمي، خاصة منها مدينة تلمسان التي شهدت هجرة جماعية لعلمائها خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي نحو مدن المغرب الأقصى لأسباب ودوافع مختلفة، وهذا ما سنبينه في الفصل الثاني من هذا البحث.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق، ج 1، ص 44.

[2]– نفسه، ص 44.

II- الأوضاع الثقافية في المغرب الأقصى قبيل القرن 10هـ/16م:

كان المغرب الأقصى قد تأثر بدرجة كبيرة بسقوط مملكة غرناطة في أيدي المسيحيين، كما تأثر أيضا بالهجمات الاسبانية والبرتغالية على سواحله، وتعرضت العديد من موانئه ومدنه الساحلية إلى الاحتلال الأسباني والبرتغالي[1]، كما عرف المغرب الأقصى منذ منتصف القرن 8هـ/14م العديد من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وخاصة بعد مقتل السلطان المريني " أبي عنان " سنة 1305 م[2].

أولا: عناية المرينيين بالعلم والعلماء:

تميز عصر المرينيين في المغرب الأقصى بالثراء العلمي والفكري وكثرة العلماء، وتنوع العلوم بين العقلية والنقلية وبين الدينية والأدبية، وكل ذلك بفضل الاهتمام الكبير الذي أولاه سلاطين الدولة المرينية للعلم والعلماء، ويتجلى هذا الاهتمام في هذه المظاهر التي تدل على ذلك.

1- إنشاء المؤسسات العلمية والدينية:

كانت الحياة الثقافية في فترة حكم المرينيين مزدهرة نظرا لما شهده المغرب الأقصى من نشاط كبير في المجال العلمي والفكري، من حيث بناء المدارس والمساجد وتأسيس المكتبات بمختلف أشكالها وأحجامها في مختلف مناطق المغرب الأقصى، حيث تعددت المؤسسات التعليمية وتنوعت وانتشرت في مختلف مناطق المغرب الأقصى، وهو ما ساهم في انتشار العلم ونبوغ العديد من العلماء في مختلف المجالات[3]، وذلك بفضل سياسة سلاطين بني مرين القائمة على تشجيع العلماء وبناء المراكز الخاصة بالطلبة والمعلمين، حيث اهتم المرينيون ببناء المدارس على نطاق واسع، وتميزت بالفن المعماري المريني

---

[1]- جلال يحي : تاريخ المغرب الكبير –العصور الحديثة وهجوم الاستعمار- ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981، ج 3 ، ص 32.

[2]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي –بني حفص وبني زيان وبني مرين وبني وطاس والسعديون وظهور الأشراف العلويين – دراسة في التاريخ الإسلامي ، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1994 ، ج5 ، ص 15.

[3]- هوارية بكاي: المرجع السابق، ص 264.

الذي شهد على التطور الحضاري الذي ميز عصر المرينيين[1]، كما خصصوا موارد كبيرة من الأوقاف للإنفاق على المعلمين وطلبة العلم، إضافة إلى ذلك، المنافسة الكبيرة بين الحكام والسلاطين حول استقطاب العلماء وتنويع المجالس العلمية[2]، وقد ارتبط اسم المؤسسات العلمية والدينية في تلك الفترة بالعلوم الدينية خاصة ما يتعلق منها بعلوم الفقه، والتي كان يركز فيها على تدريس المذهب المالكي بمختلف فروعه، حيث حرص سلاطين بني مرين على الدفاع عنه، وذلك بالعودة إلى أصوله في ظل انتشار مذاهب أخرى في المنطقة على غرار المذهب الأشعري من حيث العقيدة، وهو ما ساهم في ترسيخ المذهب المالكي في المنطقة[3].

2- عقد المجالس العلمية واستقطاب العلماء:

شجع سلاطين بني مرين الحركة العلمية والفكرية في المغرب الأقصى، فقد كان بين سلاطين الدولة عدد كبير ممن كان لهم نصيب وافر من الثقافة والعلم، وهو ما دفعهم إلى الاهتمام بالعلم والعلماء، فقد عملوا على عقد المجالس العلمية التي كانت تضم خيرة العلماء في تلك الفترة، وتناقش فيه مختلف المسائل، سواء كانت مسائل فقهية أو عقدية، وكان سلاطين الدولة المرينية يشاركون إلى جانب الفقهاء وطلبة العلم في مختلف المجالس العلمية التي يتم عقدها[4]، إذ تشير الدراسات التاريخية إلى أن سلاطين بني مرين كانوا حريصين على تقريب العلماء منهم وتقديرهم وإجراء الأرزاق عليهم حتى يتسنى لهم الاستفادة من علومهم وحتى من ولائهم وتأييدهم، فكان بلاطهم مدرسة تعج بالعلماء والأدباء، وبذلك استفادت الحركة الفكرية والعلمية في المغرب من هذا الواقع الذي تبناه سلاطين بني مرين[5].

---

(1)– ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب ، 2000، ج2، ص 133.

(2)– محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب، ط 1 ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص76.

(3)– ابن شقرون: مظاهر الثقافة المغربية-دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني-، دار الثقافة، المغرب، 1985، ص50.

(4)– هوارية بكاي : المرجع السابق، ص 258.

(5)– ابن شقرون: المرجع السابق، ص136.

ومن المظاهر التي تدل على الازدهار العلمي والفكري في تلك الفترة كذلك هو تعدد المراكز الثقافية والعلمية وكثرة العلماء، إضافة إلى امتلاك المغرب الأقصى لمركز علمي كبير بمدينة فاس والمتمثل في **جامع القرويين** الذي يعتبر من أهم المراكز العلمية في بلاد المغرب الكبير عامة، بما يتوفر عليه من مقومات هامة ممثلة في كثرة العلماء وتواجد كبار المدرسين فيه، إضافة إلى موارد الأوقاف الضخمة التي تخصص له وتستعمل للإنفاق على العلم وأهله، وهو ما جعله قبلة للعلماء وطلبة العلم من كل حدب وصوب[1]، وبالإضافة إلى مدينة فاس وما تزخر به من ثراء ثقافي كبير، وجدت إلى جانبها العديد من المدن الهامة في مختلف مناطق المغرب الأقصى كمدينة مكناس وسلا وغيرها من المراكز الثقافية التي عرفت انتعاشا ثقافيا كبيرا خلال تلك الفترة، والتي كانت مقصدا للعلماء وطلبة العلم من مختلف المناطق[2].

من المميزات الرئيسية التي تميز بها عصر بني مرين هو كثرة التأليف في مختلف العلوم، وخاصة منها علوم الفقه التي كانت ترتكز على الفقه المالكي، حيث برز في هذا المجال علماء وفقهاء كثر ساهموا في ترسيخ المذهب المالكي في المنطقة [3]، أما في ميدان علوم اللغة فيعتبر عصر بني مرين من أزهى العصور في هذا المجال، حيث عكف المدرسون وطلبة العلم على دراسة علوم اللغة بالاعتماد على أمهات الكتب الخاصة بها، فكثر التأليف فيها، ولعبت هذه الكتب المؤلفة سواء المنثور منها أو المنظوم دورا كبيرا في تقويم اللسان العربي في المغرب الأقصى[4].

استمرت الحركة العلمية والثقافية في النشاط رغم ما تعرضت لها من فتور في بعض الفترات، إلا أنه وفي أواخر حكم المرينيين وبداية حكم الوطاسيين عرف المغرب الأقصى

---

[1]– عبد الهادي التازي: جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس –موسوعة لتاريخها البمعماري والفكري–، دار نشر المعرفة، الرباط، دت، مج1، ص 111.

[2]– هوارية بكاي: المرجع السابق، ص 251.

[3]– إبراهيم حركات: المغرب، المرجع السابق، ج2، ص 146–147.

[4]– نفسه، ص 147.

تراجعا كبيرا في الحياة الثقافية نتيجة لعدة عوامل داخلية وخارجية ، تتمثل في الغزو الأجنبي لسواحلها والصراع حول السلطة[1].

ثانيا: أوضاع المغرب الأقصى خلال الحكم الوطاسي:

اتسمت أوضاع المغرب الأقصى إبان الحكم الوطاسي بالتجزئة والتأزم، إذ لم تتوفر للوطاسيين القوة العسكرية الضرورية لبسط نفوذهم على كامل التراب المغربي، وبذاك فشلوا في إعادة وحدة البلاد، و ظلت مناطق متعددة تشكل كيانات مستقلة لا تعترف للحكم الو طاسي إلا بتبعية اسمية فقط، مثل مدينة تطوان التي كانت تخضع لإمارة بني المنظري ومنطقة شفشاون التي كانت تحت سيطرة بني راشد، وفي كليهما تنحدران من أصول أندلسية[2]، بالإضافة إلى استمرار حركة تمرد القبائل ضد السلطة الحاكمة وامتناعها عن دفع الضرائب، خصوصا أثناء فترة جبايتها، والتي تكلف الوطاسيين جهودا كبيرة، وأدى ذلك إلى ضعف المداخيل المالية للدولة، مما أفقدها وزنها بين القبائل المغربية وأضعف سلطتها وانحصر نفوذها في مناطق محددة من المغرب كمدينة فاس وبعض المناطق المجاورة لها فقط[3].

أدت هذه الأوضاع المتأزمة في المغرب إلى عزلة الدولة الوطاسية وتقلص نفوذها في المنطقة، وزادت الكوارث الطبيعية من تعميق الاختلال ومعانات السكان، مما زاد في ضعف الوطاسيين وأفقدهم ثقة السكان والقبائل المغربية المختلفة، وكذلك تواصل عجزهم في التصدي بفعالية للاحتلال البرتغالي والأسباني، خصوصا بعد أن جدد هؤلاء حملاتهم على السواحل المغربية في مطلع القرن 10هـ/16م، وأقدموا على احتلال عدد آخر من الثغور فاتحين بذالك جبهات متعددة أمام الوطاسيين[4].

---

[1]–المقري: رسائل المقري ، دراسة وتحقيق: أسماء القاسمي الحسني، ط1 ، دار الخليل القاسمي ، الجزائر ، 2008 ، ص 70.

[2]– إبراهيم حركات: المغرب ، المرجع السابق، ج2، ص178.

[3]– نفسه ، ص 176.

[4]– عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطابع فضالة، المحمدية، المغرب، 1986، ج 7، ص 235–236.

وأمام فشل الوطاسيين في القيام بالدور المنوط بهم، ازداد دور أئمة وشيوخ الزوايا في تعبئة السكان، حيت تعددت مراكزهم وانتشرت في اغلب مناطق المغرب الأقصى، واخذ أتباعهم ومريدوهم يجوبون البوادي والقرى لبث الحماس الديني والدعوة إلى الجهاد، واكتسبت الزوايا بفضل نشاطها هذا ثقة السكان وتقديرهم وتمتعت بنفوذ كبير لديهم[1]، ولم يكن للوطاسيين أي سند قبلي ولا مشروع ديني يستندون إليه لتوطيد أركانهم في المنطقة، إلا أنهم حاولوا استغلال الحماس الديني الذي تميز به أصاحب الطرق الصوفية لصالحهم، من خلال تشجيعهم على الجهاد ودعمهم على نشر الثقافة الدينية في وسط القبائل المغربية[2].

أ- تدهور ا لأوضاع الثقافية خلال الحكم الوطاسي:

تشير بعض الدراسات إلى أن القرن 9هـ/15م كان قرن تراجع في الميدان العلمي بالمغرب الأقصى خاصة بعد انتهاء دور المرينيين ونفوذهم في المنطقة منذ وفاة السلطان المريني أبي عنان أوائل القرن8هـ/14م، وأتى الدور على المتأخرين منهم، وازدادت الوضعية سوءا خاصة في فترة حكم الوطاسيين الذين عرفت فترة حكمهم تراجعا في الحياة الثقافية والعلمية، و تناقصا في موارد الأوقاف التي تمثل موردا أساسيا في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية، إضافة إلى كثرة الهجمات المسيحية البرتغالية والأسبانية على المدن الساحلية في الشمال المغربي[3].

استمرت الحركة الثقافية والعلمية في نشاطها خلال العصر الوطاسي، إلا أنها فقدت بعضا من حيويتها وتراجعت بشكل كبير في بعض جوانبها مقارنة بما كانت عليه في العهد الذي سبقها، كما عرفت ضعفا من حيث الإنتاج الفكري والأدبي مقارنة بالعصر المريني الذي يعتبر عصر ازدهار وانتعاش ثقافي، إضافة إلى ذلك، التراجع الملحوظ في مستوى التعليم نظرا لقلة الموارد المخصصة له وخاصة منها موارد الأوقاف التي صرفت في

---

[1]- محمود علي عامر و محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث – المغرب الأقصى وليبيا- ، الجمعية التعاونية للطباعة ، دمشق ، د ت ، ص24.

[2]- نفسه، ص 25.

[3]- محمد العيادي : محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دت، ص 39-40.

ميدان الجهاد ضد البرتغاليين والأسبان، كما أن الوطاسيين لم يشيدوا الكثير المؤسسات العلمية كالمدارس والمساجد كما هو الشأن بالنسبة للمرينيين، كما قلت النفقات على طلبة العلم والمدرسين،وبذلك قلت أعدادهم وفترت همتهم على التحصيل العلمي وقل نشاطهم [1].

من الأسباب التي يمكن اعتبارها كذلك مساهمة في هذا التراجع الذي عرفته الحركة العلمية والفكرية في المغرب الأقصى خلال فترة الحكم الوطاسي، هو اضطرار العديد من العلماء وطلبة العلم إلى المشاركة في حركة الجهاد ضد الغزو المسيحي البرتغالي خاصة في المناطق الشمالية للمغرب، وهو ما عطل استمرارية الحركة العلمية في المنطقة، بسبب انشغال العلماء عن التدريس وطلبة العلم عن التحصيل، إذ ركزوا كل جهودهم على الجهاد، في حين خصصوا أوقات محددة فقط يمارسون فيها نشاطهم العلمي، وبذلك تناقص عدد العلماء وقلت أعداد طلبة العلم في المؤسسات العلمية [2].

غير أن النشاط العلمي والفكري وإن غابت ملامحه الكبرى وابتعد عن صورته الواسعة النشطة، إلا أنه لم يختف نهائيا، إذ بقي نشطا خاصة في جامع القرويين وبعض المؤسسات العلمية، وممثلا ببعض رموزه التي استمرت في نشاطها وحركتها في صورة عدد من العلماء المتواجدين في مختلف المناطق خاصة في فاس و مكناس[3]، رغم أن المغرب الأقصى في هذه الفترة لم يشهد بروز أعلام كثر في الميدان العلمي والأدبي كما هو الشأن بالنسبة للعصر المريني ، باستثناء عدد قليل من العلماء والفقهاء من أمثال **محمد بن غازي**[4] و **عبد الواحد بن محمد الزقاق الفاسي** [5] وغيرهم من العلماء الذين عملوا

---

[1]– محمد العيادي: المرجع السابق، ص 39.

[2]– محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، مطبعة فضالة، المغرب ، 1976 ، ج 1 ، ص 54.

[3]– عبد الله المرابط الترغي : فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة (– منهجيتها، تطورها، قيمتها العلمية–) ، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص 25.

[4]– هو محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي، من مشاهير العلماء العاملين والعلماء المهتدين ، تولى رئاسة العلم والفتيا بمدينة فاس والإمامة بجامع القرويين ، كان غزير العلم كثير الرواية توفي سنة 919 هـ بمدينة فاس.

أنظر: ـ ابن عسكر : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر: تحقيق: محمد حجي ، ط2، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ، 1977، ص 45–46.

[5]– هو أبو محمد عبد الوهاب الزقاق ، تولى خطة القضاء والفتور بمدينة فاس قتل سنة 960هـ بأمر من السلطان محمد الشيخ السعدي باتهامه بالميل إلى السلطان الوطاسي أبي حسون.

أنظر: ـــ ابن عسكر: المصدر السابق، ص 55.

على مواصلة نشاطهم العلمي والفكري[1] وكان لهم دور كبير في الحفاظ على بعض من النشاط العلمي والفكري في المنطقة بالرغم من الأوضاع المتدهورة التي شهدها المغرب الأقصى، مع العلم أن أغلب العلماء في العصر الوطاسي قد جمعوا بين العلوم الدينية والأدبية خاصة في مجال الفقه وعلومه [2].

أما النشاط الأدبي بمختلف أنواعه والذي كان مزدهرا بشكل كبير أيام المرينيين، فإنه عرف ضعفا كبيرا وتراجعا في مكانته خلال العصر الوطاسي، نظرا للضعف المادي الذي شهدته فترة حكم الوطاسيين، والقصور السياسي الذي ميز حكامها، وانتشار الفتن والاضطرابات السياسية في المنطقة، لأن الإنتاج الأدبي خلال تلك الفترة كان يعتمد أساسا على تشجيع الأدباء والشعراء على الكتابة والنظم، وإغرائهم بالعطايا والهبات، وخلق التنافس فيما بينهم، وهو ما لم يتمكن الحكام الوطاسيون من مجاراته والنهوض به، خاصة في فترات حكمهم الأخيرة [3].

بالرغم من الجهود التي بذلها الحكام الوطاسيون لإبقاء الشعلة الثقافية موقدة، من خلال حرصهم على دعم جهود العلماء والفقهاء والاهتمام بالمدارس، والعمل على إنشاء الخزانات والمكتبات وجذب العلماء وطلبة العلم[4]، إلا أن ذلك لم يكن كافيا للنهوض بالحركة الفكرية والعلمية وإعادة بعثها من جديد، وأدى هذا التدهور في الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب الأقصى إلى ظهور علماء التصوف و زعماء الطرقية كعنصر جديد في المنطقة، مستغلا ضعف السلطة الوطاسية، حيث عمل على إحياء النشاط العلمي والديني وبعثه من جديد، من خلال تأسيس الزوايا ونشر التعليم واستقطاب العلماء، والحث على الجهاد ومقاومة الاحتلال الأجنبي[5].

---

[1]– إبراهيم حركات : المغرب ، المرجع السابق ،ج 1، ص223.

[2]– نفسه، ص225.

[3]– نفسه، ص 25– 26.

[4] – الحسن شاهدي: " **الثقافة والفكر في العصر الوطاسي من خلال كتاب الأستاذ محمد بنشقرون– الحياة الفكرية المغربية تحت المرينيين والوطاسيين**–" ، مجلة دعوة الحق ، السنة 31 ، العدد 337، 1998، الرباط، ص 33.

[5] – عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 25.

ب- نهاية الوطاسيين وظهور السعديين:

بعد ما كان المغرب الأقصى يعيش حالة من الضعف والفوضى السياسية التي خيمت على ربوعه طيلة القرن 9هـ/15م، وحالة من التدهور في الحياة الثقافية ، زامنه في ذلك التراجع الكبير في النشاط العلمي والفكري، إلى أن ظهرت في الأفق تحولات غيرت الأوضاع المتردية التي ميزت المنطقة طيلة القرن 15م/9هـ، فمنذ أن ظهر السعديون في المنطقة عرف المغرب الأقصى تغيرات عميقة، في شتى الميادين خاصة منها الفكرية والعلمية في النصف الأول من القرن10هـ/16 م واستمرت هذه التحولات خلال النصف الثاني من القرن 10هـ/16م[1] .

كان المغرب الأقصى يعيش وضعا متدهورا ومتأزما في أوائل القرن 10هـ/16م انتشرت فيه الفتن الداخلية وتوسعت خلاله الهجمات الأيبيرية على سواحله واحتلالها للعديد من المدن الهامة، وهو ما كان له الأثر البارز في تدهور الحياة الثقافية [2] من خلال فقدان البعض من المدن والمراكز الثقافية ازدهارها الثقافي ونشاطها العلمي خاصة مدينة مراكش، التي فقدت الكثير من نشاطها أيام الوطاسيين إلى تم إحياء النشاط الثقافي بها من جديد من قبل السعديين خاصة في عهد السلطان السعدي احمد المنصور[3].

ورثت الدولة السعدية منذ تأسيسها على أنقاض الوطاسيين أوضاعا متردية في المغرب الأقصى تميزت باحتلال الاسبان والبرتغاليين على بعض المناطق والثغور المغربية، إضافة إلى انحصار النفوذ السياسي لحكام فاس في بعض المدن وما جاورها، وتركت باقي المناطق لحالها ما فسح المجال لنشاط الأسرة السعدية في مدينة درعة بإقليم السوس، وتلقيها تأييدا شعبيا كبيرا خاصة وأنها اعتمدت في إرساء دعائمها في المنطقة على دعم رجالات التصوف ممثلين في الطريقة الصوفية الجزولية وشيوخها من أجل الذود عن البلاد والجهاد ضد المحتلين البرتغاليين للسواحل الأطلسية الجنوبية للمغرب[4].

---

(1) – محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ص 44.

(2) – محمود على عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص31.

(3) –الوفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تصحيح: هورداس، باريس ، 1888، ص 125.

(4) – ليفي بروفنصال : مؤرخو الشرفاء ، تعريب : عبد القادر الخلادي ، دار المغرب للطباعة والنشر ، الرباط، 1977، ص 78 .

وبعد استقرار الأوضاع في البلاد في فترة السعديين عرفت الحركة العلمية والثقافية نشاطا جديدا خاصة وأنها لقيت من سلاطينها كل الاهتمام والرعاية[1] وبدأ النشاط الثقافي في المغرب الأقصى يسترجع بعضا من بريقه، من خلال اهتمام السعديين بإنشاء المراكز الثقافية وتقدير العلماء، وحرصهم على نشر العلوم في مختلف ربوع المغرب الأقصى، وخاصة في فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي. وقد سار الحكام العلويون بعدهم على نفس النهج من حيث الاهتمام بالعلم ومراكزه وتقديرهم لأهله، وهو ما ساهم في جذب العلماء وطلبة العلم من مختلف المناطق خاصة من الجزائر.

خاتمة الفصل:

بفضل اهتمام سلاطين بني زيان في الجزائر وبني مرين في المغرب الأقصى بالعلم و العلماء، شهدت فترة حكمهم ازدهارا ثقافيا كبيرا شمل مختلف المجالات، كما كان للحكام والسلاطين الدور الكبير في تنشيط الحركة الثقافية وتشجيعها بفضل سياستهم القائمة عل بناء المؤسسات العلمية والدينية و جذب العلماء وتقريبهم منهم ومنحهم العطايا والهبات، وتشجيعهم على الكتابة والتأليف.

رغم الصراع السياسي الذي ميز العلاقات بين سلاطين الدولة الزيانية وسلاطين الدولة المرينية، إلا انه لم يؤثر على نمو الحركة الثقافية وتطورها، كما أن التوتر في العلاقات لم يؤثر على عملية التواصل الثقافي بين علماء البلدين، وذلك من خلال الرحلات التي كان يقوم بها العلماء وطلبة العلم بين مختلف المراكز الثقافية المتواجدة في كلا البلدين.

[1] – المقري : رسائل ، المصدر السابق ، ص 70.

الفصل الأول

• التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى في العصر الحديث

I- مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى.

II- مراكز التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى.

III- العوامل المتحكمة في التواصل الثقافي بين البلدين.

إن علاقات الجوار بين الجزائر والمغرب الأقصى – بالرغم من الاختلافات السياسية والمذهبية التي ميزتها – ساهمت إلى جانب عوامل أخرى في ترسيخ دعائم التواصل الثقافي بين البلدين خلال الفترة الحديثة، من خلال تجاوز مختلف العقبات السياسية والصراعات التي ميزت علاقات البلدين، وذلك ببروز رموز فكرية عديدة، ممثلة في طبقة العلماء والمثقفين، جسدت واقع التواصل الثقافي، تبعا للظروف السائدة في القطرين خلال الفترة الممدة بين القرنين 10هـ/16م و13هـ /19م.

تجلت مظاهر التواصل الثقافي في الزيارات المتبادلة بين العلماء والمثقفين في الجزائر والمغرب الأقصى لأغراض ودوافع مختلفة، مستندين في ذلك إلى التقارب الفكري و التشابه في التكوين العلمي بينهم، إضافة إلى ذلك تم تجسيد هذا التواصل بواسطة الإجازات والمراسلات، وحتى بعقد المناظرات بين العلماء حول مختلف القضايا، والانتقال بين مختلف المراكز الثقافية المتواجدة في كلا البلدين للاستفادة منها والأخذ عن علمائها.

وفي هذا الفصل سنتطرق إلى كل العناصر التي كان لها دور كبير في استمرار التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى ، دون أن نغفل الدور عن الهام للعلماء في ترسيخ الروابط الثقافية بالرغم من العوائق التي فرضتها التطورات السياسية والثقافية في المنطقة خلال الفترة الحديثة.

I- مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى:

تعد الصلات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى أنموذجا لعلاقات متميزة بين قطرين تربطهما الوحدة التاريخية والدينية والجغرافية، وذلك عبر فترات زمنية مختلفة، تعبر عن مدى التقارب الثقافي والفكري الكبير بين البلدين، بالرغم من التطورات والتغيرات السياسية التي حدثت في البلدين خاصة مع مطلع القرن 16م /10هـ.

فالتواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى له جذور تاريخية تعود إلى زمن الفتح الإسلامي، وامتد كذلك طوال الفترة الحديثة، كما تميز هذا التواصل بالوحدة الثقافية بين العلماء والمثقفين رغم الفراغات الكبيرة التي تركتها التطورات السياسية التي عرفتها المنطقة[1].

[1]– زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية – مقاربة سياسية ، ثقافية خلال القرن 10هـ/ 16م، ط 1، مطبعة الأمنية، الرباط، 2015، ص 383.

عرفت الفترة الحديثة من تاريخ بلاد المغرب الكبير تطورات جذرية مست مختلف الجوانب وخاصة منها السياسية، والمتمثلة في قيام الحكم العثماني في الجزائر[1] وتولي السعديين الحكم في المغرب الأقصى، إذ ساهمت هذه التطورات السياسية في تثبيت الصلات الثقافية بين البلدين وذلك من خلال حركة العلماء وانتقالهم من بلد إلى بلد آخر[2]، إذ لم تكن قضية الحدود والصراعات السياسية عائقا أمام العلماء وطلبة العلم للتوافد على المراكز الثقافية المتواجدة في كلا البلدين لدوافع مختلفة[3].

ساهمت العديد من الظروف والعوامل في ترسيخ التواصل الثقافي بين البلدين، وتجلى ذلك في عدة مظاهر كشفت لنا عن مدى الترابط الثقافي الموجود بين العلماء وطلبة العلم في البلدين خلال الفترة التاريخية الممتدة بين القرنين (10-13هـ/ 16-19م)، وتتمثل أهم هذه المظاهر فيما يلي:

أ- طلب العلم والإجازة:

لم تنقطع الصلات الثقافية بين بلدان المغرب حتى بعد ظهور الدويلات المتصارعة فيما بينها، وحتى بعد انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية مطلع القرن 10هـ/16م، بل ظل العلماء والمثقفون ينتقلون من بلد إلى آخر دون قيود أو حواجز تمنعهم من ذلك طيلة الفترة الحديثة[4].

تميزت الصلات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة بحركية كبيرة ساهمت في تثبيت دعائم التواصل الثقافي بين البلدين، وتنشيط الحياة الثقافية والفكرية في كلا القطرين، من خلال توافد أعداد كبيرة من العلماء على المراكز الثقافية المختلفة لطلب العلم أو لتولي مهمة التدريس بها، سواء في الجزائر أو في المغرب الأقصى،

---

(1)- ابن المفتي: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع وتقديم: فارس كعوان، ط 1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص 80.

(2)- عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية- دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية-، ط2، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، د ت، ص 40.

(3)- أرزقي شويتام : " **العلاقات الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)** "، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 13، 2011، الجزائر ، ص80.

(4)- محمد حجي : الحركة ، المرجع السابق ، ص 68.

والاستفادة من شتى العلوم والمعارف التي كانت منتشرة في تلك الفترة وخاصة منها العلوم الدينية والأدبية[1].

عرفت الفترة الحديثة من تاريخ الجزائر والمغرب الأقصى حركة واسعة للعلماء وطلبة العلم، من خلال انتقالهم من قطر إلى آخر دون أية حواجز تمنعهم من ذلك، إذ كانت نظرة العلماء من كلا البلدين إلى هذه الحركة نظرة تعبر عن مدى التقارب الكبير بين مجتمعات البلدين، فكانت كل المدن والحواضر سواء في الجزائر أو في المغرب الأقصى تمثل مركزا واحدا للعلماء وطلبة العلم، لكونها تمثل حواضر إسلامية تجمع كل العلماء المسلمين دون الأخذ بفكرة القطرية والحدود المزعومة التي طغت في الأفق في ظل الصراعات السياسية المتواصلة بين حكام البلدين.

وقد وُصفت عملية انتقال العلماء النشطة البلدين بين مختلف المراكز الثقافية بما يلي: "... و تنقل المثقفين والدارسين بين المغرب والجزائر كتنقل ساكن القطر الجزائري بين وهران[2] وتلمسان، وساكن المغرب بين فاس ومكناس[3]..." [4]، وهذه ميزة تميز بها العلماء وطلبة العلم في كلا البلدين خاصة خلال القرنين 10و11هـ/ 16 و17م، وبصفة أقل في القرن 12هـ/18م، وهذا دليل واضح على الحركة النشطة التي ميزت العلاقة بين الجزائر والمغرب الأقصى في إطار التبادل الثقافي بين العلماء والمثقفين وطلبة العلم، بالرغم من العوائق الحدودية والصراعات السياسية التي طغت على علاقاتهما .

---

[1]– إبراهيم حركات : التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط2 ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1994، ص 23.

[2] – هي مدينة كبيرة بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ المتوسط ، بعيدة بنحو مائة وأربعين ميلا من تلمسان.

أنظر:– الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج2، ص 30.

أنظر أيضا :– ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت ، 1977، ج 5 ، ص 385.

[3]–مدينة كبيرة بالمغرب الأقصى أسستها قبيلة مكناسة وتبعد عن فاس بنحو ست وثلاثين ميلا.

أنظر:– الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 1، ص 214.

[4]–إبراهيم حركات : التيارات، المرجع السابق، ص 23–24.

كان الهدف الأساسي لأولئك العلماء والمثقفين وطلبة العلم هو التعرف على مختلف العلوم التي كانت منتشرة في كلا البلدين، والالتقاء بكبار العلماء ومجالستهم والاستفادة منهم، وحضور حلقات تدريسهم والحصول على إجازتهم، وهذه الإجازة تعد بمثابة شهادة يتسلمها طالب العلم من طرف المشايخ الذين درس عليهم، وتمنحه الحق في تدريس العلم الذي تلقاه عن هؤلاء العلماء والمشايخ بنفس السند الذي درس به[1].

وبعد الاستفادة من شتى أنواع العلوم والمعارف والحصول على الإجازات، يعود طلبة العلم والعلماء إلى أوطانهم لمواصلة نشاطهم العلمي، والبعض الآخر كان يفضل الاستقرار في ذلك البلد الذي هاجر إليه، بسبب توفر الظروف الملائمة التي تشجع على النشاط العلمي والفكري، إضافة إلى المناصب المختلفة التي يتولاها أولئك العلماء خاصة في مجال القضاء والإفتاء والتدريس[2].

خلال الفترة التاريخية التي نحن بصدد دراستها، حصل العديد من العلماء وطلبة العلم سواء من الجزائر أو من المغرب على إجازات تسمح لهم بتدريس ما اكتسبوه من علوم ومعارف عن مشايخهم في مختلف فنون العلم، ومن أمثال هؤلاء نذكر من الجزائر عبد الرزاق ابن حمادوش[3] الذي قصد المغرب الأقصى في رحلة عام 1156هـ /1743م للتجارة وطلب العلم، وخلال هذه الرحلة جالس العديد من العلماء وحصل على إجازتهم على غرار الإجازات التي منحها له علماء المغرب[4] أمثال أحمد الورزازي و عبد السلام بناني[5]، وغيرها من الإجازات التي حصل عليها من عديد العلماء أثناء فترة تواجده بالمغرب الأقصى[6].

---

[1]– إبراهيم حركات: التيارات، المرجع السابق، ص 34.

[2]– أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني– 1519–م 1830–، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر(منشورة)، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر، 2006، ص327.

[3]– هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بان حمادوش الجزائري المولود بمدينة الجزائر سنة 1695م ، عرف برحلاته مشرقا ومغربا، وتوفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان وتاريخ مجهولين.

أنظر: ــ ابن حمادوش: : لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال ، تقديم وتحقيق : أبو القاسم سعد الله، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر ، 2007، ص 9.

[4]– أنظر الملحق رقم :06.

[5]– إبراهيم حركات: التيارات، المرجع السابق، ص 23.

[6]– ابن حماد وش: المصدر السابق، ص 29، 37.

كما أن هناك العديد من علماء المغرب الأقصى الذين توافدوا على الجزائر لطلب العلم والاستفادة من علمائها، وكذلك الحصول على الإجازة من كبار العلماء في مختلف الحواضر العلمية في الجزائر، من أمثال ابن زاكور الفاسي الذي حل بمدينة الجزائر أواخر القرن 11هـ / 17م، ودرس على علمائها وحصل على العديد من الإجازات، مثل الإجازة[1] التي منحها له الشيخ العالم عمر بن محمد المانجلاتي[2]، والإجازة التي أجازه بها العالم سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري[3] وغيرهم من العلماء الذين تدارس معهم كما ذكر ذلك في رحلته[4].

كانت هذه الحركة النشطة بين علماء البلدين هامة جدا، كون هؤلاء العلماء يمثلون مدارس متنقلة ومكتبات مفتوحة ساهمت في تبادل المعارف والأفكار، مما أفرز نوعا من التنافس فيما بينهم عن طريق عقد المناظرات العلمية والفكرية [5]، وهذا ما سمح لعلماء البلدين بتحقيق شيء من الوحدة الثقافية والفكرية وتجاوز كل العقبات والعراقيل خاصة السياسية منها، في ظل المشاكل والأزمات التي تعاني منها المنطقة سواء الداخلية منها أو الخارجية[6].

---

[1]– أنظر الملحق رقم: 07.

[2]– المانجلاتي: عمر بن محمد بن عبد الرحمان ، فقيه وأصولي كبير كان من أكبر علماء مدينة الجزائر توفي بها في 1104هـ /1693م .

أنظر: ــ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض، 1980، الثقافية، بيروت، ص 318.

[3]– هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة مفتي مدينة الجزائر وفقيهها وهو عالم تونسي الأصل جزائري المولد والنشأة، أخذ العلم عن سعيد المقري، وتوفي سنة 1066هـ.

أنظر: الوفراني: صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث المغربي ، المغرب، 2004 ، ص 220.

أنظر أيضا: عادل نويهض: المرجع السابق ، ص 259.

[4]– ابن زاكور: نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، تحقيق: مصطفى ضيف و محفوظ بوكراع ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011، ص 45–49.

[5]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق، ج 1 ، ص 444.

[6]–ابن خروف: العلاقات الاقتصادية الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العشر هجري/ السادس عشر ميلادي ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ج2، ص 136.

ثانيا: المناظرات والمراسلات:

اتسمت العلاقات بين علماء البلدين بميزة هامة تمثلت في عقد مناظرات فكرية يتم خلالها مناقشة العديد من المسائل الدينية والفكرية، وتبادل الرسائل فيما بينهم بخصوص المسائل الفقهية العالقة، ومحاولة الوصول إلى الإجابة الصحيحة لها[1]، خصوصا وأن علماء البلدين يشتركون في العديد من المميزات والخصائص، مثل التشابه الكبير في تكوينهم العلمي والفكري عبر الفترات التاريخية المختلفة[2].

تعد ظاهرة المناظرات وتبادل الرسائل بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى من المظاهر الهامة التي تدل على عمق الترابط الثقافي بينهم، في ظل الواقع الثقافي المشترك والتشابه في التكوين العلمي لعلماء البلدين، وخاصة في يتعلق بتلك التأثيرات التي خلفها أولئك العلماء في مختلف الجوانب خاصة الجوانب الثقافية والاجتماعية[3].

تعددت دوافع وأسباب عقد المناظرات وتبادل الرسائل بين علماء البلدين، من خلال الظروف التي كانت سائدة في تلك الفترة سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، كالصراعات السياسية بين الدويلات الحاكمة في كل من الجزائر والمغرب، والغزو الاسباني والبرتغالي لسواحل البلدين، وكذلك الانتشار الواسع للتصوف بكل أشكاله في ربوع القطرين[4].

شمل مضمون تلك المناظرات القضايا الدينية والفكرية والمسائل الفقهية العالقة، من خلال محاولة كل عالم إثبات مدى تضلعه في العلم وتفوقه على نظرائه أثناء المناظرة أو المناقشة، ومن أمثله هذه المناظرات بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى تلك المناظرات التي قام بها ابن حمادوش الجزائري مع العديد من علماء المغرب الأقصى، إذ ذكر في رحلته أنه تناظر مع شيخه الورززي حول قضية تفضيل الملائكة على الأنبياء، وأثبت له من خلالها على مدى تمكنه في العلم، وهو ما دفع شيخه الورززي إلى إجازته[5].

---

(1)– ابن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 133.

(2)– محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج 1، ص 68.

(3)– ابن خروف : المرجع السابق ، ج 2، ص 136.

(4)–نفسه، ص 133.

(5)– ابن حمادوش: المصدر السابق، ص 65–66.

أما المراسلات التي كان يتراسل بها علماء البلدين فتضم كذلك القضايا الفكرية والدينية والمسائل الفقهية الغامضة، إذ يتناقش فيها العلماء لتوضيحها، مثل المناقشات التي دارت بين محمد الخروبي الجزائري وعلماء مدينة فاس حول فكرة النفي في قول " لا إله إلا الله"[1]، وبعض المناقشات التي قام بها أبو راس الناصري مع علماء فاس حول قضايا مختلفة خلال الرحلة التي قام بها إلى المغرب الأقصى خلال القرن 13هـ/ 17م[2]، إضافة إلى ذلك، كانت تلك الرسائل تحتوي على قضايا مختلفة في صورة ألغاز يتداولها العلماء فيما بينهم، كما أن تلك المراسلات تضمنت بعض القضايا المتعلقة بالحياة الاجتماعية لمجتمعات البلدين، والتي تخص الحياة اليومية للسكان مثل " عادة التدخين " من خلال إبراز تأثيرها على المجتمعات وإصدار الأحكام الشرعية المتعلقة بها [3].

ثالثا: حركة الهجرة المتبادلة:

نتيجة التطورات التي شهدتها كل من الجزائر والمغرب الأقصى مطلع الفترة الحديثة، خاصة على الصعيد السياسي، حدثت تغيرات كبيرة على مسار العلاقات بين البلدين، مما كان له الأثر البارز على الحركة الثقافية ونشاطها، من خلال عملية الهجرة التي ميزت علماء ومثقفي القطرين بمختلف أشكالها، والتي تعتبر مظهرا من مظاهر التواصل الثقافي في تلك الفترة، وحركة الهجرة هذه تختلف من فئة إلى أخرى حسب الظروف التي كانت تعيشها، وحسب الأوضاع السائدة في كل بلد، كما أنها تختلف بين علماء البلدين، سواء بالهجرة الإجبارية أو الهجرة الطوعية[4].

تميزت عملية الهجرة لدى علماء ومثقفي البلدين بالتباين، خاصة وأن الجزائر أصبحت أيالة عثمانية مطلع القرن 10هـ/16م، في حين أصبح المغرب الأقصى تحت حكم السعديين وبعدهم العلويين، وقد كانت حركة الهجرة الإجبارية ميزة ميزت علماء ومثقفي الجزائر بصفة خاصة، بسبب تغير الأوضاع في الجزائر نتيجة السياسة التي انتهجتها

---

(1)– عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، المغرب، د ت، ج 2، ص 376.

(2)– أبو راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت ، ص 102–104.

(3)– محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج2 ، ص 258–260.

(4)– ابن خروف: المرجع السابق، ج 2 ، ص 111.

الإدارة العثمانية والتي لا تشجع على النشاط الثقافي والإبداع الفكري، إضافة إلى انحصار النشاط الثقافي والفكري في مجالات محدودة ترتكز في غالبيتها على العلوم الدينية، وهو ما أدى إلى انتشار ظاهرة التصوف بكثرة[1].

انصب اهتمام العلماء في الجزائر على علوم الفقه وأصوله والتفسير والحديث، مما جعل الثقافة في الجزائر خلال تلك الفترة دينية أكثر منها أدبية وعلمية، لاسيما في الزوايا التي كانت منبعا للعلوم الدينية[2] ، إضافة إلى الإهمال الذي مس فئة العلماء، وإغفال دورهم في الحياة العامة، مما دفع بغالبيتهم إلى الهجرة[3]، وهذا ما أثر على الحياة الثقافية خاصة في الغرب الجزائري، خصوصا مدينة تلمسان[4] والتي تعتبر مركزا ثقافيا وعلميا هاما في الجزائر، حيث عرفت هذه المدينة هجرة جماعية لعلمائها نحو مدن المغرب الأقصى[5] خلال القرن 10هـ/16م، كما أن النشاط الثقافي في الجزائر عرف تراجعا بسبب الاضطرابات السياسية والفوضى والفتن التي عمت البلاد، عكس ما هو عليه الحال في المغرب الأقصى، أين اهتم ملوك الدولة السعدية وبعدهم ملوك الدولة العلوية بالعلم والعلماء، وبالمراكز الثقافية والمؤسسات العلمية وعملوا على تشجيع النشاط الثقافي والفكري وتدعيمه بالرغم من حدوث اضطرابات سياسية في بعض المناطق في المغرب الأقصى[6].

وعلى هذا الأساس، وفي ظل هذه الظروف ولّى علماء الجزائر وجوههم شطر المغرب الأقصى ومراكزه الثقافية بحثا عن الأمن والاستقرار ومواصلة نشاطهم الفكري والعلمي ، وسنتطرق إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الفصل الثاني، ونورد من

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر ، الجزائر ، 2007، ج 3، ص186.

[2]– محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 57.

[3]– رشيدة شدري معمر : العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر –فترة الدايات 1671–1830– ، مذكرة ماجستير ، غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ، 2006، ص 33.

[4]– يتألف اسمها من كلمتين بربريتين (تلم و سان) ومعناها تجمع اثنين الصحراء والتل ، وتشرف على ساحل بحري يجثم تحت أقدامها ...و لا تبعد كثيرا عن الهضاب العليا والصحراء ذات الطبيعة والمناخ الصحراوي.

أنظر:ــ يحي بوعزيز : تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 5.

[5]–محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق ، ،ج2 ، ص355.

[6]– زهراء النظام: المرجع السابق، ص 395.

خلاله أمثلة ونماذج عن العلماء والمثقفين الذين هاجروا من الجزائر إلى المغرب الأقصى خلال الفترة التاريخية قيد الدراسة.

II- مراكز التواصل الثقافي بين البلدين [1]:

تعتبر المراكز الثقافية من أهم الوسائل التي رسخت مبادئ التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى من خلال انتشارها في مختلف أنحاء القطرين واحتوائها على مؤسسات علمية وثقافية كبيرة، كانت بحق مقصدا للعلماء والمثقفين سواء لطلب العلم والدراسة أو لنشر العلم والتدريس فيها.

1- المراكز الثقافية في الجزائر:

من المراكز الثقافية الهامة في الجزائر، والتي كان لها الدور البارز في تنشيط الحركة الثقافية، وكانت مقصدا للعلماء وطلبة العلم من مختلف المناطق خاصة من المغرب الأقصى نجد:

- تلمسان:

كانت تلمسان خلال العصور الإسلامية السابقة عاصمة سياسية وثقافية، كما أنها كانت عاصمة للدولة الزيانية عرفت خلالها نشاطا كبيرا على مختلف الأصعدة[2]، وعرفت المدينة قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر ازدهارا ثقافيا كبيرا من خلال الانتشار الواسع للمدارس التعليمية واهتمام العلماء بالتدريس والتثقيف خاصة في ميدان العلوم الدينية، وقد ساهم في ازدهارها الثقافي موقعها الجغرافي الهام، خاصة وأنها تعتبر منطقة عبور للقوافل التي تأتي من المشرق أو من المغرب[3] .

مرت مدينة تلمسان بمراحل تاريخية مختلفة أدت إلى تراجع مكانتها الثقافية و هو ما أدى إلى هجرة علمائها، وذلك بعد تعرضها للتحرشات الاسبانية والنزاعات والفتن الداخلية حول الحكم داخل الأسرة الزيانية في أواخر حكمها، إضافة إلى التدخل السعدي لمحاولة

---

[1]- أنظر الملحق رقم: 01.

[2]- أحمد سليماني: تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر ، 2007، ص 86.

[3]- يحي بوعزيز: تلمسان المرجع السابق، ص 5-6.

ضمها إلى مملكتهم، إلى أن تدخلت السلطة العثمانية في الجزائر وضمتها إليها سنة 1554م في فترة حكم البايلرباي صالح رايس[1].

وقد عرفت مدينة تلمسان نشاطا ثقافيا هاما خلال فترة الحكم العثماني، سواء بعلمائها أو بالوافدين عليها خاصة من المغرب الأقصى، بالرغم من افتقادها للحيوية التي كانت تتمتع بها من قبل[2].

– مدينة الجزائر:

لم تُعرف مدينة الجزائر كمركز ثقافي مثل تلمسان و بجاية إلا بعد دخول العثمانيين إلى الجزائر، ثم تحولت بعدها إلى مركز سياسي يعرف بدار السلطان، فاستقطبت بذلك جموع السكان من كل الطوائف خاصة منهم العلماء والفقهاء الذين وفدوا عليها من كل الأقطار[3]، إذ عرفت فيها الحركة الفكرية والعلمية تطورا كبيرا واتسع فيها أفق العلم والمعرفة لدى العديد من العلماء والمثقفين[4]، وبنيت بها المؤسسات التعليمية خاصة المساجد والزوايا، وقصدها طلبة العلم من كل الجهات، وبرز فيها العديد من العلماء الذين كان لهم دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية والعلمية، وبلغت شهرتهم مختلف المناطق سواء داخل الجزائر أو خارجها.

قصد مدينة الجزائر العديد من العلماء من المغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة لأسباب ودوافع مختلفة، حيث أقاموا بها وأخذوا على علمائها وتدارسوا العلم مع طلبة العلم بها، فهي كما وصفها ابن زاكور الفاسي في رحلته بقوله : " ...والذي أعارها ذلك المرأى الجميل، وأصارها فضية الصباح، عسجدية الأصيل، وألحفها بهجة وإشراقا، وألبسها نضرة وإبراقا،...غررُ أعلام ينجلي بهم الإظلام، وشموس أئمة تنفرج بهم كل غمة،.... طلعوا في

---

[1]– من أصل كرغلي عين بايلربايا على الجزائر ما بين 1552–1556م عرف بفتوحاته الكبيرة، وفي عهده تم إلحاق مدينة تلمسان بالسلطة المركزية بعد إنهاء دولة الزيانيين.

أنظر: ـــــ يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007، ص 19–20.

[2]– ابن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 160.

[3]– أحمد سليماني: المرجع السابق، ص 76.

[4]– يحي بوعزيز : الموجز، المرجع السابق، ص67.

بروج سعودها بدورا، ألبسوها رواء ونورا..."[1]، وهذا الوصف يعبر عن مدى التحول الكبير الذي عرفته مدينة الجزائر منذ أصبحت مركزا للسلطة العثمانية الحاكمة .

فمن خلال ما أورده ابن زاكور الفاسي عن مدينة الجزائر خلال تواجده بها في القرن 11هـ /17م ، يتضح أن المدينة كانت تتميز بحركية ثقافية كبيرة خاصة في ظل تواجد العديد من العلماء والفقهاء المشاركين في عدد من العلوم والذي كان لهم دور كبير في نشر العلم والتدريس في المدينة[2].

فمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية أصبحت من بين أهم المراكز الثقافية في الجزائر، وقد ساعدها على ذلك مكانتها السياسية كمقر للسلطة الحاكمة، والتوافد الكبير للعلماء وطلبة العلم عليها، إذ أن مدينة الجزائر كانت خلال تلك الفترة تزخر بثرائها الثقافي ونشاطها العلمي من خلال كثرة علمائها وتضلعهم في مختلف الفنون والعلوم خاصة منها العلوم الدينية، كما وصفها التمغروتي في رحلته : "...وطلبة العلم بها لا بأس بهم والكتب فيها أوجد من غيرها في بلاد إفريقيا، وتوجد بها كتب الأندلس كثيرا... "[3].

كل هذا جعلها قبلة للعديد من العلماء وطلبة العلم خاصة من المغرب الأقصى بالرغم من أنها لا تملك مركزا تعليميا كبيرا أو جامعة تتوفر على هيئة تدريس كبيرة على غرار ما هو في الزيتونة بتونس وفي القرويين بالمغرب الأقصى[4] ، إذ كان التعليم يزاول بها في المساجد والمدارس والتي كانت منتشرة في مختلف أنحاء المدينة[5]، كما عرفت مدينة الجزائر تواجد العديد من العلماء الذين كانت لهم شهرة واسعة في ميدان العلوم خاصة الشرعية منها[6]، على غرار سعيد بن إبراهيم قدورة وعمر بن محمد المانجلاتي وغيرهم ممن مساهم في تنشيط الحياة الفكرية في المدينة.

---

(1)– ابن زاكور: المصدر السابق ، ص 40.

(2)– نفسه، ص 45–49.

(3)– التمغروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية ، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشادلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002، ص 129.

(4) – أبو القاسم سعد الله: أبحاث، المرجع السابق، ج5، ص 174.

(5) – VENTURE DE PARADIS : Alger au 18éme siècle , Fagnan , Alger , 1898, p 157.

(6) – أشرف صالح محمد سيد : " **المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي**" ، مجلة أمارباك، (مجلة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا) ، العدد 7، 2013، د م ، مج 4، ص 64.

– قسنطينة[1] :

كانت مدينة قسنطينة خلال فترة الحكم العثماني في الجزائر تكتسي أهمية كبيرة في العديد من النواحي، حيث كانت تحتل المرتبة الثانية بعد مدينة الجزائر في الأهمية من الناحية السياسية والاقتصادية والثقافية في ظل تراجع مكانة تلمسان ووقوع وهران تحت سيطرة الأسبان[2].

كانت قسنطينة خلال تلك الفترة من المدن الراقية كما وصفتها التمغروتي في رحلته : " ...واسعة جدا مسورة كثيرة الأبواب والعمارة والمساجد والجوامع والأسواق والحمامات والفنادق..."[3]، كما أنها كانت تحتوي على أكثر من مائة جامع ومسجد وزاوية وكتاب، كما عرفت انتشارا كبيرا للأئمة والوعاظ ومعلمي القرآن والمدرسين لمختلف العلوم خاصة منها الدينية والأدبية[4] .

وعلى هذا الأساس كانت مدينة قسنطينة مقصدا لطلبة العلم من مختلف المناطق سواء من الجزائر أو من المغرب الأقصى للدراسة على علمائها والتدريس بمؤسساتها التعليمية، حيث قصد العديد من علماء المغرب الأقصى هذه المدينة من أمثال أحمد الفاسي الذي حل بمدينة قسنطينة ودرس على علمائها، إلا أنه انحرف بعد ذلك وساءت أخلاقه[5]، ومحمد التواتي الذي تولى التدريس في قسنطينة[6]، وقد اشتهر بعلمه وورعه وكثر طلابه وتخرج على يده الكثير من العلماء من أمثال عبد الكريم الفكون وغيره [7].

---

[1]– قسنطينة: مدينة قديمة بناها الرومان ... وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية ..... بالإضافة إلى أنها تقع في أعلى قمة على الجبل.

أنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2 ، ص

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 175.

[3]– التمغروتي : المصدر السابق، ص 90.

[4]– ابن العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ، مراجعة وتقديم: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ص 24.

[5]– عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ت، ص 97 – 98.

[6]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ ، المرجع السابق، ج1 ، ص 440–441.

[7]– عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص 58–59.

كما أن المؤرخ المغربي المشهور أبو القاسم الزياني قد زار العديد من المدن الجزائرية أواخر القرن 12هـ/18م، وخاصة مدينة قسنطينة التي مكث فيها واجتمع بالعديد من علمائها وفقهائها، واستمع إليهم وأخذ من علمهم، كما ذكر ذلك في مؤلفه المشهور " الترجمانة الكبرى"[1].

إضافة إلى هذه المدن التي ذكرناها، هناك العديد من المدن والمراكز الثقافية الهامة في الجزائر خلال تلك الفترة والتي كانت تشع بالعطاء العلمي والفكري، ومن بينها:

- معسكر:

برزت العديد من المدن الهامة خلال العهد العثماني، والتي كان لها أثر بارز في النشاط الثقافي في تلك الفترة، ومن بينها مدينة معسكر التي أصبحت عاصمة للسلطة العثمانية في الغرب الجزائري (بايلك الغرب)، حيث اتخذها العثمانيون مقرا لسلطتهم إلى غاية فتح وهران وتحريرها من الاسبان، وبما أنها عاصمة لبايلك الغرب فقد زادت أهميتها السياسية والثقافية، وهو ما ساهم في تطور النشاط الثقافي والعلمي بها خاصة في فترة حكم الباي محمد الكبير[2]. كما عرفت مدينة معسكر نشاطا ثقافيا واسعا بفضل انتشار المؤسسات العلمية والدينية من مساجد وزوايا، كما بنيت فيها العديد من المدارس مثل المدرسة المحمدية التي بناها الباي محمد الكبير، وكانت تزاول فيها مختلف الأنشطة العلمية ، واشتهرت المدينة بالعديد من العلماء على غرار عائلة المشرفي وأبو راس الناصري وغيرهم ممن كان لهم دور في النشاط الثقافي بمدينة معسكر[3].

- مازونة: من المراكز الثقافية الهامة التي تميزت بثرائها العلمي والفكري وبتخصصها في العلوم الدينية والشرعية، حيث أصبحت قبلة للعلماء وطلبة العلم خلال الحكم العثماني[4] ، فهي كما ذكرها أبو راس الناصري بقوله: "...وكثرة مجالسها، ونجابة

---

[1]– الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، دار المعرفة، الرباط، 1991، ص 53-54.

[2]– ابو القاسم سعد الله: تاريخ، المرجع السابق، ج1، ص 183.

[3]– عبيد بوداود: معسكر المجتمع والتاريخ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص16-17.

[4] – كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر (1850-1951)، مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث، قسم التاريخ، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2008، ص 8.

طلبتها، وقريحة علمائها..." [1] ، كما أنها ساهمت بشكل كبير في تنشيط الحركة العلمية في الغرب الجزائري من خلال توفرها على مراكز علمية هامة مثل المدرسة التي بناها الأندلسيون وبعض المساجد والزوايا وضمها للعديد من العلماء ، وذلك لكونها العاصمة الأولى للعثمانيين في الغرب الجزائري.

- المدية:

لم تكن مدينة المدية قبل مجيء العثمانيين إلى الجزائر في تلك الحالة التي آلت إليها خلال فترة حكم العثمانيين، فبعد استقرار السلطة العثمانية في الجزائر قسمت الجزائر إلى ثلاثة مناطق هي (بايلك الشرق، بايك الغرب، بايلك التيطري)، واتخذ العثمانيون من مدينة المدية عاصمة لبايلك التيطري، وبذلك بدأت مدينة المدية تزدهر وتنموا فيها المظاهر الحضارية، من تشييد للقصور بمختلف أنواعها، وبذلك بدأت الحركة الثقافية تنتعش فيها بفضل مختلف المؤسسات الدينية والعلمية التي بنيت فيها، وشهدت إقبالا كبيرا من السكان للاستقرار فيها لما يتوفر فيها من الأمن والاستقرار[2].

- بسكرة:

تعتبر من أقدم المدن الجزائرية، وهي مدينة تتوفر فيها سبل العيش والرخاء كما عبر عن ذلك الرحالة الذين قصدوها، مثل ما ذكره العياشي في رحلته: " ...مع أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توافر أسباب العمران فيها قد جمعت بين التل والصحراء..."[3] ، كما أنها تحتوي على خيرات كثيرة ومرافق هامة كما ذكر الدرعي ذلك في رحلته: " وبسكرة مدينة كبيرة كثير ة النخل والزيتون وأصناف الثمار ، وهي قرية مسورة فيها جامع ومساجد وحمامات كثيرة..."[4]، وهذا تعبير على مدى توفر هذه المدينة على عوامل مساعدة على الاستقرار بها، إلا أن التطورات التي شهدتها الجزائر منذ

---

[1] – أبو راس الناصري: فتح الإله ...، المصدر السابق، ص 43.

[2] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ، المرجع السابق، ج1، ص182.

[3] – العياشي: الرحلة العياشية– 1661–1663–، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي، و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، ط 1، 2006، ج2 ، ص 540.

[4] – الدرعي: رحلة الدرعي، مخطوط ، خزانة المذهب المالكي– مكتبة شاملة لمؤلفات ومصنفات السادة المالكية في مختلف العلوم الإسلامية–، ج 1، ص 41.

انضمامها إلى الدولة العثمانية مطلع القرن 10هـ/16م، لم تسهل عملية التطور الثقافي بالمنطقة.

شهدت مدينة بسكرة خلال فترة الحكم العثماني تقلبات كثيرة منذ إلحاقها بالسلطة العثمانية في الجزائر نهائيا سنة 1552م[1]، من خلال الإشارات التي توحي بأن هذه المدينة عانت من السياسة المجحفة للسلطة العثمانية مما أفقدها نوعا من الاستقرار والتطور خاصة في المجالات الثقافية ، وهو ما ذكره الرحالة العياشي في رحلته: " ...فملكوا البلاد وضروا بأهلها وأجحفوا بهم في الخراج ولم يقدروا على الخروج عليهم....وقد أشرفت على الخراب..."[2].

عرفت مدينة بسكرة تواجدًا لبعض العلماء والفقهاء والصالحين، بالرغم من الأوضاع المتردية التي عرفتها منذ إلحاقها بالسلطة العثمانية، إلا أنها لم تشهد نشاطا ثقافيا كبيرا بسبب قلة العلماء وانقطاعهم للزهد والعبادة ، وعدم وفرة المؤسسات العلمية بها مما أدى إلى قلة أعداد طلبة العلم بها ، وهو ما أكده العياشي في رحلته[3].

كما أن هناك بعض المراكز الثقافية الأخرى مثل **بجاية** والتي فقدت مكانتها العلمية والاقتصادية بسبب التطورات التي عرفتها المنطقة منذ احتلالها من طرف الأسبان سنة 1510م، الأمر الذي أدى إلى هجرة سكانها وعلمائها إلى مناطق أخرى خاصة نحو منطقة **زواوة** والتي تميزت بانتشار الزوايا التي قدرت بحوالي خمسين زاوية ما ساعد على انتشار العلم ووفرة العلماء ، وبذلك ساهمت في إثراء الحياة الثقافية في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني، وكانت مقصدا للعديد من العلماء من مختلف المناطق سواء من داخل الجزائر أو من خارجها[4].

---

[1]– مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج2، ص 16.

[2] – العياشي : المصدر السابق، ج 1، ص 540.

[3] – أشار العياشي إلى ذلك بقوله: "... وقد لقيت بها سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين ممن جمع بين العلم والعمل والزهد والورع، وصدق التوجه إلى الله واسمه سيدي بوطيب نصير ، لم تر عيني قبله ولا بعده أمثل منه في هديه وسمته ...".

أنظر: المصدر نفسه، ج2، ص 540.

[4]– كمال خليل: المرجع السابق، ص 22.

- علاقة الحكام بالنشاط الثقافي في الجزائر خلال الحكم العثماني:

تشير العديد من الدراسات إلى تدهور الحياة الثقافية في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني، وأن الجزائر في تلك الفترة كانت تفتقد إلى مركز ثقافي كبير يجمع شتات العلم والعلماء وطلبة العلم على غرار ما هو في تونس والمغرب الأقصى، وأن حكام الجزائر كانوا عسكريين وليس لهم باع في العلم مثل ما هو الحال بالنسبة لسلاطين المغرب الأقصى.

ركزت السلطة العثمانية في الجزائر جل اهتماماتها على الجانب السياسي والعسكري رغبة منها في تحقيق السيطرة الكاملة على المنطقة والحفاظ على أمنها وسلامة ممتلكاتها، وتوسيع نفوذها إلى الجهة الغربية، في ظل الظروف التي مرت بها منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط بسبب الصراع المتواصل مع الدول والممالك المسيحية خاصة مملكة إسبانيا[1].

إلا أن هذا لم يمنع من استمرار النشاط الثقافي والعلمي في مختلف المدن الجزائرية، والتي ظلت محافظة على تراثها الثقافي والفكري، ونبغ فيها العديد من العلماء والأدباء في مختلف فنون العلم والأدب، كانوا حجة في العلم والأدب و وصلت شهرتهم إلى مختلف الأقطار مشرقا ومغربا[2]، وكل ذلك كان دافعا قويا للعلماء للإبداع والتأليف في مختلف العلوم والفنون لخدمة العلم و إنعاش الحياة الثقافية في الجزائر من خلال ما جادت به قرائحهم[3]، بفضل ما أولاه بعض الحكام من اهتمام بالعلم والتعليم، وبناء المدارس والمساجد، واقتناء الكتـــب وتأسيس المكتبات.

---

(1) – حكمت ياسين: " **الغزو الاسباني لمدينة الجزائر في القرن السادس عشر– أسبابه ، مراحله، نتائجه–**" ، مجلة الأصالة، العدد 14–15، 1973، الجزائر، ص245–246.

(2) – يحي بوعزيز: الموجز ، المرجع السابق، ج2، ص 67.

(3) – الطاهر سبقاق: "**إسهامات الجزائريين في الحقل الثقافي السوري بين 1245–1332 هـ/1830–1914م**" ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 11، 2011، الجزائر ، ص 169.

ومن بين هؤلاء الحكام نذكر "صالح باي " الذي كان بايا على قسنطينة في أواخر القرن 12هـ/18م، والذي ينحدر أصله من مدينة أزمير، إذ عرفت فترة حكمه انتعاشا كبيرا في شتى الجوانب خاصة من الناحية الثقافية والعلمية، من خلال بنائه العديد من المساجد و المدارس مثل مسجد "سيدي الكتاني" والمدرسة الملتصقة به[1]، كما أنشأ المكتبات ، واقتنى العديد من الكتب والمخطوطات وخصص منحا لطلبة العلم ، وعلى هذا الأساس شهدت منطقة بايلك الشرق خلال فترة حكمه نهضة علمية هامة، من خلال حركة التعليم التي كانت نشطة في مختلف المساجد والزوايا والكتاتيب التي أنشأها وخصص لها أوقافا كثيرة [2].

أما بالنسبة للشخصية الأخرى والتي كان لها الأثر البارز في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية في الغرب الجزائري ، فتتمثل في الباي " محمد بن عثمان الكبير" الذي عينه الداي "محمد عثمان باشا " بايا على الغرب الجزائري سنة 1779م [3]، والذي عرفت فترة حكمه تطورات سياسية هامة، مثل استرجاع مدينة وهران من الأسبان سنة 1792م/1206هـ [4]، كما ركز اهتمامه على إحياء الجوانب الثقافية والعلمية في المنطقة، حيث عمل على استقطاب جموع العلماء واستمالتهم إليه، كما أشارت إليه الروايات التاريخية بأنه كـــــان:

---

(1) – أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791 –سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده – ، دار البصائر، الجزائر ، 2009، ص 159–160.

(2) –أبو القاسم سعد الله : أبحاث ، المرجع السابق، ص 188.

(3) – أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 166.

(4) — ذكر الحاج أحمد الشريف الزهار في مذكراته عن تحرير مدينة وهران: " وفي سنة الست (1206هـ/1792م) فتح الباي محمد وهران من يد الاسبانيول وكان محاصرا لها، وأطال الحصار عليها حتى سلموا وخرجوا منها ، وجاءت البشائر للجزائر بفتحها وانتقل الباي محمد إليها وسكنها وصارت مسكنا للبايات من بعده ودخل الناس إليها وعمروها وبنيت فيها المساجد ".

أنظر: ــ احمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تقديم وتحقيق: أحمد توفيق المدني، دار البصائر ، الجزائر، 2009، ص 85.

" ...محبا للعلماء والصلحاء والنبلاء والأدباء..."[1]، حيث اهتم بالشؤون العلمية والدينية من خلال بنائه للمدارس وتشييده للمساجد[2]، مثل المدرسة العظيمة التي بناها بخنق النطاح وبنائه للجامع الأعظم بالمدينة[3] ، كما أنه شجع على التأليف والنسخ واقتناء الكتب القيمة، لإثراء خزانة المكتبة التي أنشأها وأوقفها على المدارس وطلبة العلم للاستفادة منها[4].

تعد هذه الأعمال والمآثر الثقافية والعلمية التي خلفها كل من صالح باي و محمد الكبير من المظاهر الدالة على وجود نشاط ثقافي وعلمي في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني، وأن الحركة الثقافية في الجزائر لم تنطفئ شعلتها كما تشير إليه العديد من الدراسات، إلا أن هذا النشاط لم يشمل جميع القطر الجزائري ، حتى أنه لم يكن مستمرا طيلة فترات الحكم العثماني، بسبب ميول حكام الجزائر العثمانية إلى الجانب السياسي والعسكري أكثر من الجانب الثقافي.

2- المراكز الثقافية في المغرب الأقصى:

عُرف المغرب الأقصى بكثرة المراكز الثقافية وتنوعها، وبكثرة علمائها ووفرة المؤسسات العلمية بها ، وبمكانتها العلمية الكبيرة، نتيجة للازدهار الثقافي و الفكري الكبير الذي شهده المغرب الأقصى في عهد السعديين ومن بعدهم العلويين خلال الفترة الحديثة، وهذه المراكز كانت مقصدا للعلماء وطلبة العلم من مختلف المناطق خاصة من الجزائر، وذلك عبر فترات زمنية مختلفة، ومن أهم هذه المراكز الثقافية نجد:

---

(1) – ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق وتقديم: المهدي بوعبدلي ، دار المعرفة الدولية لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013، ص 154-155.

– أنظر أيضا: ــ ابن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر ، 2007، ج 1، ص 290.

(2) – ابن سحنون الراشدي : المصدر السابق ، ص 135-136.

(3)– محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تحقيق وتقديم : المهدي بوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013، ص 267.

(4) – احمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 167.

– فاس:

تميزت منذ تأسيسها في عهد الأدارسة بالتطور والنمو حتى تفوقت على سائر المدن المغربية بفضل ما بني فيها من مدارس ومساجد وخاصة جامع القرويين الذي يعتبر صرحا علميا هاما، استقطب العديد من العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب[1]، كما كان لتدفق المهاجرين الأندلسيين دور كبير في ترقية الحياة الفكرية والأدبية وحتى الفنية فيها، حتى أصبحت مدينة فاس أكبر مركز ثقافي في المغرب الأقصى بصفة خاصة وفي بلاد المغرب الكبير بصفة عامة[2].

ومع انتقال السلطة إلى السعديين أخذ بريق مدينة فاس يتراجع خاصة في فترة حكم المنصور الذهبي، والذي شهد المغرب الأقصى خلالها تطورا كبيرا في شتى الميادين وخاصة من الناحية العلمية[3]، حيث اتخذ السعديون في هذه الفترة مدينة مراكش عاصمة لهم وجددت وبنيت فيها المدارس والمعاهد والقصور ، فاستقطبت بذلك العلماء وطلبة العلم، وأصبحت فاس في حالة تقهقر وتراجع[4]، بالرغم من أنها لقيت اهتماما من طرف السلطان أحمد المنصور بها كما ذكره الفشتالي : <<... ومما أسهم به أيده الله وخلد أيامه لمدينة فاس من الآثار الشريفة والمصانع المنيفة التي هي طرز على عواتق تحصينها ومنعتها الحصون الشامخة الأنوف الجاثمة حواليها والمعامل المائلة أعلاما راسية...>>[5] ، وهذا يدل على قيمتها التاريخية الهامة خاصة وأنها تحتوي على أكبر مركز علمي في بلاد المغرب عامة والمتمثل في جامع القرويين.

---

(1)– ابن خروف: المرجع السابق، ص 147.

(2)– محمد حجي : الحركة ، المرجع السابق،ج2 ، ص 345.

(3)– عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص 239–240.

(4)– الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج 5، ص 117.

(5)– الفشتالي : مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط ، ص 263.

وهذا التقهقر والتراجع لمدينة فاس ليس في القيمة العلمية والثقافية وإنما من حيت النشاط الثقافي وتوافد العلماء وطلبه العلم إليها بسبب نزوح المدرسين والعلماء وطلبة العلم إلى مدينة المنصور" مراكش "، والذي أغدق على العلماء والفقهاء الأموال والذهب، حيث ذكر "الوفراني" في النزهة أن شيخه المنجور قال عنه: "ما عهدنا بذل المئين في الصلات إلا في أيام الشرفاء ولا عهدنا بذل الألوف إلا في أيام المنصور"[1].

بالرغم من كل هذا، فإن مدينة فاس عرفت حركة علمية نشيطة، ونشاطا فكريا متنوعا خلال الفترة الحديثة، من خلال احتضانها للعديد من العناصر الثقافية الوافدة إليها من مختلف المناطق عبر فترات تاريخية مختلفة، وخاصة من الجزائر خلال القرن 10هـ/16م، والتي ساهمت في تكوين أجيال ميزتها الأساسية هي الاهتمام بالعلم بمختلف فروعه، واحتل جامع القرويين الصدارة بين مختلف المؤسسات العلمية والدينية التي يقصدها العلماء وطلبة العلم، حيث ظل مركزا هاما لالتقاء العلماء وطلبة العلم وعقد المناظرات والمناقشات في مختلف القضايا العلمية والفكرية[2].

من بين أشهر العلماء الجزائريين الذين انتقلوا إلى فاس لدواع مختلفة، نجد أحمد المقري التلمساني ، و محمد بن الكماد القسنطيني[3]، إضافة إلى العديد من العلماء الذين استقروا في مدينة فاس وتقلدوا بها مناصب و وظائف هامة عبر فترات زمنية مختلفة خاصة خلال القرنين 10 و11 الهـجريين/ 16وال17ميلاديي، وكان لهم دور بارز في الحياة الفكرية والعلمية بالمغرب الأقصى من خلال النشاطات المختلفة التي كانوا يزاولونها في المنطقة وفي شتى المجالات[4].

---

[1]– الوفراني: نزهة ، المصدر السابق ، ص 125.

[2]– زهراء النظام: المرجع السابق: ص 421.

[3]– هو محمد بن الكماد القسنطيني الشريف الحسيني، كان أحفظ علماء عصره من أهل قسنطينة وبها نشأ وتعلم، ثم رحل إلى المغرب الأقصى واستقر بمدينة فاس وبها علت شهرته توفي سنة 1116هـ.

أنظر: ــ الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: حمزة بن علي الكتاني، د م ، ج 2 ، ص 34–35.

أنظر أيضا: الوفراني: صفوة ، المصدر السابق، ص 395.

[4]– عمار هلال : " **العلماء الجزائريون في فاس ما بين القرنين العاشر والعشرين ميلادي 4/ 14 هـ** " ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 9 ، 1995، الجزائر ، ص 28، 35.

– مراكش[1]:

كما وصفها الحسن الوزان[2]؛ تعتبر مدينة مراكش أهم المدن في إفريقيا، وقد تأثرت المدينة أكثر في فترة حكم المرينيين الذين استقروا في مدينة فاس في حين أهملوا مدينة مراكش[3]، إلا أنها عرفت توهجا كبيرا في فترة حكم السعديين وخاصة في عهد السلطان أحمد المنصور، الذي أولاها عناية كبيرة بفضل ما بنا فيها من مساجد ومدارس وقصور، ساهمت في استقطاب العلماء والمثقفين من مختلف المناطق. وكذلك من خلال نشاطها الثقافي والعلمي الكبير، حتى أصبحت تحتل الصدارة في المنطقة بعد أن تضاعف فيها عدد العلماء والطلبة الذين قصدوها من مختلف الجهات[4]، لاحتوائها على مدارس ومساجد كبيرة تزاول فيها الدروس، وضمها لكبار العلماء سواء من المغرب الأقصى أو من الأندلس أو من الجزائر، إضافة إلى تبني السلطان أحمد المنصور لسياسة العطايا والهبات التي يمنحها للعلماء، كما تم تخصيص موارد هامة يُنفق منها على الطلبة والمدرسين وخاصة منها موارد الأوقاف[5].

فمدينة مراكش كما ذكرها صاحب كتاب "الإعلام" لها فضل كبير وأهمية بالغة من الناحية الثقافية والعلمية، خاصة وأنها تحتوي على مزارات للأولياء الصالحين، و مقابر للعلماء والأئمة، كما أنها تحتوي على العديد من المساجد والجوامع والتي بلغت حسب قوله "136 مسجدا" من بينها "23 جامعا"، وهذا ما جعلها قبلة للعديد من العلماء وطلبة العلم سواء من مدن المغرب الأقصى أو من الجزائر[6] .

---

[1]– مراكش: "أعظم مدينة بالمغرب وأجلها ...وهي تقع في البر الأعظم ...كان أول من اختطها يوسف بن تاشفين في حدود 470هـ".

أنظر:– ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 94.

[2]– الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج 1، ص 126.

[3]– نفسه، ص 130.

[4]– محمد حجي : الحركة ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 378.

[5]– مارمول كربخال : إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط، 1989 ، ج 2، ص 54–55.

[6]– السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط ، 1993، ج 1، ص 87، 94.

عرفت مدينة مراكش توافدا كبيرا للعلماء وطلبة العلم من مختلف الأقطار ، خاصة في فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذي عمل على إحاطة بلاطة بالعلماء والأدباء وإغداق الأموال والعطايا عليهم، إلا أنها عرفت حالة من اللإستقرار بعد وفاة المنصور بسبب الفتن و الاضطرابات الكثيرة التي شهدها المغرب الأقصى، إثر تنازع أبنائه على العرش، وكذلك ظهور العديد من الحركات المناوئة للسعديين في الشمال والجنوب [1].

قصد مدينة مراكش العديد من علماء الجزائر وطلبة العلم للاستفادة من كبار علمائها أو للمساهمة في النشاط الفكري بها، بما امتلكوه من مؤهلات علمية كبيرة، من خلال حضور مجالس العلم أو المشاركة في المناقشات والمناظرات، أو بالتدريس ونشر العلم والمعرفة في مدارسها ومساجدها، وحتى بتولي مناصب هامة في مجالات عدة[2].

ومن بين العلماء وطلبة العلم الوافدين على مدينة مراكش من الجزائر لأسباب مختلفة، نذكر محمد بن هبة الله المعروف ب "شقرون"[3] و محمد المري التلمساني[4]، وغير هم من العلماء الذين قصدوا المغرب الأقصى على فترات تاريخية مختلفة، كل حسب دوافعه وأسبابه.

ولعل المكانة الهامة التي أصبحت عليها مدينة مراكش خاصة في عهد السعديين مهدت الطريق لعلماء الجزائر للهجرة إليها والاستقرار فيها، و كذلك الاستفادة من مختلف ما احتوته في تلك الفترة من معاهد ومدارس و علماء ومثقفين، ومما جادت به أيادي الملوك السعديين الذين كانوا حريصين على خدمة العلم والعلماء، وتشجيعهم لتقديم أفضل ما لديهم في مختلف فنون العلم.

---

[1]– ابن خروف، المرجع السابق، ج2، ص 152.

[2]– نفسه ، ص 152.

[3]–كان عالم الزمان وفارس المنابر ، هاجر إلى فاس سنة 967هـ في عهد السلطان الغالب بالله ، حيث كلفه بالفتوى في مراكش وجعل له منصب للتدريس في قصره ، وانتفع الناس بعلمه الوافر.

أنظر: ابن عسكر : المصدر السابق ، ص 117–119.

[4]– هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد المري الشريف التلمساني تولى الفتوى في القرويين وتوفي عام 8110هـ.

أنظر: الوفراني: صفوة ،المصدر السابق، ص 162.

أنظر أيضا: الحفناوي: المرجع السابق، ص 354–255.

– تطوان[1]:

لم تكن مدينة تطوان في نفس المنزلة التي كانت عليها فاس ومراكش ممن حيث النشاط العلمي والفكري، خاصة وأنها تعرضت للدمار والخراب من طرف الأسبان والبرتغاليين، وبقيت على تلك الحالة حوالي تسعين سنة[2]، إلى أن أعيد بناؤها أواخر القرن 9هـ/15م من طرف الأندلسيين الذين هاجرو إليها بعد سقوط مملكة غرناطة واستقروا بها خلال الفترة الحديثة[3].

عرفت الحركة الفكرية في هذه المدينة ضعفا نتيجة قلة العلماء الذين كان أغلبهم من الأندلسيين، حيث انصب اهتمامهم على الجهاد ضد الاسبان والبرتغاليين، إلا أنه ومع مرور الزمن أخذت الحركة الفكرية والعلمية في تطوان تنموا وتتوسع من خلال توافد العلماء عليها من مناطق مختلفة خاصة من مدينة فاس[4]، وبذلك انتعشت الحركة الثقافية بها، لذلك فإن علماء الجزائر الذين قصدوا هذه المدينة قليل مقارنة بما هو عليه في كل من فاس ومراكش[5].

إضافة إلى هذه المراكز الرئيسية تواجدت بالمغرب الأقصى خلال تلك الفترة مراكز ثقافية أخرى هامة، تميزت بنشاطها الفكري و العلمي، وعرفت توافد البعض من علماء الجزائر عليها للتدريس والمشاركة في إثراء الحياة الفكرية بها، ومن بين هذه المراكز الثقافية نذكر:

---

[1]– تطوان: أو تطاوين وهي مدينة صغيرة بناها الأفارقة القدامى على بعد ثمانية عشر ميلا من المضيق وستة أميال من البحر...ويقال أن هؤلاء لما ملكوا تطاوين سلموا حكمها إلى أميرة عوراء ...ولم يكن لها غير عين واحدة، فسموا مدينتهم تطاوين ومعناها عين واحدة باللغة الإفريقية.

أنظر: الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج1، ص 318.

[2]– مارمول كربخال : المصدر السابق، ج2 ، ص 222.

[3]– ابن خروف: المرجع السابق، ج2 ، ص 150.

[4]– محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج2، ص 417–418.

[5]– ابن خروف: المرجع السابق ، ج2، ص 150.

- **تارودانت:**

من المدن المغربية القديمة تقع جنوب الأطلس الكبير ببلاد السوس كانت تحت سلطة المرينيين وبعدهم الوطاسيون ثم سيطر عليها السعديين[1]، حيث قام محمد المهدي الشيخ بتشييد الجامع الكبير بها وبنا بقربه مدرسة للتعليم، سميت هذه المدينة بالمحمدية نسبة إلى محمد الشيخ السعدي، أما مكانتها الثقافية ودورها العلمي فكانت متميزة بنشاطها، لكن ليس مثل مدينتي فاس ومراكش، إلا أنها كانت تستقطب البعض من العلماء سواء من المغرب الأقصى أو من الجزائر مثل ابن الوقاد، وذلك بفضل احتوائها على مدارس ومؤسسات هامة للتعليم، كما نبغ فيا العديد من العلماء والأدباء سواء من المغرب الأقصى أو من الجزائر على غرار سعيد بن على الهوزالي وغيره[2].

- **مكناس:**

بقيت مدينة مكناس محافظة على تراثها الفكري ودورها العلمي منذ مطلع القرن 10هـ/16م بالرغم من تعرض العديد من علمائها إلى المضايقة من طرف الأمراء الوطاسيين على غرار ما تعرض له الفقيه ابن غازي وبعض تلامذته، إلا أن هذه المدينة لقيت عناية من طرف الحكام السعديين خاصة بعد أن تولى أمرها زيدان بن أحمد المنصور، والذي أحيا فيها المعاهد العلمية وملأ رفوف مكتباتها بأنفس الكتب واستقطب إليها العلماء، مما ساعد على إحياء النشاط الفكري والعلمي بها[3].

أما مدينة **وجدة**، بالرغم من أنها كانت مسرحا للصراع السياسي بين السلطة العثمانية في الجزائر وحكام المغرب الأقصى، إلا أنها بقيت محافظة على نشاطها الثقافي والعلمي من خلال حلقات التدريس المتواصلة بها رغم قلتها، والحركية التي تميز بها علماؤها ، مما ساهم في إبقاء النشاط الفكري قائما بها رغم كل العقبات السياسية[4].

---

(1)– مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص 30–31.

(2)– محمد حجي : الحركة ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 405–406.

(3)– نفسه، ص 339.

(4)– قدور الورطاسي: معالم من تاريخ وجدة، مطبعة الرسالة، الرباط، 1972، ص 54–55.

كما عرف المغرب الأقصى انتشارا لمراكز ثقافية أخرى كان لها نصيب من النشاط الثقافي، بالرغم من أنها لم ترقى إلى مستوى المراكز الأخرى إلا أنها ساهمت في تنشيط الحركة الفكرية في المغرب الأقصى، وكذلك في مد روابط التواصل الثقافي بين البلدين على غرار مدينتي سجلماسة و تافيلالت وغيرها[1].

كان للمراكز الثقافية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى دور كبير في تنشيط العلاقات الثقافية وترسيخ دعائم التواصل الثقافي بين العلماء والمثقفين من كلا البلدين، حيث أصبحت تلك المدن مراكز إشعاع ثقافي وعلمي يلتقي فيه العلماء من مختلف المناطق، لما تحتويه من مؤسسات علمية تمارس فيها مختلف الأنشطة الثقافية والعلمية، ونبغ فيها العديد من العلماء والفقهاء والأدباء بلغت شهرتهم مختلف المناطق سواء في المشرق أو في المغرب.

[1]– لحسن تاوشيحت: " **الحركة العلمية والثقافية بتافيلالت خلال عهد الدولة العلوية(القرنين 18و 19)**"، ندو حول الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1995، ص 22–23.

III- العوامل المتحكمة في التواصل الثقافي بين البلدين:

خضعت عملية التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى لعدة عوامل عبر مختلف المراحل التاريخية التي مر بها البلدان، كغيرهما من دول بلاد المغرب الكبير، كما أن هذه العوامل ساهمت في ترسيخ هذا التواصل الثقافي وجعله امتدادا تاريخيا لعلاقات البلدين.

1- العوامل الجغرافية والبشرية:

تقع كل من الجزائر والمغرب الأقصى في الشمال الغربي للقارة الإفريقية، وتطلان على البحر الأبيض المتوسط من الجهة الشمالية، وعلى الصحراء الإفريقية الكبرى من الجهة الجنوبية[1]، كما أن الوحدة الجغرافية التي فرضتها الظروف التاريخية منذ العصور القديمة كانت عاملا هاما في ترسيخ الصلات الثقافية بين البلدين .

وعلى هذا الأساس لم تنقطع الصلات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى حتى بعد سقوط دولة الموحدين وظهور دويلات منفصلة عن بعضها البعض ومتصارعة فيما بينها، إذ لم تكن هناك حواجز جغرافية تمنع انتقال العلماء والمثقفين من بلد إلى آخر، في ظل وجود الحكم العثماني في الجزائر و قيام حكم السعديين وبعدهم العلويون في المغرب الأقصى[2].

إضافة إلى ذلك، فهناك تشابه كبير في التكوين الجغرافي لكلا البلدين، مما سهل عملية التواصل بين سكانهما وانتقالهم من قطر إلى آخر [3]، بحكم التقارب الجغرافي بينهما وعدم وجود حدود رسمية فاصلة، إذ أنه يوجد تداخل جغرافي كبير بينهما في بعض المدن والمناطق، والتي كانت في كثير من الأحيان سببا في الصراع حول قضية الحدود صاحبه في ذلك مواجهات عسكرية بين البلدين[4]، من خلال العديد من المعارك، كتلك المعركة التي

---

(1) – شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات – الجزائر ، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان–، دار المعارف، 1995، ص 19، 255.

(2)– محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج1، ص 68.

(3)–ابن خروف : المرجع السابق، ج2 ، ص 98.

(4)– عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج3، ص 191-192.

وقعت سنة1103هـ/1692م بين جيوش الجزائر العثمانية وجيوش الدولة العلوية[1] في عهد السلطان "إسماعيل"الذي حكم في الفترة الممتدة ما بين (1082-1139هـ/1672-1727م)، والداي الحاج شعبان الذي حكم بين (1688-1695م)، والتي انتهت بانهزام الجيوش العلوية وانسحابها من موقع المعركة[2].

تميزت العلاقات الجزائرية المغربية عبر مختلف المراحل التاريخية بروابط متينة ربطت بين سكانهما خاصة العلماء والمثقفين منهم، بالرغم من الصراعات السياسية المتواصلة بين حكام البلدين، في ظل التجانس الكبير في المكونات الجغرافية والبشرية [3] والتي شكلت عبر الأزمنة المتعاقبة البنيات الأساسية لمجتمعي البلدين.

تميزت التركيبة البشرية لكل من الجزائر والمغرب الأقصى بالتداخل القبلي فيما بينهما، وذلك بتقاربها في الأصول والفروع، كون العناصر الأساسية المشكلة لسكان البلدين تعود أصولها إلى أكبر القبائل البربرية المتواجدة في المنطقة باختلاف أنسابها وأصولها، وتعدد فروعها وبطونها، وأماكن انتشارها واستقرارها، على غرار قبيلة صنهاجة[4] والتي تعتبر من أهم القبائل البربرية في بلاد المغرب ، إضافة إلى قبائل أخرى مثل قبيلة زناتة[5]

---

[1]– محمد بن عبد السلام الضعيف: تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعدية)، تحقيق وتعليق: أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986، ص76-77.

[2] TACHRIFAT : Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger pub , par Devoulx , imp de gouvernement , Alger , 1852, pp 7-10.

[3]– أمحمد بودبية: المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب – تلمسان وفاس نموذجا في القرن 10هـ/ 16 م، مذكرة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر، 2011، ص 24.

[4]– صنهاجة:من أهم قبائل البربر وأكثرهم في بلاد المغرب ينتسبون إلى صنهاج من بطون البرانس من ولد برنس بن بر، وهو صناك بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج.

أنظر: ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج 6، ص 201.

[5]– زناتة: ثاني العناصر المشكلة لسكان المغرب خاصة في فترة المرابطين ، ويعود أصلهم إلى كنعان بن حام وهم قرع من البتر أولاد جاناتا بن يحي بن مولاة بن مازيغ.

أنظر: إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ت، ص 234.

و قبيلة مصمودة[1]، وغيرها من القبائل البربرية الأخرى التي شكلت نواة المجتمعات المغاربية عبر العصور ، خاصة في الجزائر والمغرب الأقصى[2].

مع مرور الزمن عرفت هذه القبائل انتشارا واسعا في كل من الجزائر والمغرب الأقصى مشكلة بذلك تجمعات سكانية كبرى كانت لها إسهامات كبيرة في نشأة الدويلات المتعاقبة على البلدين عبر الفترات التاريخية المختلفة، والتي ميزها الصراع المتواصل فيما بينها خاصة خلال الفترة الحديثة[3].

وموازاة مع ذلك تواجدت عناصر أخرى من السكان ساهمت في تكوين البنية البشرية لكل من الجزائر والمغرب الأقصى و المتمثلة في العنصر العربي والذي حل بالمنطقة مع دخول الإسلام إليها[4]، إلا أن أكبر موجة من الهجرة العربية عرفتها بلاد المغرب وخاصة الجزائر والمغرب الأقصى، هي تلك القبائل العربية التي قدمت من المشرق العربي خلال القرن 5 هـ / 11 م [5]، والمتمثلة في قبائل بني هلال وبني سليم إضافة إلى عرب بني معقل[6]، إلا أن هذه القبائل العربية كان لها الدور البارز في نشر اللغة العربية وتعريب القبائل البربرية الأمازيغية مما سهل عملية التواصل والاندماج فيما بينها في مختلف المجالات [7].

اندمجت هذه العناصر البشرية المختلفة بمرور الزمن مع بعضها البعض وشكلت مجمعا واحدا مترابطا فيما بينه، تربطه رابطة واحدة هي الإسلام، وبذلك ساهمت بشكل كبير في رسم المعالم الحضارية لكلا البلدين ، كما أن هناك عناصر بشرية أخرى ساهمت هي الأخرى في تثبيت قيم التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، وهذه العناصر

---

(1)– مصمودة: نسبة إلى مصمود بن يونس بربر وهم من أهم قبائل البربر وأكثرها انتشارا في بلاد المغرب الأقصى ومن أهم بطونها نجد برغواطة وغمارة.

أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 275.

(2)– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 8.

(3)– أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص 70.

(4)– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 37.

(5)– ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 17–18.

(6)– الحسن الوزان : المصدر السابق، ج 1، ص 48.

(7)– ابن خروف: المرجع السابق، ج 2، ص 99.

متمثلة في فئة الأندلسيين الذين توافدوا بأعداد كبيرة على البلدين، واستقروا بالمدن الساحلية، وشكلوا حلقة وصل بين القطرين من خلال ما جلبوه معهم من تراث حضاري وفكري كبير، ساهموا من خلاله بشكل كبير في تنشيط الحركة الثقافية والفكرية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى[1].

2- العوامل التاريخية والسياسية:

شهدت بلاد المغرب تطورات تاريخية هامة وأحداثا سياسية مختلفة، تحكمت بمجملها في العلاقات بين أقطار بلاد المغرب الكبير، وخاصة بين الجزائر والمغرب الأقصى، و كل ذلك كان له الأثر البارز على مسار التواصل الثقافي بين البلدين من خلال مختلف التحولات التي عرفتها المنطقة.

في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م اندثرت دولة الموحدين وحلت محلها دويلات متصارعة فيما بينها من أجل بسط السيطرة والنفوذ على كامل المنطقة[2]، وهذه الدويلات تتمثل في كل من الدولة الحفصية في تونس والزيانية في المغرب الأوسط، والمرينية في المغرب الأقصى[3]، ودخلت بعدها بلاد المغرب في أزمة سياسية واقتصادية واجتماعية بسبب الصراع المتواصل بين تلك الدويلات، وأهم ما ميزها التفكك السياسي الداخلي الذي أدى إلى ظهور العديد من القبائل والإمارات التي رفضت الخضوع لأي سلطة، الأمر الذي أحدث تراجعا كبيرا في شتى المجالات خاصة في المجال الثقافي منذ أواخر القرن 9هـ/15م[4].

عرفت بلاد المغرب أواخر القرن 9هـ/15م ومع مطلع القرن 10هـ/16م تدهورا كبيرا في شتى الميادين، أثر سلبا على الحياة العامة لسكان بلاد المغرب الكبير[5]، وأدى هذا التدهور إلى فسح المجال أمام الحملات البرتغالية والإسبانية على سواحله منذ نهاية

---

(1)- زهراء النظام : المرجع السابق ، ص 384-385..

(2)- شوقي عطاء الله الجمل: المغرب العرب الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس،الجزائر، المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص 26.

(3)- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق ، ج5، ص 16.

(4)- محمود علي عامر و محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص13.

(5)- محمد رزوق: المرجع السابق، ص 77.

القرن 9هـ/15م، بعد سقوط آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس "مملكة غرناطة" سنة 1492م، والسياسة القمعية التي انتهجتها الحكومة الأسبانية ضد المسلمين في المنطقة، حيث خيرتهم بين اعتناق المسيحية أو مغادرة البلاد ، إضافة إلى قرارات الطرد الجماعية التي أُصدرت في حق أولئك المسلمين[1]، و هو ما أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من الأندلسيين نحو بلاد المغرب هروبا من بطش المسيحيين في الأندلس[2] عبر فترات زمنية مختلفة، واستقروا في العديد المدن كالرباط وسلا وتطوان ومراكش وفاس بالمغرب الأقصى، وتلمسان و وهران ومدينة الجزائر ومعسكر وغير ها من المدن في الجزائر[3].

كان للهجرة الأندلسية أثرها البارز على الحياة الثقافية والعلمية لكلا البلدين، من خلال النشاط الثقافي والعلمي الكبير الذي ميز الجالية الأندلسية في بعض المدن التي استقرت بها، خاصة و أنهم كانوا يشكلون مدرسة ثقافية في مختلف الفنون والعلوم، كما اشتهروا كذلك في ميدان الأدب والموسيقى[4]، إضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته هذه العناصر في إحياء بعض المدن والمراكز الثقافية وبعثها من جديد مثل مدينة تطوان المغربية التي خربها الأسبان أوائل القرن 9هـ/15م[5]، إذ عرفت هذه المدينة توافد البعض من علماء الجزائر عليها كما ذكرنا سابقا للتدريس بها ونشر العلم والمعرفة بين سكانها، كما ساهموا في إعادة بعث مدن أخرى في الجزائر وإحيائها، وبعث النشاط الاقتصادي والعلمي والثقافي بها، مثل مدن شرشال والبليدة و القليعة [6].

---

(1)– صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي–1830،1514– ، ط 2، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص 19.

(2)– عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود على عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1 ، 1989، ص 17.

(3)– الحسن السايح: " **الثقافة المغربية في عصر السعديين** "، مجلة دعوة الحق، العدد 3، السنة السابعة، الرباط، 1963، ص 24.

(4)– نفسه ، ص 25.

(5)–ابن خروف : المرجع السابق، ج 2، ص 103.

(6)– صالح عباد: المرجع السابق، ص 359.

ساهمت كل هذه العوامل منذ مطلع القرن 10هـ/16م في تثبيت الصلات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى، وامتد تأثير هذه العوامل – السياسية والتاريخية – بشكل أو بآخر على مسار التواصل الثقافي بين البلدين خلال فترة الحكم العثماني في الجزائر والحكم السعدي والعلوي في المغرب الأقصى، والتي اتسمت خلالها العلاقات بينهما بالتوتر والصراع السياسي[1].

بقيت عملية التواصل الثقافي مستمرة ونشطة بين العلماء و المثقفين طوال الفترة الممتدة من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م بالرغم من الصراعات السياسية التي عرفتها كل من الجزائر والمغرب الأقصى، من خلال حركة الهجرة والتنقل التي ميزت فئات العلماء من كلا البلدين لأسباب دوافع مختلفة، متجاوزين بذلك كل العراقيل السياسية والصراعات المتواصلة بين حكام الجزائر العثمانية وسلاطين المغرب الأقصى [2].

بالرغم من اختلاف النظم السياسية في كل من البلدين، إلا أن هذا يعد مكسبا هاما للعلماء والمثقفين من خلال السياسات التي انتهجها حكام البلدين وخاصة حكام المغرب الأقصى، الذين عُرف عليهم الاهتمام بالعلم و العلماء، وعقدهم للمجالس العلمية وحضورهم لمختلف حلقات التدريس التي ينظمها العلماء، إضافة إلى مساهمتهم في تنشيط الحياة الثقافية والعلمية من خلال استقبالهم للعلماء والمثقفين الوافدين على المراكز الثقافية في المغرب الأقصى من مختلف المناطق خاصة من الجزائر، وفسح المجال أمامهم لنشر مختلف أنواع العلوم التي يمتلكونها، كما أولوا عناية كبيرة بالعلماء وقربوهم إليهم، و أنفقوا عليهم الأموال والعطايا، وقلدوهم مناصب هامة في مختلف المجالات[3]، عكس حكام الجزائر الذين انصبت جل اهتماماتهم على الجوانب السياسية والعسكرية.

كما عرفت تلك الفترة حركة الهجرة الإجبارية للعلماء من كلا البلدين باختلاف أصنافهم وطبقاتهم، بسبب الضغط الذي مارسته السلطة الحاكمة على أولئك العلماء لدوافع

---

[1]– محمد رزوق: المرجع السابق، ص77.

[2]– دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003، ص 299–300.

[3]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق، ج 1، ص 439.

مختلفة، ولأغراض متعددة، مثل ما حدث لبعض العلماء في المغرب الأقصى، مثل هجرة المؤرخ المشهور أبو القاسم الزياني إلى الجزائر هروبا من الضغط الذي تعرض له من قبل سلاطين الدولة العلوية[1]، كما تم تهجير علماء الزاوية الدلائية أيضا إلى تلمسان[2] من قبل السلطان العلوي "الرشيد" الذي حكم ما بين(1075-1082هـ/1664-1672م) بعد أن تمكن الرشيد من القضاء على زاويتهم سنة 1079هـ/1668م[3]، والتي اعتبرها تشكل خطرا على دولته الناشئة، وهو نفس الشيء حدث لعلماء الجزائر الذين هاجرو إلى مدن المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م وخاصة علماء تلمسان بسبب الضغط الذي مارسته السلطة العثمانية عليهم منذ استقرار حكمها في الجزائر[4]، وهو نفس الأمر الذي وقع بعد سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي، أين هاجر العديد الجزائريين إلى المغرب الأقصى بسبب الممارسات التعسفية للسلطات الاستعمارية و التي مست بالخصوص الجوانب الثقافية والدينية[5].

عرفت المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية والدينية عشية الإحتلال الفرنسي دمارا وخرابا، حيث أصدرت سلطات الإحتلال قوانين تعسفية صادرت بموجبها أملاك الأوقاف بمختلف أنواعها ، واستولت على المساجد والزوايا والمدارس القرآنية[6]، وعمل قادة الجيش الفرنسي على طمس المعالم العربية الإسلامية للمدن الجزائرية من خلال سياستهم المنتهجة والتي قامت على هدم المنازل وغلق الأسواق وتحويل القصور والمحلات إلى مراكز للجيش الفرنسي، و تحويل المساجد إلى كنائس ومخازن للسلاح، وهو ما أدى إلى هجرة

---

(1)– أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص 140.

(2)– محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ، ط 2 ، 1988، ص 258-259.

(3)– – محمد بن عبد السلام الضعيف ، المصدر السابق ، ص49.

(4)– ابن عسكر: المصدر السابق ، ص 118.

(5)– أرزقي شويتام: العلاقات ، المرجع السابق، ص 88.

(6)– شارف رقية: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م –دراسة تحليلية نقدية– ، دار الملكية للطباعة، الجزائر ، د ت، ص 47.

السكان خاصة المثقفين والعلماء منهم إلى مناطق مختلفة ابتعادا عن السياسة التعسفية التي تمارسها السلطة الاستعمارية[1].

ثالثا: العوامل الدينية والثقافية:

تعتبر العناصر الدينية والثقافية من أهم المقومات التي تعبر عن وحدة مجتمعات بلدان المغرب الكبير، خاصة لدى كل من الجزائر والمغرب الأقصى، من خلال التشابه الكبير في العناصر الثقافية التي تميز سكان البلدين والانتماء الديني واللغوي الذي يربط بينهما، بداية باعتناقها للدين الإسلامي منذ الفتوحات الإسلامية للمنطقة.

من المعلوم أن الدين الذي ينتشر في كل من الجزائر والمغرب الأقصى هو الدين الإسلامي[2]، بعد أن اعتنقه سكان البلدين عبر فترات زمنية مختلفة، بالرغم من كل التطورات المذهبية التي عرفتها المنطقة منذ الفتح الإسلامي إلى الفترة الحديثة، إلا أنه وبمرور الزمن ترسخت الديانة الإسلامية السنية في المنطقة وأتخِذ المذهب المالكي مذهبا رسميا في كل الأحوال الدينية[3] ، إذ لعب المذهب المالكي دورا كبيرا في توحيد سكان البلدين عقيدة وفكرا ومذهبا، وساهم في تعريب لسانهم وتوحيد لغتهم الدينية والعلمية[4]، وتم التركيز خلالها على دراسة العلوم الدينية بمختلف فروعها[5].

أما اللغة السائدة في الجزائر والمغرب الأقصى، فهي اللغة العربية التي انتشرت مع الفتح الإسلامي وعبر المراحل التاريخية المختلفة، إضافة إلى دور القبائل العربية في نشر اللغة العربية بعد أن هاجرت إلى المنطقة واستقرت بها واندمجت مع السكان الأصليين، و بذلك انتشرت اللغة العربية وعلومها، وهو ما ساهم في تثبيت دعائم الثقافة العربية

---

(1)– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج 1، ص 66.

(2)– - BERQUE : l'intérieur du Maghreb du 16eme – 19 ^{éme} siècle , Gallimard , Paris , p 26.

(3)–ابن شقرون: المرجع السابق، ص 51.

(4)– أحمد سليماني: المرجع السابق، ص 29.

(5)– الفشتالي: المصدر السابق، ص 2017–218.

الإسلامية ومقوماتها، وساعدت على نبوغ العديد من العلماء والأدباء في مختلف ضروب العلم والأدب في كلا البلدين[1].

عرفت العلوم الدينية والأدبية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة تشابها كبيرا في مختلف عناصرها، إذ كانت العلوم الدينية المتداولة لدى علماء ومثقفي البلدين ترتكز أساسا على علوم التفسير والحديث والفقه وأصوله، والاختصارات والشروح المختلفة[2]، إضافة إلى علوم القراءات التي عرفت انتشارا واسعا خلال القرن 10هـ/ 16م والقرون التي تلته، خاصة بعد الهجرات الأندلسية التي عرفتها بلاد المغرب الكبير، وما حملته معها هذه العناصر من تراث علمي وثقافي كبير ساهم في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في بلاد المغرب، من خلال انتشارها في مختلف المراكز الثقافية المتواجدة في كل من الجزائر والمغرب الأقصى[3]، كما أن هذا التجانس الكبير في المجالات العلمية ساهم بشكل كبير في تنوع الإنتاج الفكري والأدبي في كلا البلدين.

فضلا عن هذا، فالكتب العلمية التي كانت متداولة بين علماء البلدين هي في الغالب نفس الكتب والمؤلفات خاصة في مجال العلوم الشرعية والأدبية، إضافة إلى التجانس في المواد الدراسية وطرق التدريس، مما سهل عملية تبادل الأفكار والمعارف وعقد المناظرات والمناقشات بين علماء ومثقفي البلدين حول مختلف القضايا السائدة في تلك الفترة[4].

كما ساعد تواجد مراكز ثقافية هامة في كلا البلدين على توسيع نطاق التبادل الثقافي والعلمي بين العلماء والمثقفين، خاصة وأن هذه المراكز الثقافية تتشابه من حيث مكوناتها العلمية، وهو ما يفسر تزايد عملية انتقال العلماء وطلبة العلم من بلد إلى آخر، قصد الاستفادة مما تحويه هذه المراكز من نشاط علمي كبير، و الأخذ عن علمائها الذين تولوا مهمة نشر العلم والمعرفة فيها.

---

(1)–ابن شقرون: المرجع السابق، ص 31.

(2)– ابن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 140.

(3)– محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج 1، ص 66–67.

(4)– ابن خروف: المرجع السابق، ج 2، ص 100.

سيطر على الجوانب الثقافية في الجزائر والمغرب الأقصى الطابع الديني، الذي شمل مختلف المجالات، مما أضفى صبغة موحدة على الحياة الدينية في كلا البلدين، إذ تميزت الحياة الدينية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى بالتشابه الكبير في مختلف المظاهر والممارسات الدينية مما سهل عملية التواصل بين سكانهما خاصة العلماء والمثقفين منهم، فهذا ابن حمادوش[1] يذكر لنا في رحلته ما يدل على ذلك، كالاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية، وكذلك التشابه الكبير في مختلف المظاهر التي تسود البلدين خلال شهر رمضان المبارك، وكذلك في بعض العادات والتقاليد التي تخص الحياة الاجتماعية لمجتمعات البلدين، خاصة من حيث الملبس والمأكل وبعض المظاهر الاجتماعية الأخرى[2].

كما أن البلدين عرفا انتشارا واسعا للصوفية بمختلف أشكالها وفروعها ومبادئها، إذ دخلت الصوفية إلى بلاد المغرب العربي مع مطلع القرن 8هـ/14م، واتخذت في البداية شكل الرباطات والزوايا، ثم أصبحت على شكل مؤسسات دينية تعرف بالزوايا، ولهذه الزاوية شيخها ومريدوها " أتباعها"، وعملت بذلك على المشاركة في تنظيم الحياة الدينية والاجتماعية لسكان البلدين، حيث كانت أغلب الطرق الصوفية وزواياها المتعددة تمثل مركزا للإشعاع الروحي والعلمي في المنطقة، وتحرص على نشر تعاليم الدين الإسلامي وتعليم العلوم الدينية والأدبية بمختلف فروعها[3].

عرفت الصوفية تطورا كبيرا خاصة مع أواخر القرن 8هـ وبداية القرن 9هـ/ مطلع القرن 15م، حيث برزت إلى الوجود الطريقة الشاذلية[4] وانتشرت في المنطقة، وتأسست بذلك الزوايا الخاصة بها وكثر أتباعها[5]، واتسع نطاق الطرق الصوفية في كل من الجزائر

---

(1)– ابن حمادوش: المصدر السابق، ص 84 ،107.

(2)– نفسه، ص 94.

(3)– طيب جاب الله: " **دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري** "، مجلة معارف، العدد 14، السنة الثامنة، 2013، د م، ص 135.

(4)– نسبة لأبي الحسن الشاذلي المتوفى سنة 656هـ/1258م كان من كبار أولياء منطقة المغرب تفقه وتصوف في تونس وتنتسب إله الطريقة الشاذلية التي عرفت انتشارا واسعا في بلاد المغرب.

أنظر:ـ الزركلي: الأعلام– قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين–، دار العلم للملايين، بيروت، 15 ، 2002، ج 4، ص 305.

(5)– منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت، ص 126.

والمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة انطلاقا من القرن 10هـ/16م ، والتي كان لها تأثير كبير على الحياة الدينية والاجتماعية لسكان البلدين وقربت بين شعوبهما، وجعلت منهم وحدة متكاملة كما تقتضيه تعاليم الصوفية، بالرغم مما آلت إليه بعض الطرق الصوفية من خلال انحرافها وغلوها وانتشار الشعوذة في أوساطها[1].

أما الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في الجزائر هي نفسها الطرق التي انتشرت في المغرب الأقصى منذ ظهورها في المنطقة، على غرار الطريقة القادرية[2] و الشاذلية والتجانية، ومختلف الطرق الصوفية التي تفرعت عنها وانتشرت في كلا البلدين خاصة في الفترة الحديثة[3]، فالبعض منها مشرقي الأصل والبعض الآخر مغربي، ولكل من هذه الطرق أتباعها وزواياها[4]، وكان لها دور كبير في الحفاظ على الهوية الدينية لسكان البلدين، و في نشر الثقافة العربية والإسلامية من خلال اهتمامها بالتعليم خاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية والشرعية، إذ أن زواياها كانت تعتبر مراكز دينية وثقافية ومدارس علمية تقوم بمهمة التعليم والتثقيف في أوساط السكان، إلى جانب التربية الروحية التي تميزت بها عبر العصور [5].

ساهمت الطرق الصوفية في توحيد راية سكان البلدين تجاه الاحتلال الاسباني والبرتغالي، وبعده الاحتلال الفرنسي، من خلال تبني فكرة الدفاع عن الثغور وحمايتها، ومكنت حركة التصوف في غالب الأحيان من توحيد جهود العلماء والمثقفين فيما يتعلق بحركة الجهاد ومقاومة الغزاة [6].

---

[1]–عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج3، ص 252.

[2]– نسبة إلى عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 561هـ/1166م، وهو من أسس هذه الطريقة ، من كبار الزهاد والمتصوفين ولد في جيلان وانتقل إلى بغداد واتصل بشيوخ العلم والتصوف، تصدر للتدريس في بغداد، وانتشرت هذه الطريقة لتشمل مختلف المناطق ومنها بلاد المغرب العربي.

أنظر: ـــــ الزركلي: المرجع السابق، ج4 ، ص 47.

[3] – ابن خروف:المرجع السابق، ج 2، ص137.

[4] – صباح بعارسية: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العشر هجري / السادس عشر ميلادي، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006، ص 89.

[5] – كمال خليل : المرجع السابق، ص 26.

[6] – منال عبد المنعم جاد الله: المرجع السابق، ص 127.

كان للعوامل الدينية والثقافية بمختلف عناصرها دور كبير في تجاوز كل العقبات السياسية، ومهدت الطريق لتعزيز أواصر التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، من خلال الدور الكبير الذي قام به العلماء والمثقفون عبر فترات زمنية مختلفة منذ مطلع القرن 16م/10هـ وحتى القرن 19م/13هـ، وما ساعد على ذلك هو تلك النظرة الدينية والثقافية المشتركة لدى علماء ومثقفي البلدين.

خاتمة الفصل:

تميزت العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة ما بين القرنين 16و19م/10و13هـ بحركية ونشاط كبيرين أملته مختلف الظروف التي كانت سائدة خلال تلك الفترة، وهو ما ساهم في ترسيخ مفهوم التواصل الثقافي بمدلوله الواسع، والذي تم تجسيده من طرف العلماء والمثقفين من كلا البلدين، ومن خلاله نجد:

– أن التطورات السياسية التي طرأت على البلدين كان لها الأثر الأكبر في تغيير مسار العلاقات بين القطرين، وعلى الحياة الثقافية خاصة في الجزائر، منذ انضمامها إلى الدولة العثمانية مطلع القرن 16م/10هـ.

– أن مختلف التطورات والتغيرات السياسية والثقافية والاجتماعية فرضت على علماء الجزائر خلال الفترة الحديثة الهجرة إلى مدن المغرب الأقصى رغبة في طلب العلم وبحثا عن الأمن والاستقرار، و إيجاد جو ملائم لممارسة نشاطهم الفكري والعلمي، أو لدوافع وأسباب أخرى تتعلق بالأحوال الشخصية لكل منهم.

– أن الصراع السياسي بين البلدين لم يكن عائقا أما التواصل الثقافي بين العلماء والمثقفين ، إذ كانوا يتنقلون من قطر إلى آخر دون قيود وحواجز، وذلك للارتباط الديني والعرقي والاجتماعي الذي ميز مجتمعات البلدين.

– أن حكام المغرب الأقصى كان لهم دور بارز في جذب العلماء من خلال تبنيهم لسياسة ثقافية وعلمية تهتم بالعلم والعلماء وإنشاء المراكز الثقافية في مختلف المناطق لتساهم في نشر العلم في مختلف أجزاء المغرب الأقصى.

الفصل الثاني

• هجرة علماء الجزائر إلى المغرب الأقصى

I- أسباب الهجرة ودوافعها

II- تراجم لبعض علماء الجزائر في المغرب الأقصى.

III- مكانة علماء الجزائر في المغرب الأقصى وموقف الحكام منهم.

أدت التحولات السياسية والتطورات الثقافية التي شهدتها كل من الجزائر والمغرب الأقصى مطلع الفترة الحديثة (القرن 10هـ/16م)، إلى بروز ظاهرة الهجرة والانتقال من بلد إلى آخر، إلا أن هذه الظاهرة أخذت أبعادا أخرى من خلال هجرة أسر وعائلات بأكملها، وأعدادا كبيرة من العلماء والمثقفين من الجزائر إلى المغرب الأقصى، تحت تأثير الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية، ودوافع مختلفة، فرضت على العلماء والمثقفين الجزائريين الهجرة إلى المغرب الأقصى.

تعد ظاهرة هجرة علماء الجزائر إلى المغرب الأقصى أنموذجا يعبر عن واقع ثقافي تحكمت فيه الظروف السياسية بالدرجة الأولى، وهو ما انعكس سلبا على الحركة العلمية والفكرية في الجزائر، حيث شهدت الجزائر تراجعا ثقافيا أدى إلى هجرة علمائها إلى المغرب الأقصى، وهو ما خلف فراغا ثقافيا كبيرا في مختلف الحواضر الجزائرية، وفسحت المجال أمام انسياب الحركة العلمية والفكرية في الجزائر إلى درجة أقل مما كانت علية في فترة الحكم الزياني، وهو ما أسفر عن ركود في الإنتاج العلمي والأدبي في كثير من الفترات، عكس المغرب الأقصى الذي استفاد من هجرة العلماء الجزائريين بفضل الحركة العلمية والفكرية النشطة والتي خلقت مناخا ثقافيا متنوعا وأفقا علميا واسعا يجمع بين مختلف الفنون والعلوم وبين مختلف طبقات العلماء والمثقفين.

وفي هذا الفصل سنطرق إلى الأسباب التي دفعت بعلماء الجزائر إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى، والمواقف التي اتخذها الحكام تجاههم، والمكانة العلمية التي حضي بها هؤلاء العلماء خلال فترة تواجدهم بالمنطقة.

I- أسباب الهجرة ودوافعها:

تعددت الأسباب والعوامل التي دفعت بعلماء الجزائر للهجرة إلى المغرب الأقصى خلال الفترة التاريخية الممتدة من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م، إذ عرف المغرب الأقصى ومراكزه الثقافية توافد أعداد كبيرة من العلماء الجزائريين من مختلف المناطق طيلة الفترة الحديثة، مع اختلاف في الأسباب والدوافع من فئة إلى أخرى، وتباين في نسق الهجرة، والذي عرف تباينا واختلافا من قرن إلى آخر حسب الظروف التي ميزت كل فترة.

1- الأسباب السياسية:

عرفت الجزائر تطورات سياسية وعسكرية كبيرة منذ أوائل القرن 10هـ/16م، نتيجة ضعف الدولة الزيانية، والتفكك الداخلي الذي أدى إلى ظهور العديد من الإمارات المتناحرة فيما بينها والتي رفضت الخضوع لأي سلطة، و الضغط الذي مارسته السلطة الوطاسية في المغرب الأقصى على حدودها الغربية [1]، وهو ما فسح المجال للتدخلات الاسبانية على سواحلها واحتلالها العديد من مدنها وموانئها[2].

وبعد انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية و استتباب الحكم في يد العثمانيين منذ سنة 925هـ1519م، حاولوا تطبيق نظام حكمهم لتسيير شؤون الجزائر من جميع الجوانب[3]، إلا أن أغلب جهودهم انصبت على الجوانب السياسية والعسكرية، وركزوا بذلك على الجهاد البحري ضد الممالك المسيحية خاصة مملكتي اسبانيا والبرتغال لبسط السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط[4].

عملت السلطة العثمانية في الجزائر على مواجهة الزيانيين المتحالفين مع الأسبان وإخضاع بعض القبائل المحلية الرافضة لسلطتها، والتصدي للخطر الاسباني الذي بات يهدد المنطقة، وتأمين الحدود الغربية من التدخلات والهجمات التي يشنها سلاطين الدولة السعدية[5]، حتى يتسنى لها تحقيق الاستقرار والأمن وتوحيد البلاد تحت سلطتها، وتمكنت من السيطرة على مدينة تلمسان وإلحاقها بالسلطة المركزية بمدينة الجزائر في عهد البايلرباي صالح رايس وإنهاء أمر الدولة الزيانية سنة 1554م[6].

---

(1)-أبو القاسم سعد الله : تاريخ ، المرجع السابق، ج 1، ص 424.

(2)- تمكن الأسبان من احتلال العديد من المدن الجزائرية خلال العقد الأول من القرن 16 م حيث تمكنوا من احتلال المرسى الكبير سنة 1505م ووهران سنة 1509م و بجاية سنة 1510م ومدنا ساحلية أخرى.

أنظر:ـ يحي بوعزيز : الموجز، المرجع السابق، ص 8-9.

(3)-محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1983، ص 255.

(4)- أرزقي شويتام : المجتمع ، المرجع السابق، ص 325.

(5)- أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق، ج1، ص 423.

(6)-مبارك الميلي: المرجع السابق، ج 3، ص 489.

كانت أول نتيجة ترتبت عن تلك الظروف الحرجة والتطورات السياسية التي مرت بها الجزائر مع مطلع القرن 10هـ/16م، هي الهجرة الواسعة للعلماء وطلبة العلم الجزائريين إلى العديد من المناطق، وبصفة خاصة نحو المغرب الأقصى، وهذه الهجرة لم تقتصر على عدد من الأفراد فحسب، بل شملت عائلات وأسرا بأكملها كانت تشتهر بالعلم والأدب في الحواضر الجزائرية [1]، واستمرت هجرة العلماء طيلة الفترة الحديثة حسب الظروف التي تميزت بها كل فترة.

تعتبر فترة القرن 10هـ/16م فترة تاريخية هامة في حركة هجرة العلماء الجزائريين نحو مدن المغرب الأقصى، خاصة من منطقة الغرب الجزائري[2]، حيث أشارت المصادر التاريخية إلى أن أكبر هجرة عرفها علماء الجزائر نحو المغرب الأقصى كانت سنة 968هـ/1560م في فترة حكم السلطان السعدي الغالب بالله الذي امتدت فترة حكمه من (965-982هـ/ 1557-1574م)، بعد الفتنة الكبرى التي وقعت بين علماء تلمسان والسلطة العثمانية في الجزائر، حيث استنجد علماء تلمسان بالسلطان السعدي الغالب بالله، الذي أنجدهم ونقلهم بعد ذلك إلى مدينة فاس ووفر لهم الحماية والرعاية [3].

لم تقتصر الهجرة على منطقة الغرب الجزائري فقط بحكم قربها الجغرافي من المغرب، بل عرفت المناطق الأخرى من البلاد هجرة لبعض علمائها إلى المغرب الأقصى سواء من قسنطينة أو بسكرة وغيرها من المدن، خلال القرنيين 11و12الهجريين/ 17 و18الميلاديين، لكن ليس بالقدر الذي شهده القرن 10هـ/16م، نظرا للظروف التي كانت سائدة في تلك الفترة[4]، والمتمثلة في شيوع الفوضى والاضطرابات السياسية خاصة في فترة حكم الأغوات الممتدة من "1070-1082هـ /1659إلى 1671م"، وتركيز السلطة الحاكمة لجهودها على استتباب الأمن والقضاء على الحركات الرافضة لسلطتها في الداخل وإخضاعها لها، وكذلك البحث عن مصادر الدخل من خلال عمليات الجهاد البحري ضد

---

[1]– أرزقي شويتام: المجتمع ، المرجع السابق، ص 325.

[2]– عمار هلال : المرجع السابق، ص 34.

[3]– ابن عسكر : المصدر السابق، ص 118.

[4]– أرزقي شويتام: " العلاقات ، المرجع السابق، ص 87.

الدول الأوروبية خاصة اسبانيا والبرتغال[1]، إضافة إلى ذلك شهدت الجزائر انتشارا لظاهرة التصوف المنحرف من بعض غلاة الصوفية، وظهور العديد من المتصوفين الذين ادعوا معرفةً بالعلم والدين وهم عكس ذلك، مثل ما أشار إليه "الفكون " في مؤلَفه المشهور" منشور الهداية "[2].

تضايق العلماء من تلك الأوضاع التي لم تكن تشجع على النشاط الفكري والعلمي في الجزائر، إذ من طبيعة العلماء دوما البحث عن جو يسوده الأمن والاستقرار، من أجل مواصلة نشاطهم الفكري وأداء دورهم في تنشيط الحياة الفكرية والعلمية[3]، وهذا ما دفعهم إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى، لكون الظروف فيه مناسبة ومشجعة على النشاط الثقافي والعلمي، وهذا ما أشار إليه الزياني بقوله : "... واعلم أن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر كثر ظلمهم وفسادهم بحيث لا يليق أن يذكر ما كانوا فيه من الظلم ... فاشتغلت العلماء في ذكر ذلك في نظمهم ...."[4]، وهو ما عبر عنه كذلك مسلم بن عبد القادر في بعض الأبيات الشعرية قائلا:

صناديد لولا الفساد في الــورى لقلنا قل مثلهم فوق الثرى
عاتوا عتوا على الخلق وجاروا فكانوا أكثر العباد وبــاروا
فرفع الكل الأكف ودعـــــــوا بما به أجاب الله ورجوا[5]

هذه الكلمات التي جاءت في هذه الأبيات تعبر عن الوضعية السيئة التي آلت إليها الجزائر خلال فترة الحكم العثماني، وهو ما دفع العديد من العلماء والمثقفين إلى الهجرة نحو مدن المغرب الأقصى، حيث أصبح المغرب الأقصى في تلك الفترة ملجأ سياسيا وعلميا يلجأ إليه المضطهدون من طرف الأسبان والمتضررين من سياسة الاستبداد لدى

---

(1)–محرز أمين: الجزائر في عهد الأغوات (1659–1671)، مذكرة ماجستير،قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008، ص61–62.

(2)–عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص 117–118.

(3)– أرزقي شويتام: العلاقات ، المرجع السابق، ص 85.

(4)– محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 327.

(5)– نفسه، ص 327.

بعض حكام الجزائر العثمانية[1]، خاصة وأن سلاطين المغرب الأقصى عُرِفوا بالاهتمام بالعلم والعلماء وتشجيعهم على العطاء والاجتهاد والإنتاج في مختلف فنون العلم سواء خلال حكم السعديين أو العلويين[2].

إضافة إلى كل ذلك، فقد هاجر العديد من علماء الجزائر تحت طائل الضغط الذي مارسته السلطة الحاكمة، عن طريق النفي والإبعاد من مختلف المناصب الحساسة[3] أو عدم الاعتماد عليهم في تنظيم شؤون الرعية في مختلف الجوانب[4] وتقلص دورهم في المدن كفئة اجتماعية هامة[5]، خاصة وأن السلطة العثمانية في الجزائر منذ بداية حكمها حاولت التقرب من المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية واستغلالهم في الضغط على القبائل الممتنعة لإخضاعها لسلطتها[6]، واعتمادها في تنظيم الحياة الدينية والاجتماعية على العلماء والفقهاء العثمانيين المنتسبين إلى المذهب الحنفي الذي يمثل مذهب السلطة الحاكمة إلى جانب فقهاء وعلماء جزائريين منتمين للمذهب المالكي خاصة في مجال القضاء والإفتاء[7].

أما فترة القرن 13هـ/19م والتي تميزت بالاحتلال الفر نسي للجزائر في سنة 1246هـ/ 1830م، عرفت هي الأخرى هجرة واسعة لعلماء الجزائر نحو مختلف الأقطار، فبعد أن تمكنت قوات الإحتلال من إحكام سيطرتها على مدينة الجزائر، واستمرت بعدها لتسيطر على العديد من المناطق والمدن الجزائرية، وبدأت في تطبيق سياستها الاستعمارية ضد الشعب الجزائري وممتلكاته، من خلال نقضها لبنود معاهدة الاستسلام[8]،

---

(1)– محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج1، ص 68.

(2)– أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق، ج1، ص 428.

(3) – BOYER : la vie quotidienne a Alger à la vieille de l'intervention française , Imp nationale , Monaco , 1964 , p78.

(4)– أبو القاسم سعد الله: تاريخ ، المرجع السابق، ج1، ص432.

(5) – BOYER : Op.cit , p 28.

(6) – BELL ALFRED : histoire et historiens de l'Algérie , Alan , Paris ,1931 , pp 194-495.
- BOYER : Op.cit, pp 13-14.

(7)– رشيدة شدري معمر: المرجع السابق، ص 97.

(8)– حمدان خوجة: المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : العربي الزبيري ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ، 2006، ص 197.

التي تم توقيعها بين قائد القوات الفرنسية والداي حسين[1]، وشرعت بذلك في الاستيلاء على ممتلكات الجزائريين العامة والخاصة، وأخضعت تسيير شؤون البلاد لقوانينها، وعملت على تطبيق سياستها الاستعمارية في جميع المجالات للقضاء على جميع مقومات الشخصية الجزائرية، وترسيخ معالم الحضارة الفرنسية.

كان للاحتلال الفرنسي وسياسته انعكاسات سلبية على العائلات والأسر الجزائرية، إذ عرفت الفترة الأولى للاحتلال الفرنسي هجرة العديد من فئات المجتمع الجزائري إلى مختلف الأقطار، مشرقا ومغربا، حيث ضحى أولئك المهاجرون بمصالحهم وممتلكاتهم هروبا من سياسة الاستعمار وتعسفه وحفاظا على أرواحهم[2]، و شملت هذه الهجرة فئات مختلفة من السكان بما فيها فئة العلماء وطلبة العلم الذين انتقلوا إلى مدن المغرب الأقصى منذ بداية الاحتلال، للابتعاد عن الإدارة الاستعمارية وسياستها التي انتهجتها خاصة ضد العلماء والمثقفين والمؤسسات الثقافية والدينية، وذلك رغبة منها في محو السمات الأساسية للمجتمع الجزائري والقضاء على الثقافة العربية الإسلامية، في إطار الصراع الحضاري المتواصل بينها وبين الدولة العثمانية لكون الجزائر تابعة ولو اسميا للدولة العثمانية خلال تلك الفترة.

تعرضت الحركة الثقافية والعلمية في الجزائر منذ بداية الاحتلال إلى مضايقات من طرف الإدارة الاستعمارية، إذ شهدت المؤسسات الدينية والثقافية في الجزائر منذ الأيام الأولى من الاحتلال خرابا ودمارا كبيرا، كما تم الاستيلاء كذلك على الممتلكات العامة والخاصة من خلال جملة من القوانين التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية، والتي تم بموجبها مصادرة أملاك الأوقاف، والاستحواذ على المساجد والزوايا والمدارس وتحويلها إلى

---

[1]– في الثالث عشر من شهر محرم سنة 1246هـ الخامس من جويلية سنة 1830م وقعت معاهدة الاستسلام بين الداي حسين باشا وقائد القوات الفرنسية المارشال بورمون، والتي نصت على احترام جميع مقدسات الشعب الجزائري وممتلكاته مقابل الحفاظ على سلامة وأمن الداي .

أنظر:ـ محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تعليق: ممدوح حقي، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ج 1، ص 163–164.

[2]– إبراهيم حركات : المغرب ، المرجع السابق، ج3، ص 216.

محلات ومراكز لإيواء جيوشها[1] ، إضافة إلى نفي القضاة والفقهاء، فكانت نتيجة ذلك أن هاجر العلماء والأدباء إلى المشرق والمغرب، وأدى ذلك إلى حالة من التراجع في المجالات الثقافية والعلمية في الجزائر[2].

2- الأسباب الثقافية والعلمية:

تركزت الحركة الثقافية والعلمية في الجزائر قبل مجيء العثمانيين في العديد من الحواضر والمدن مثل تلمسان و بجاية و قسنطينة وغيرها من المدن، والتي كانت تمثل مراكز الإشعاع الثقافي والفكري في الجزائر خاصة، وفي بلاد المغرب الكبير عامة، من خلال احتوائها على أنواع كثيرة من العلوم والفنون و ضمها لكبار العلماء والأدباء، إذ ساهمت في ظهور عائلات وأسر علمية تميزت عن غيرها بتمكنها في عدة علوم، وبتقلدها مناصب هامة كالقضاء والإفتاء والتدريس[3]، إلا أن أغلب هذه الأسر هاجر ت إلى المغرب الأقصى في مطلع القرن 10هـ/16م، وطوال القرون التي تلته، متخذة من مدنه مراكز للاستقرار، ومن مراكزه الثقافية محطة للإبداع العلمي والفكري.

لم تكن هجرة علماء الجزائر نحو المغرب الأقصى لأسباب سياسية فقط، ولم تكن الأسباب السياسية هي السبب الرئيسي في ذلك، بل هناك أسباب ودوافع أخرى وراء تلك الهجرة، والتي يمكن اعتبارها الأسباب الرئيسية، والمتمثلة في طلب العلم والاستفادة من الحركة الثقافية التي كانت نشطة في المغرب الأقصى ، خاصة في القرن 10هـ/16م خلال فترة حكم الدولة السعدية، و التي عرفت خلالها الحركة الثقافية والعلمية نشاطا كبيرا وانتشارا واسعا في مختلف مناطق المغرب الأقصى، نظرا لما تتوفر عليه من مراكز ثقافية كبرى على غرار القرويين في مدينة فاس، وكذلك بفضل الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الذي شهده المغرب الأقصى على عهدهم[4].

---

(1)- حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 228-229.

(2)-أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث- بداية الاحتلال-، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص159.

(3)- كمال خليل: المرجع السابق، ص 2.

(4)- محمد الأخضر: : "**الأدب المغربي على عهد الدولة العلوية، العصر الأول (1139-1171/1727-1757)**"، مجلة المناهل، العدد الأول، 1974، الرباط ، ص 217.

واستمرت الحركة الثقافية بالمغرب الأقصى في نشاطها خلال فترة حكم العلويين، وذلك بفضل اهتمام حكامهم بالعلم والعلماء، وبنائهم للمدارس والمساجد والمعاهد، وتشييد المكتبات واقتناء الكتب، وتشجيع العلماء وطلبة العلم على البحث والتأليف[1].

عرفت الأوضاع الثقافية في الجزائر منذ مطلع القرن 10هـ/16م، تقلبات مختلفة أثرت بشكل عام على الحركة العلمية والفكرية، والتي تميزت خلالها بالتراجع في النشاط الفكري والعلمي في بعض المدن والمركز الثقافية، خاصة تلك التي تعرضت للاحتلال الاسباني مثل بجاية ووهران، وتراجع المكانة العلمية لبعض المراكز الثقافية بسبب هجرة العديد من علمائها إلى مناطق مختلفة منذ أوائل القرن 10هـ/16م وخلال القرون التي تلته[2]، إذ ترك أولئك العلماء فراغا ثقافيا كبيرا في المراكز الثقافية الجزائرية التي هاجروا منها، مما أسفر عن تراجع في النشاط العلمي والإنتاج الفكري والأدبي في الجزائر، صاحبه انتشار واسع للتصوف بمختلف أنواعه[3].

تميزت الحياة الثقافية في الجزائر بالضعف والتراجع نظرا لمحدودية الاهتمام بالجوانب العلمية والثقافية من طرف السلطة الحاكمة، إذ لم يهتم العثمانيون في الجزائر بالتعليم اهتماما كبيرا، ولم يشجعوا الحركة الثقافية والعلمية، باستثناء المبادرات الفردية من بعض الحكام خلال القرن 12هـ/18م، أمثال الداي محمد بقطاش الذي حكم مابين (1707-1710م) ، حيث ساهم هذا الداي بشكل لافت في توسيع دائرة الثقافة ونشر العلم من خلال إنشائه للعديد من المدارس والمساجـد والزوايا[4]، إضافة إلى ذلك، ما قام به كل من صالح باي في قسنطينة ومحمد بن عثمان الذي كان بايا على الغرب الجزائري من إصلاحات في المجال الثقافي والعلمي، إلا أنها لم تعمم على جميع القطر الجزائري، ولم تعرف انتشار خلال جميع أطوار الحكم العثماني في الجزائر، حيث بقي النشاط الثقافي والعلمي متداولا بين العامة من السكان، مع حرص فئة من العلماء في الحفاظ على

---

(1)– الفشتالي، المصدر السابق، ص 217.

(2)- H.-D. DE GRAMMONT : Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830) ,ernest leroux , paris, 1887, pp 78-

(3)– أرزقي شويتام: المجتمع ، المرجع السابق، ص 332.

(4)– ابن ميمون: المصدر السابق، ص 57-58.

استمرارية الحركة العلمية والثقافية، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لازدهارها وتطورها، مما أدى إلى انخفاض في مستوى التعليم، وتراجع في الإنتاج الفكري والأدبي في الجزائر[1]، وهو ما أدى إلى ظهور بعض غلاة الصوفية وانحرفوا في مبادئهم و امتزج نشاطهم خلال تلك الفترة بالخرافات والبدع والشعوذة في غالب الأحيان[2].

وقد عبر أبو راس الناصري عن هذه الوضعية وما آلت إليه الحياة الثقافية والعلمية في الجزائر بقوله: " ... أني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده، وخلت آثاره ومراسمه، وعفت أطلاله ومعالمه، لاسيما فن التاريخ والأدب..."[3]، وهذا دليل على جانب من جوانب الركود الذي عرفته الحركة الثقافية في الجزائر خلال تلك الفترة، بسبب سوء الأوضاع السياسية السائدة وانتشار ظاهرة التصوف بكـــــثرة ، وتركيز أغلبية العلماء على الشروح والاختصارات دون البحث عن سبل لتطوير مختلف العلوم[4]، والخوض في مختلف المجالات العلمية التي عرفت تطورا كبيرا في العديد من مناطق العالم خاصة لدى الدول الأوروبية.

لا يمكن اعتبار العثمانيين في الجزائر السبب الرئيسي في الحالة التي آلت إليها الحياة الثقافية والعلمية في الجزائر، بالرغم من أن سياستهم لم تساعد على تطوير الجوانب الثقافية والعلمية، حتى أنهم لم يشكلوا عائقا في وجه استمرار النشاط العلمي و الثقافي الذي بقي رهن المبادرات الفردية لثلة من العلماء[5]، إذ لم يكن العثمانيون في الجزائر منذ البداية حاملين لمشروع ثقافي بقدر ما كانوا يؤسسون لمشروع سياسي، حسب ما تقتضيه الأوضاع السائدة في المنطقة خلال تلك الفترة .

---

(1)– أبو القاسم سعد الله: أبحاث ، المرجع السابق، ج 3، ص 30.

(2) – Haedo : Topographie et Histoire générale d'Alger , traduction A : Berbrugger et Monnereau, imp à valadolid , 1612, p107.

(3)– أبو راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ج1، ص 109.

(4)–زهراء النظام : المرجع السابق ، ص 436.

(5)– أرزقي شويتام، المجتمع ، المرجع السابق، ص333.

عرفت الجزائر انتشارا واسعا لظاهرة التصوف بمختلف أنواعها وفروعها، إذ أن نشاط الطرق الصوفية حال دون تحقيق تطور كبير في النشاط العلمي والثقافي باستثناء بعض رجالات التصوف الذين كانوا من كبار العلماء أمثال ابن يوسف المليانى وأحمد التيجاني، وذلك بسبب تركيزها على الجوانب الروحية، واهتمامها بتدريس العلوم الدينية حسب ما تقتضيه تعاليمها ومبادئها، وشيوع ظاهرة التصوف المنحرف الذي تبناه غلاة التصوف، خاصة خلال القرنين 11و 12 هجريين/ 17 و 18 ميلاديين [1]، على خلاف ما هو عليه الحال في المغرب الأقصى، أين غدت الطرق الصوفية وزواياها معاهد علمية تعج بالمريدين وطلبة العلم المتعطشين للعلم والمعرفة، ولم يمض عليها وقت طويل حتى أصبحت مراكز علمية هامة تنافس المراكز العلمية الأخرى، كما هو الشأن بالسنة للزاوية الدلائية ، وغيرها من الزوايا التي عرفت نبوغ وبروز العديد من العلماء والفقهاء الذين كان لهم شأن كبير في الحياة الفكرية بالمغرب الأقصى[2].

تشير العديد من الدراسات التاريخية أن حركة التعليم في الجزائر أواخر القرن 12هـ/18م وبداية القرن 19م/13هـ كانت نشطة وأن التعليم عرف انتشارا واسعا بين جميع فئات المجتمع الجزائري في المدن والأرياف، وأن أغلبية السكان يحسنون القراءة والكتابة[3]، إلا أنه بعد سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي تعطلت حركة التعليم بسبب السيطرة على مؤسساته والاستيلاء على مواردها، وهو ما دفع العلماء وطلبة العلم إلى الهجرة خاصة إلى مدن المغرب الأقصى[4].

كانت مدن الغرب الجزائري هي الأكثر تضررا في الميدان الثقافي والعلمي منذ بداية الإحتلال بسبب كثرة الحروب والمعارك والمقاومات التي شهدتها هذه المناطق ضد القوات الفرنسية، ومشاركة غالبية العلماء ورجال الدين في هذه المقاومة ضد الاحتلال، الأمر الذي

---

[1]–صالح عباد: المرجع السابق، ص 23–24.

[2]– محمد العيادي: المرجع السابق ، ص 40–41.

[3]– مبارك الميلي: المرجع السابق، ج3، ص 317.

[4]– أبو القاسم سعد الله: أبحاث ، المرجع السابق، ج 3، ص 30.

دفع بسكانها بما فيهم فئة العلماء وطلبة العلم، إلى مغادرتها والهجرة إلى مناطق آمنة، بسبب توقف مدارسها عن العمل و تخريب مكتباتها ونهب مؤلفاتها واضطهاد علمائها[1].

وعلى هذا الأساس انتقل العديد من العلماء وطلبة العلم الجزائريين إلى مدن المغرب الأقصى بهدف الدراسة والاستفادة من كبار العلماء خاصة في مدن فاس ومراكش وتطوان، أو للتدريس بها ونشر مختلف أنواع العلوم، خاصة العلوم الدينية والعلوم العقلية منها كعلم الكلام، الذي اشتهر به العديد من علماء تلمسان، منذ عصر محمد بن يوسف السنوسي[2]، حيث نقل العلماء الجزائريون هذا العلم إلى المراكز الثقافية في المغرب الأقصى، ونشروه بين علمائها خلال فترة تواجدهم في المنطقة، وراجت وانتشرت بذلك أفكارهم ومؤلفاتهم في كامل أنحاء المغرب الأقصى[3].

3- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية:

اجتمعت عوامل أخرى – إضافة إلى العوامل السابق ذكرها – والتي ساهمت في هجرة علماء الجزائر إلى المغرب الأقصى، حيث فضل العديد منهم الاستقرار في المغرب لكون الحياة فيه أفضل لهم وأيسر منها في الجزائر ، لتوفر سبل العيش و سيادة الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي، كما أن عددا منهم كانت لهم جذور تاريخية في المغرب من حيث الأنساب والعائلات، إضافة إلى ذلك فمن العلماء من انتقل إلى المغرب الأقصى لأسباب اقتصادية مثل التجارة أو العمل لتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، واستغلال تواجدهم في تلك الفترة بالمغرب الأقصى للاستفادة من مختلف العلوم ومن كبار العلماء والمدرسين في المغرب ، على غرار ما قام به ابن حمادوش الجزائري أثناء رحلته

---

(1)– أبو القاسم سعد الله : أبحاث ، المرجع السابق، ج3، ص31.

(2)– من كبار علماء تلمسان وزهادها في عصره ، عالم بالتفسير والحديث وعلم التوحيد وعلم الكلام ، نشأ بمدينة تلمسان، وأخذ العلم عن علمائها ، واشتهر بمؤلفاته الكثيرة في التوحيد والتفسير والمنطق، توفي بتلمسان سنة 1490م/895 هـ.

أنظر: ـ ابن مريم: المصدر السابق ، ص 238–239.

(3)–محمد حجي ، الحركة ، المرجع السابق، ج 1، ص 68.

إلى المغرب الأقصى ، يمارس نشاطه التجاري ويحضر مجالس العلم مع علماء المغرب الأقصى[1].

عرفت الجزائر ظروفا اقتصادية واجتماعية صعبة خاصة خلال القرن 12هـ/18م، إذ أن هذه الظروف الصعبة التي شهدتها الجزائر كانتشار الطاعون والمجاعات والجفاف أودت بحياة العديد من السكان بما فيهم العلماء[2]، فاضطر العديد منهم للانتقال إلى المشرق والمغرب وإلى مناطق آمنة تساعدهم على الاستقرار ومواصلة نشاطهم الفكري والعلمي، فوجد البعض منهم في المغرب الأقصى ومدنه ملاذا ومستقرا لهم، وبذلك أتيحت لهم الفرصة لمزاولة نشاطهم العلمي والفكري في المنطقة، بالرغم من أن المغرب الأقصى شهد كذلك مثل تلك الظواهر كانتشار الطاعون والوباء في العديد من الفترات.

---

[1]– ابن حمادوش: المصدر السابق، ص 32، 35.

[2] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ ، المرجع السابق، ج1، ص 432.

II- تراجم لبعض علماء الجزائر في المغرب الأقصى:

عرفت الفترة التاريخية الممتدة من القرن10هـ/ 16م إلى القرن 13هـ/ 19م تواجد العديد من العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى سواء ممن هاجروا من الجزائر لدوافع وأسباب مختلفة كما ذكرنا سابقا، أو ممن نشئوا في المغرب بعد استقرار أسرهم في المدن المغربية، إذ تميزت كل فترة عن الأخرى بالاختلاف من حيث أعداد العلماء الجزائريين المتواجدين بالمغرب، وكذلك من حيث المكانة التي حظي بها هؤلاء العلماء لدى حكام المغرب الأقصى سواء منهم حكام الدولة السعدية أو حكام الدولة العلوية.

1 – تراجم بعض علماء القرن 10هـ/16م:

تعتبر فترة القرن 10هـ/16م من أهم الفترات التاريخية التي عرفت توافدا كبيرا لعلماء الجزائر على المغرب الأقصى[1]، منذ مطلع القرن 16م لعدة أسباب، حيث شملت هذه الهجرة عائلات وأسر كانت تشتهر بالعلم والأدب في الجزائر، و ازدادت شهرتها في المغرب الأقصى بفضل نشاطها العلمي الكبير مما جعلها تحظى بمكانة هامة في المنطقة، ومن بين هؤلاء العلماء نذكر:

– **أحمد بن يحي الونشريسي:** من كبار الفقهاء في عصره حامل لواء المذهب المالكي، من أهل تلمسان نشأ بها وأخذ العلم من كبار علمائها، هاجر إلى المغرب الأقصى سنة 874هـ واستقر بمدينة فاس، فذاع صيته بها حتى غدا من أكبر علمائها وفقهائها ، حيث تولى بها العديد من الوظائف الهامة كالتدريس والفتيا وغيرها، وتوفي بها سنة 914هـ/1509م[2] ، مخلفا وراءه آثارا علمية هامة خاصة في مجال الفقه، وركز على الفتاوى والنوازل التي كانت منتشرة في تلك الفترة مثل ما أورده في مؤلفه " **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس**"، وغيرها من المؤلفات[3]، وخلفه ابنه عبد الواحد الذي سنتحدث عنه فيما بعد.

---

(1) – أنظر الملحق رقم : 03.

(2) – التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص 135–136.

(3)– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 344.

- **أحمد بن يوسف الملياني الراشدي:** يعد من كبار علماء الصوفية في الجزائر، وهو كما وصفته صاحب كتاب سلوة الأنفاس: "... الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف، العالم السالك الناسك..."[1]، قصد المغرب الأقصى واستقر به، وعلت شهرته حتى أصبح من كبار علماء التصوف ببلاد المغرب. ويضيف الكتاني بقوله: "....من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين، أحد أوتاد المغرب وأركان هذا الشأن ..."[2]، وبسبب شهرته الواسعة في المنطقة كثر أتباعه ومريدوه وأفرطوا في حبه وتقديسه[3]، وأخذت بوادر الطريقة الصوفية التي أخذت من اسمه تظهر في الأفق وسميت باليوسفية، وانتشرت بالمغرب الأقصى إلا أنها انحرفت عن مبادئ الملياني وانحرفت في تعاليمها وعقائدها، حيث أشار إلى ذلك ابن القاضي بقوله: "...وحاشاه أن يقول بمقالتهم ، إذ هم احلوا ما حرم الله تعالى ، وقد اختلقوا بدعتهم من ترك الصلاة والصوم ...وغير هذا مما الشيخ منزه عنه..."[4]، توفي سنة 927هـ/ 1521م ودفن بمدينة مليانة بالجزائر.

- **ابن جيدة الوهراني:** هو أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن جيدة الوهراني، وصفته كتب التراجم على انه الفقيه الكبير والإمام العالم القدوة[5]، أخذ العلم عن كبار العلماء في عصره، وهو من كبار فقهاء المالكية، كما أنه نبغ كذلك في علم التصوف[6]، نشأ وتعلم في مدينة وهران، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى واستقر بمدينة فاس وتصدر للتدريس بها[7]، وأخذ عنه العلم العديد من العلماء على غرار أبي العباس أحمد المنجور، وغيره من العلماء وتوفي سنة 951هـ/1544م[8].

---

(1)– الكتاني : المصدر السابق، ج1، ص 13.

(2) نفسه، ص 13.

(3)– ابن عسكر:المصدر السابق، ص 125.

(4)– ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة و المكتبة العتيقة، تونس، ج 1، ص 165.

(5)–محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة ، 1349هـ، ص278.

(6)– ابن مريم: المصدر السابق، ص 53.

(7)– لم تذكر كتب التراجم تاريخ انتقاله إلى المغرب الأقصى واستقراره بمدينة فاس .

أنظر:ـ عمار هلال: المرجع السابق، ص 30.

(8)– ابن القاضي: درة ، المصدر السابق، ج 1، ص 106.

- **عبد الواحد الونشريسي:** ابن أحمد بن يحي الونشريسي الفقيه المالكي السالف الذكر، ولد عبد الواحد في مدينة فاس بعد أن استقر والده فيها بعد هجرته من الجزائر، نشأ بها وتعلم على أبيه ، كما أخذ العلم عن كبار العلماء في المغرب الأقصى[1] ، أصبح بعد ذلك من كبار علماء عصره، حيث تولى عدة مناصب كالقضاء والفتيا والتدريس [2]، كما أنه كان أديبا ناظما وكاتبا وخطيبا بليغا ،كما أورد ذلك صاحب نيل الابتهاج : " ....كان رائق الخط، فائق الإنشاء والشعر، متقدما في الوثائق والمكاتبات،.... فصيح العبارة ، آية في إنشاء الخطب البليغة...." [3]، توفي مقتولا أما باب القرويين سنة 955هـ/1549 من طرف جماعة تابعة للسلطان السعدي أبو عبد الله محمد الشيخ بعد أن رفض عبد الواحد الونشريسي خلع البيعة من السلطان الوطاسي أبو العباس، وعدم مبايعته السلطان السعدي أحمد الشيخ[4].

- **أحمد بن محمد العقباني:** هو أبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم العقباني، اشتهرت عائلة العقباني بالعلم والأدب منذ فترات زمنية مختلفة، حيث كانت هذه العائلة من طبقة العلماء الشهير ة في تلمسان[5] ، قدم أحمد بن محمد إلى مدينة فاس مع مجموعة من علماء تلمسان بعد الفتنة التي وقعت بين علماء تلمسان والسلطة العثمانية، واستقر بالمغرب الأقصى وتصدر للتدريس بجامع القرويين[6] ، وكان مشاركا في العديد من العلوم خاصة منها علوم الفقه، وتوفي بمدينة فاس حوالي سنة 979هـ /1571م[7].

---

(1)-محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 282.

(2)- ابن عسكر: المصدر السابق، ص 52.

(3)- التنبكتي: المصدر السابق، ص 288-289.

(4)- ابن عسكر: المصدر السابق، ص 53-54.

(5) – CH- Brosselard : ***"Les inscriptions orales de Tlemcen , Tombeaux des familles EL Makkari et EL Okbani "***, in **R . A** ,N^0 05 , Alger, 1861, p 413-421.

(6)-ابن عسكر : المصدر السابق، ص 123.

(7) – CH- Brosselard: op.cite, p 417.

أنظر أيضا: ــ عبد الوهاب بن منصور: أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، د ط، 1979،ج 1، 168.

- **ابن جلال التلمساني:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن جلال التلمساني ، نشأ بمدينة تلمسان وتعلم بها ،كان إماما في علم الكلام ، قدم إلى فاس سنة 958هـ ، أيام السلطان السعدي أبي عبد الله محمد الشيخ[1]، حضي بمكانة مرموقة لدى السعديين ، تقلد مناصب عدة بمدينة فاس كالفتوى، وتولى التدريس والخطابة في جامع القرويين[2]، واخذ عنه الكثير من طلبة العلم وانتفع الناس بعلمه ، توفي سنة 981ه/ 1573مـ[3].

- **محمد بن هبة الله:** المعروف بشقرون ، وصفته كتب التراجم على أنه "....الفقيه الفهامة العالم العلم، شيخ الفتيا وإمامها الأكبر...، كان عالم الزمان وفارس المنابر وعروس الكراسي ، حاز أوصاف الكمال...قدم إلى فاس سنة 967هـ..."[4] وتقلد مناصب عدة، خاصة في مجال التدريس والفتوى بمدينة مراكش وفي قصر السلطان السعدي الغالب بالله، وتوفي بمدينة فاس سنة 983هـ/1575م، وكان يلقب بـ "مالك الصغير" [5]، وهذا دلالة على القيمة العلمية الكبيرة لهذا العالم ، والمكانة الهامة التي حضي بها بين معاصريه، لتميزه في علوم الفقه بصفة خاصة، ولم يقتصر نشاطه العلمي على علوم الفقه فقط ، بل إنه كان مهتما بعلوم أخرى كالفرائض والبيان وغيرها[6] ، وبسبب تمكنه من مختلف العلوم كثر من أخذ عنه العلم في المغرب الأقصى جموع غفيرة من مختلف الفئات[7].

- **أحمد بن أحمد العبادي:** أبو العباس ، كما وصفه ابن عسكر في ترجمته بأنه "...الفقيه العالم العلم العلامة....، من فحول العلماء كبير الهمة، غزير العلم، كريم السجية..."[8]، تفقه على يد والده ، انتقل إلى فاس سنة 968 هـ مع مجموعة العلماء والفقهاء الذين هاجروا من تلمسان رفقة السلطان السعدي الغالب بالله، فقدره حق تقديره

---

(1)– ابن عسكر : المصدر السابق، ص 123.

(2)– ابن القاضي: درة ، المصدر السابق، ج2، ص 214.

(3)– نفسه، ص 215.

(4)– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 116.

(5)– ابن مريم: المصدر السابق، ص 261.

(6)– ابن القاضي: درة ، المصدر السابق، ج2، ص 215.

(7)– عمار هلال: المرجع السابق، ص 31.

(8)– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 118.

وأكرمه كرما يليق بمقامه[1]، وبقي في مدينة فاس مدة من الزمن يشارك فيها بنشاطه العلمي خاصة في ميدان التدريس ، وأقبل الناس عليه وكثر طلبة العلم في مجالسه العلمية التي يعقدها لإلقاء الدروس والمواعظ، ثم انتقل إلى مراكش ، وعاد بعد ذلك إلى مدينة تلمسان وتوفي بها سنة 986 هـ [2].

- **ابن الوقاد:** محمد بن أحمد بن محمد ، من كبار العلماء في ميدان التفسير والحديث والفقه ، من أهل تلمسان ، هاجر إلى المغرب الأقصى بعد استقرار الحكم في يد العثمانيين بالجزائر [3]، واستقر بمدينة تارودانت وتولى بها القضاء لمدة ستة أشهر ثم أعفي منها لكون أهلها لا يفهم لسانهم البربري" أي اللهجة المحلية التي يتكلم بها أهل المدينة " ، ثم انتقل بعدها إلى مدينة فاس وتقلد بها عدة مناصب كالتدريس والإمامة ، وبعدها عاد إلى تارودانت ونال مكانة كبيرة بين العامة والخاصة نظرا لبراعته وتمكنه في عدة علوم، وتوفي سنة 1001هـ/1593م[4].

2 – تراجم بعض علماء القرن 11 و 12هـ/ 17و18م:

عرفت هذه الفترة توافدا لعدد من علماء الجزائر على المغرب الأقصى[5] ، إلا أنه لم يكن بنفس الأعداد التي عرفتها الفترة السابقة ، وذلك بسبب الركود الثقافي الذي أصاب الجزائر خلالها نتيجة للفوضى و الاضطرابات التي شهدتها الجزائر كما ذكرنا سابقا.

- **أحمد المقري:** هو أبو العباس أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن المعروف بالمقري التلمساني [6]، كما وصفته كتب التراجم على أنه أديب ، حافظ ، آية في علم الكلام والتفسير والحديث، أصبح من كبار العلماء في عصره ، ولد بتلمسان وتعلم بها، ثم انتقل

---

(1)– السملالي: المصدر السابق، ج2، ص 243.

(2)– ابن عسكر : المصدر السابق، ص 118.

(3)– لم تذكر كتب التراجم تاريخ انتقاله إلى المغرب الأقصى .

(4) – عادل نويهض، المرجع السابق، ص 343.

(5)– أنظر الملحق رقم:04.

(6) – CH- Brosselard :op.cite, p 402.

أنظر أيضا: ــ محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، مخطوط مصور، خزانة المذهب المالكي– مكتبة شاملة لمؤلفات ومصنفات السادة المالكية في مختلف العلوم الإسلامية– ، ج 1، ص 157– 158.

إلى فاس سنة 1009هـ/1600م، وأخذ العلم من كبار علمائها ، ثم انتقل إلى مراكش سنة 1010هـ/1601م، ومكث بها سنتين ثم عاد بعدها إلى مدينة فاس وتولى بها الفتوى والخطابة بجامع القرويين، لمدة خمس سنوات إلى أن غادرها لأسباب سياسية سنة 1027هـ/1618م باتجاه المشرق لأداء فريضة الحج[1]، جاب من خلالها العديد من البلدان كمصر وسوريا ومكة، وكانت له شهرة واسعة في تلك البلاد ، وبقي هناك إلى أن توفي بالقاهرة سنة 1041هـ/1631م[2].

– **ابن الوقاد:** عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ، شاعر لغوي من أهل تلمسان استقر في المغرب الأقصى بعد أن هاجر والده منذ أوائل القرن 16م[3]، أخذ العلم عن والده وعن كبار العلماء في عصره أمثال أحمد بابا السوداني وسعيد الهوزالي وغيرهم، وقد تميز عبد الرحمن ابن الوقاد بمميزات علمية هامة جعلته يخلف والده في المناصب التي كان يتولاها، كما ذكر الوفراني[4]: "...إماما مشاركا في عدة فنون ، ولي مكان أبيه للتدريس بمدينة تارودانت..."، كما أنه تقلد العديد من المناصب في مدينة تارودانت كالإمامة والخطابة، إذ أنه كان فصيحا في الكلام ناظما للشعر، بارعا في فنون اللغة العربية ومتقنا لقواعدها، وتوفي سنة 1057هـ/1647م[5].

– **محمد بن عبد الكريم الجزائري:** ويلقب بالشريف الحسني، من علماء الجزائر، أخذ العلم من كبار العلماء أمثال الشيخ سعيد قدورة وغيره من نحو سبعين شيخا[6] ، انتقل إلى مدينة فاس سنة 1083هـ، حضي بمكانة مرموقة لدي حكام الدولة العلوية، إذ أنه لما وفد على السلطان العلوي إسماعيل أكرم وفادته نظرا لمنزلته العلمية الكبيرة، وكان بارعا في الأدب والفقه، وتوفي بمدينة فاس سنة 1102هـ/1691م[7].

---

(1)– الوفراني: صفوة ، المصدر السابق، ص 143.

(2)– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 310.

(3)–الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 199.

(4)– الوفراني: صفوة ، المصدر السابق، ص 271–272.

(5)– عادل نويهض : المرجع السابق، ص 343.

(6)–محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 327.

(7)– محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ج 2، ص 141.

أنظر أيضا: ــ عادل نويهض: المرجع السابق، ص 110.

– **عمر المانجلاتي:** عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي، من الفقهاء الكبار ، تنحدر أصوله من بجاية، انتقل بعد سقوط المدينة في يد الإحتلال الاسباني إلى مدينة الجزائر وبها ذاعت شهرته، وأصبح من كبار علمائها[1]، كما وصفه ابن زاكور في رحلته بعد أن حصل على إجازته : "...العلم الأشهر، والحبر الأكبر، حائز الشرفين العرضي والذاتي ....، وإليه المرجع في كل خطب مفزع ... ، وإحكامه لقواعد العلوم..."[2]، انتقل بعدها إلى المغرب الأقصى وأخذ عنه العلم العديد من الطلبة والعلماء، ثم عاد إلى الجزائر وتوفي بمدينة الجزائر سنة 1104هـ/1673م[3].

– **عيسى بن محمد البطيوي:** يعود نسبه إلى منطقة بطيوة التابعة لمدينة وهران، من كبار فقهاء المالكية في الجزائر، كما أن له اشتغالا بالتصوف وعلومه، عرف برحلاته المختلفة لطلب العلم ، حيث رحل إلى مدينة فاس لطلب العلم والدراسة وأخذ العلم عن كبار علمائها[4]، ثم عاد بعدها إلى تلمسان وواصل نشاطه العلمي بها، خلف إنتاجا علميا هاما شمل العديد من المؤلفات لعل من أهمها: " مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح"، ولم تشر كتب التراجم إلى تاريخ وفاته ، بل ذكرت فقط أنه عاش في النصف الأول من القرن 11هـ/17م[5].

– **ابن الكماد:** محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني، المعروف بابن الكماد ، هو منطقي ومحدث فقيه ومتكلم، كان من أحفظ علماء عصره كما وصفته كتب التراجم بأنه: " ....حافظا للفروع والأصول..."[6]، من مدينة قسنطينة نشأ وتعلم بها، وأخذ العلم عن كبار العلماء في الجزائر على غرار أحمد المقري التلمساني ومحمد بن سعيد قدورة وغيرهما، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى واستقر بمدينة فاس وبها علت شهرته وذاع صيته،

---

(1)– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 318.

أنظر أيضا: ــ الحفناوي: المرجع السابق، ص 295–296.

(2)– ابن زاكور: المصدر السابق، ص 41–42.

(3)– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 318.

(4)– لم تذكر كتب التراجم تاريخ انتقاله إلى مدينة فاس ، كما أنها لم تذكر تاريخ وفاته .

(5)– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 44.

(6)– الوفراني: صفوة ، المصدر السابق، ص 359.

كان مشاركا في النشاط العلمي بالمغرب الأقصى [1]، من خلال تصدره للتدريس بمدينة فاس، فكثر إقبال طلبة العلم على مجلسه للاستماع إليه والأخذ عنه ، كما ذكر صاحب سلوة الأنفاس: " ... وتصدر التدريس بها فأفاد وأجاد ، وأخذ عنه الجم الغفير من كل بلاد ..."[2]، وهذا دليل واضح على المساهمة الفعالة لهذا العالم في النشاط الفكري بالمغرب الأقصى، وتوفي بمدينة فاس سنة 1116هـ/1704م[3].

- **عبد الرزاق ابن حمادوش:** هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بان حمادوش الجزائري المولود بمدينة الجزائر سنة 1107هـ/ 1695م، أخذ ابن حمادوش العلم على العديد من العلماء والمشايخ في الجزائر، وكان مولعا بعلوم كثيرة ، خاصة منها علوم الطب والصيدلة والفلك، وعرف برحلاته المتواصلة مشرقا ومغربا، قصد المغرب الأقصى في رحلة عام 1156هـ /1743م للتجارة وطلب العلم، وخلال تلك الرحلة جالس العديد من العلماء وحصل على إجازتهم على غرار الإجازة التي منحها له علماء المغرب أمثال الشيخ أحمد الورزازي و الشيخ عبد السلام بناني [4] وغيرها من الإجازات التي حصل عليها من عديد العلماء[5]، كما أنه أجرى عددا من المناظرات والمناقشات العلمية مع العديد من علماء المغرب حول قضايا مختلفة، إذ ذكر في رحلته أنه جمعته مع شيخه الورززي مناظرة حول قضية تفضيل الملائكة على الأنبياء وذكر أنه تفوق فيها على شيخه واعترف له بذلك[6]، وتوفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان وتاريخ مجهولين كما ذكر ذلك المؤرخ أبو القاسم سعد الله في تقديمه لكتاب "رحلة ابن حمادوش الجزائري"[7].

---

[1]– محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 329.

[2]– الكتاني: المصدر السابق، ج2، 34.

[3]– الوفراني: صفوة ، المصدر السابق، ص 360.

أنظر أيضا:ـــ عادل نويهض: المرجع السابق، ص274.

[4]– إبراهيم حركات: التيارات ، المرجع السابق، ص 23 .

[5]– ابن حماد وش: المصدر السابق، ص 29، 37.

أنظر أيضا :ـــ أبو القاسم سعد الله: أبحاث ، المرجع السابق، ص 223–225.

[6]– ابن حمادوش: المصدر السابق، ص 65–66.

[7]– نفسه، ص 9.

- **عبد الرحمن بن إدريس التلمساني:** المعروف بـــ"المنجرة "، من كبار العلماء في عصره ، نشأ بمدينة تلمسان وأخذ العلم عن كبار علمائها ثم انتقل بعد ذلك إلى المغرب الأقصى واستقر بمدينة فاس حتى لقب بـــ"الفاسي"، وأصبحت له مكانة هامة نظرا لمشاركته في العديد من العلوم، كعلوم اللغة العربية والمنطق والأصول والفقه والتفسير والحديث، واستمر في نشاطه العلمي والثقافي بالمنطقة، له مجموعة من المؤلفات في مجالات مختلفة، وتوفي سنة 1179هـــ/1784م[1].

- **أحمد بن عثمان التلمساني:** أبو العباس أحمد بن عثمان بن على بن محمد التلمساني، من علماء المالكية ولد ونشأ بتلمسان وأخذ العلم عن مشايخها عرف برحلاته مغربا ومشرقا، له مشاركة في العديد من العلوم خاصة منها العلوم الصوفية، وقد أخذ عنه العديد في المغرب الأقصى ، وتوفي سنة 1151هـــ/1738م[2].

3- تراجم بعض علماء القرن 13هـــ/19م:

تميزت فترة القرن 13هـــ /19م عن غيرها من الفترات، من خلال الأعداد الكبيرة من علماء الجزائر الذين حلوا بالمغرب الأقصى[3] نتيجة للغزو الفرنسي للجزائر، وخاصة من علماء منطقة الغرب الجزائري، بسب القرب الجغرافي وتضرر المنطقة نتيجة للمقاومة التي ظهرت فيها، ومن أهم هؤلاء العلماء الذين كان لهم دور في النشاط العلمي بالمغرب الأقصى نذكر:

- **عبد القادر بن محمد الراشدي:**من كبار العلماء الجزائريين خلال فترة القرن13هـــ/ 19م، أخذ العلم عن كبار المشايخ والعلماء بمدينة تلمسان ، انتقل إلى المغرب الأقصى بعد سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي واستقر بمدينة فاس، ثم غادرها صوب مدينة مراكش سنة 1268هـــ، وبها تولى منصب القضاء[4]، و يعتبر الراشدي من العلماء النابهين في العديد من العلوم خاصة منها العلوم الدينية، كونه جمع بين عدة علوم كالمنطق

---

[1]- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 69.

[2]- نفسه، ص 66.

[3]- أنظر الملحق رقم:05.

[4]- السملالي: المصدر السابق، ج 8، ص 464.

والبيان والحساب والفقه والحديث[1]، كما وصفه صاحب كتاب الإعلام: "...آية في الذكاء ومعرفة الفقه والفروع ...وأخذ من العربية والحديث بأوفر نصيب..."، وكان له دور كبير في الحركة العلمية بالمغرب الأقصى من خلال الدروس التي كان يعقدها بجامع القرويين، حيث أخذ عنه العلم الكثير من طلبة العلم في المغرب الأقصى، وبقي بالمنطقة إلى أن توفي بمراكش سنة 1272هـ/ 1855م[2].

– **أحمد التجاني:** هو احمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، من كبار علماء التصوف في الجزائر، عاش بين القرنين 12و13هجريين/ 18و19ميلاديين، ولد ونشأ بمنطقة عين ماضي في الجنوب الغربي للجزائر[3]، ومن صفاته ما يدل على علمه وفقهه، إذ أنه انكب على دراسة علوم الشريعة ثم عكف على الاهتمام بالتصوف وعلومه[4]، انتقل إلى فاس سنة 1171هـ/1758م، وأخذ العلم من علمائها[5] ، ثم عاد إلى تلمسان ودرس بها لفترة زمنية معينة، ثم ذهب إلى الحج، وبعد ذلك عاد إلى مدينة فاس سنة 1213هـ واستقر بها إن توفي سنة 1230هـ[6]، وبقي في المغرب الأقصى يمارس نشاطه فكثر أتباعه ومريدوه، كما أنه سلك طريق التصوف وأسس طريقة صوفية هي الطريقة التجانية التي انتشرت في العديد من المناطق في الجزائر والمغرب الأقصى وحتى في غرب إفريقيا[7].

– **الإغريسي أحمد بن عبد القادر:** من كبار فقهاء المالكية في عصره، ولد في قرية قرب مدينة معسكر ونشأ بها، ثم انتقل إلى فاس رفقه أبيه ومكث فيها مدة طلبا للعلم، ثم غادرها إلى مدينة طنجة أين أخذ فيها مبادئ العديد من العلوم ، وبعد أن تمكن من تحصيل

---

(1)– إبراهيم حركات: التيارات، المرجع السابق، ص 23.

(2)– السملالي: المصدر السابق، ج 8، ص 464.

(3) – ARNOUD LOUIS ***: "Histoire de l ouali sidi Ahmad EL-Tedjani (Extrait du Kounnache) "***, in **R.A** . N^0 5. 1861. P 468.

(4) – أحمد سكيرج : كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب ، د م، 1961، ص 14.

(5)– أحمد أديب المكي: رسالة بلوغ الأماني في مناقب الشيخ سيدس احمد التجاني ، مخطوط مصور، ص 5.

أنظر أيضا: ـــ - ARNOUD LOUIS : op,cite , p469.

(6)– الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص 195.

(7) – عمار هلال : المرجع السابق، ص 124.

العلم عاد إلى الجزائر، وتولى خلالها مناصب عدة خاصة في مجال القضاء بمدينة سطيف، توفي سنة 1889م/1307هـ[1]، وكانت شهرته قد سطعت في الجزائر بدل المغرب كما ذكرت كتب التراجم ذلك: "...وفي سطيف اشتهر أمره وظهر علمه..."[2] وهذا العالم كان تواجده بالمغرب الأقصى لطلب العلم أكثر منه لنشره ، خاصة وأنه انتقل إلى المغرب رفقة أبيه وهو صغير السن، لذلك عكف على طلب العلم وتحصيله، مستفيدا من علماء ومشايخ مدينتي فاس و طنجة، خاصة في مجال علوم اللغة العربية و علوم الفقه.

- **العربي بن عبد القادر المشرفي:** مؤرخ وأديب ، ينتمي إلى مدينة معسكر، تلقى تعليمة الأول في مدية وهران ، وأخذ على العديد من علماء ومشايخ المنطقة، هاجر إلى المغرب الأقصى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ، واستقر بمدينة فاس وأخذ العلم من كبار العلماء في المغرب الأقصى[3]، واستمر في نشاطه العلمي خاصة في مجال التأليف والكتابة، ثم عاد إلى الجزائر وألف حولها كتابا أسماه " رحلة إلى بلاد الجزائر"، كما أنه خلف إنتاجا كبيرا ذكر فيه مختلف المواضيع التي شهدها عصره، إلى أن توفي سنة 1313هـ/ 1895م[4].

- **عبد القادر المجاوي:** هو عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي، من كبار العلماء ، ولد بتلمسان وتعلم بها ، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى لطلب العلم واستكمال الدراسة بمدينة طنجة وبعدها في مدينة تطوان، ثم التحق بجامع القرويين وأخذ العلم عن كبار العلماء في تلك الفترة [5]، ثم عاد بعدها إلى الجزائر وتقلد العديد من الوظائف الهامة في كل من مدينتي قسنطينة والجزائر، حيث تولى التدريس في المدرسة الكتانية بقسنطينة، وفي المدرسة الثعالبية بمدينة الجزائر[6]، وتخرج على يديه العديد من

---

(1)– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 21.

(2)– الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 87–88.

(3)– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 303–304.

(4)– عمار هلال : المرجع السابق، ص 41.

(5)– عادل نويهض: المرجع السابق، ص286.

(6)– الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص 449.

العلماء والقضاة ، ترك مؤلفات عدة أغلبها في مجال اللغة العربية وفنونها، وتوفي بمدينة قسنطينة سنة1332هـ/ 1913 م[1].

– **عبد الرحمن المجاجي:** من العلماء الجزائريين الذين لهم دراية بعلم الحديث خلال القرن 13هـ/19م ، من منطقة مجاجة، انتقل إلى تلمسان ، وتعلم بها ، وأخذ العلم عن علمائها ومشايخها ، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى واستقر بمدينة فاس[2]، ولم تشر كتب التراجم إلى تاريخ دخوله إلى المغرب الأقصى ، كما أنها لم تشر إلى تاريخ وفاته ، حيث ذكرت أنه عاش خلال القرن13هـ/ 19 م، تميز بنشاطه العلمي الكبير ، خلف العديد من المؤلفات أهمها: " التبريج في أحكام المغارسة"، وغيرها من المؤلفات[3].

- كانت هذه تراجم لبعض العلماء الجزائريين المتواجدين بالمغرب الأقصى خلال الفترة الزمنية الممتدة بين القرنين 10و13هـ/ 16و19م، ومن الملاحظات الأساسية التي نلاحظها على هؤلاء العلماء هي اشتراكهم في مجموعة من الخصائص والمميزات العلمية الهامة ، خاصة فيما يتعلق منها بالعلوم التي كانوا متخصصين فيها، والمتمثلة أساسا في العلوم الدينية والأدبية، وذلك حسب المناخ الثقافي السائد في المنطقة خلال تلك الفترة، إضافة إلى العديد من العوامل التي جعلت من ثقافة أولئك العلماء دينية وأدبية أكثر من أي جانب آخر، إلا أن أغلب العلماء الجزائريين الذين قصدوا المغرب الأقصى قد برزت شهرتهم هنالك، وكانوا عنصرا فاعلا في الحركة الفكرية والعلمية بالمنطقة خلال فترة تواجدهم بها، نظرا للظروف السائدة في المغرب الأقصى، من تشجيع للعلم والعلماء من قبل الحكام والسلاطين وكثرة المراكز الثقافية وتنوعها، وهي الوضعية التي تختلف عن ما هي عليه في الجزائر خلال الحكم العثماني.

وعلى هذا الأساس تمكن العلماء الجزائريون من تبوء مكانة هامة بين علماء المغرب الأقصى، وتقلدوا العديد من الوظائف والمناصب الحساسة في المنطقة ، بفضل مؤهلاتهم العلمية والفكرية ، مما لفت أنظار العامة والخاصة إليهم، وخاصة منهم الحكام الذين اتخذوا

---

[1]– عمار هلال: المرجع السابق، ص 42.

[2]– الحفناوي: المرجع السابق، ص 215.

[3]– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 286.

معهم مواقف مختلفة، إذ قربوا إليهم العديد من علماء الجزائر خاصة ذووا الهمة العالية وقلدوهم مناصب هامة، وهذا ما سنوضحه في الحين.

III- مكانة علماء الجزائر في المغرب الأقصى وموقف الحكام منهم :

عرفت الحركة الفكرية في المغرب الأقصى نشاطا وانتعاشا كبيرا منذ أن استقر الحكم في أيدي السعديين منتصف القرن10هـ16م ، خاصة وأنها لقيت من ملوكها كل التعضيد والاهتمام، من خلال تشجيعهم للعلم للعلماء، واهتمامهم بالمراكز الثقافية وبناء المؤسسات العلمية في مختلف المدن المغربية، مما فسح المجال للعديد من العلماء وطلبة العلم من مختلف المناطق اللجوء والانتقال إليها للإفادة والاستفادة منها ومن جود حكامها[1]، واستمرت الحركة الفكرية في نشاطها أيام الدولة العلوية بالرغم مما اعتراها من مشاكل واضطرابات، إلا أنها لم تشكل عائقا أما استمراريتها بفضل نشاط العلماء المتواصل وعناية الحكام بشؤون العلم والعلماء [2].

من المميزات الرئيسية التي تميز بها حكام المغرب الأقصى خلال الفترة موضوع الدراسة، سواء كانوا سعديين أو علويين، هو اهتمامهم بالعلم وبمراكزه، واحترامهم وتقديرهم لأهله، كونهم استندوا في تأسيس دولهم وإماراتهم إلى العلماء والفقهاء خاصة منهم العلماء المنتمين إلى الطرق الصوفية التي عرفت انتشارا واسعا في المنطقة خلال تلك الفترة والتي لعبت دورا كبيرا في بعث النشاط الثقافي والعلمي بالمغرب الأقصى [3]، كما أن أغلب حكام المغرب الأقصى في عهد الدولة السعدية كانوا في حد ذاتهم رجال علم وأدب، عارفين بعلوم عدة ، لهم اهتمام كبير بالعلم والعلماء[4]، وهو نفس الأمر الذي ينطبق أيضا على حكام الدولة العلوية الذين كانوا كذلك من صنف العلماء والأدباء الراغبين في العلم والآخذين منه بنصيب وافر، حيث كان بلاطهم منذ نشأة دولتهم مرفأ للعلماء والفقهاء، ومسرحا لمختلف فنون العلم، إضافة إلى حرصهم على نشر العلم في مختلف الحواضر

---

[1]–عبد الله كنون: المرجع السابق، ص239.

[2]– عبد الكبير العلوي المدغري: الفقيه أبو على اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية، مطبعة فضالة، المغرب ، 1989، ص73.

[3]–ليفي بروفنصال: المرجع السابق ، ص 26.

[4]–ابن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 122.

والبوادي، من خلال إنشاء المراكز الثقافية وعقد المجالس العلمية المختلفة، والتي كانت ميدانا للدراسة والبحث ومجالا للنقاش والجدال حول القضايا المختلفة بين العلماء والفقهاء، وهو ما ساعد على إضفاء نوع من التنافس العلمي والفكري بين أولئك العلماء لدوافع وأسباب مختلفة، مما كان له الأثر البارز في نمو الحركة الفكرية وانتعاشها [1].

شهد المغرب الأقصى مطلع الفترة الحديثة ظاهرة الهجرة نحو مدنه من مختلف المناطق ، شمالا من بلاد الأندلس وشرقا من الجزائر، بسبب التغيرات والتطورات السياسية التي عرفتها المنطقة أوائل القرن 10هـ/16م، فجل الدراسات في المغرب اتجهت صوب الهجرات الأندلسية ، وذلك بإبراز الظروف والأسباب التي تسببت في حدوثها، ومحاولة معرفة مختلف الجوانب المتعلقة بهذه الهجرات، والمواقف المتخذة تجاهها، وإبراز دور هذه الجالية على مختلف الأصعدة خاصة منها الثقافية والاقتصادية.

أما الهجرات الجزائرية فلم تلق الاهتمام اللازم والدراسة المطلوبة وخاصة ما يتعلق منها بفئة العلماء والمثقفين، كمحاولة لإبراز طبيعة هذه الهجرات، من حيث البحث عن أسبابها، ودراسة مسارها، وإعطاء صورة واضحة عن المواقف المتخذة تجاهها من قبل الحكام والسلاطين، وتبيان الدور الذي لعبته هذه العناصر الوافدة من الجزائر بالمغرب الأقصى في مختلف المجالات خاصة الثقافية والعلمية منها، بالرغم من كثرة أعدادها خاصة خلال القرن 10هـ/16م وكذلك خلال القرن 13هـ/19م.

استقطب المغرب الأقصى في الفترة الممتدة بين القرن 10و 13هـ/ 16 و 19م، أعداد كبيرة من الجزائريين من مختلف الطبقات من خلال الهجرة الواسعة للأسر والعائلات الجزائرية نحو المدن المغربية واستقرارهم بها، خاصة تلك التي تتميز بالعلم والأدب، بما فيها طبقة العلماء[2]، وذلك باختلاف الأسباب التي دفعتهم إلى الهجرة، إذ لقي هؤلاء العلماء تقديرا واحتراما كبيرين لدى سلاطين الدولة السعدية والعلوية، وذلك حسب الظروف التي ميزت كل فترة من الفترات التاريخية، في إطار العلاقات التي تربط البلدين، وهو ما

---

[1]– آيسة الهاشمي اللبلغيثي: المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، مطبعة فضالة، المغرب، 1996، ج 1، ص 195.

[2] –عبد الله الترغي: المرجع السابق، ص 25–26.

دفع حكام وسلاطين المغرب – حسب طبيعة الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك – إلى اتخاذ مواقف معينة تجاه العلماء الوافدين عليهم من الجزائر باختلاف طبقاتهم، في ظل الصراعات السياسية المتواصلة بين حكام البلدين، إذ حضي أغلب العلماء الجزائريين خاصة ذووا الهمة العالية منهم بمنزلة عالية و مكانة مرموقة لدى هؤلاء السلاطين[1] ، حسب ما نستشفه من المصادر التاريخية خاصة منها كتب التراجم والتي أمدتنا بمعطيات هامة من حياة أولئك العلماء.

أ- موقف حكام الدولة السعدية:

عرف القرن 10هـ/ 16م هجرة واسعة لعلماء الجزائر نحو المدن المغربية خلال فترة حكم السعديين، لأسباب سياسية وثقافية، وكذا رغبة منهم في البحث عن مناخ ملائم يشجع على النشاط الفكري والعلمي، فجعلوا من مدن المغرب الأقصى مستقرا لهم ، نظرا لتوفر الظروف المناسبة فيها، وكذلك العناية الخاصة التي أولاها الحكام للعلم والعلماء، إذ رحب سلاطين الدولة السعدية بالعلماء الجزائريين ترحيبا يليق بمقامهم، وأنزلوهم منازل عليا، وحظوا بمكانة هامة فاقت في بعض الأحيان مكانة علماء المغرب الأقصى أنفسَهم، بفضل المميزات العلمية الكبيرة التي تميز بها علماء الجزائر في مختلف العلوم خاصة منها العلوم الدينية، مما ساعدهم على تبوء مكانة هامة لدى سلاطين المغرب الأقصى [2].

من بين العلماء الجزائريين الذين نالوا منزلة ووجاهة لدى حكام المغرب الأقصى في تلك الفترة، نجد **ابن جلال التلمساني** الذي حل بمدينة فاس سنة 958هـ، حيث لقي خلالها كل التقدير والاحترام، و حضي بمكانة مرموقة لدى السلطان السعدي أبي عبد الله محمد الشيخ[3] الذي قلده مناصب عدة بمدينة فاس كالفتوى، كما ولاه أيضا التدريس والخطابة في جامع القرويين[4]، أما في عهد السلطان السعدي الغالب بالله فقد لقي **ابن جلال** تقديرا كبيرا من طرفه، حيث اصطحبه معه في رحلته إلى سوس سنة 980هـ/1572م وأقام معه

---

[1]–عمار هلال : العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 9 و20م/3و14هـ، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2010، ص121.

[2]– نفسه، ص 121.

[3]– ابن عسكر : المصدر السابق، ص 123.

[4]– ابن القاضي: درة ، المصدر السابق، ج2، ص 214.

مدة سنة، وقدمه خلالها للتدريس في الجامع الكبير بمدينة المحمدية (تارودانت) إلى أن توفي سنة 981هـ[1]، كما أنه أكرم وفادة علماء تلمسان عليه، خاصة منهم العالم **أحمد العبادي** الذي انتقل مع مجموعة من علماء تلمسان إلى فاس، حيث أكرمه و أمده بالأموال والذهب وأنزله منزله رفيعة، وذلك كما ذكره ابن عسكر في الدوحة: "... ووصله بألف مثقال ذهبا، وأمر له بكساء وإقامة جليلة، وقال لا تسووه بأحد من الفقهاء وغيرهم فإن همته كبيرة..."[2].

من العلماء الجزائريين الذين حظوا كذلك بمكانة هامة لدى السلطان السعدي الغالب بالله ، **محمد بن هبة الله** المعروف **بشقرون** الذي تقلد مناصب عدة خلال تواجده بالمغرب الأقصى، حيث تولى منصب التدريس والفتوى بمدينة مراكش، ونصب له السلطان الغالب بالله كرسيا للتدريس في قصره[3]، وهذا دليل واضح على العناية الكبيرة التي أولاها حكام الدولة السعدية منذ تأسيسها للعلم للعلماء، حتى وإن كانوا من البلدان المجاورة بفضل اهتمامهم بالعلم واحترامهم لأهله.

حسب ما تناولته المصادر التاريخية من معلومات حول حكام المغرب الأقصى، وفيما يخص تقديرهم للعلماء، نجد فيها دليلا آخر على تقدير سلاطين الدولة السعدية للعلماء الجزائريين، حيث ذكرت المصادر التاريخية عن السلطان السعدي أحمد المنصور الذي لقب بخليفة العلماء وعالم الخلفاء، أن من سماته ومآثره إكرامه للعلماء والفقهاء الوافدين على مقامه من مختلف المناطق، كما أشار إلى ذلك **أحمد المقري** في الروضة: "...ومن مآثره نصره الله التي اختص بها ولم يُشارَك فيها، إكرامه للفقهاء لاسيما الوافدين عليه من البلاد الشاسعة..."[4].

---

(1) – محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج2، ص 357.

(2) – ابن عسكر: المصدر السابق، ص 118.

(3) – نفسه، ص 117.

(4) – المقري : روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص 14.

كان للعلماء الجزائريين الوافدين على مدن المغرب الأقصى نصيب كبير من اهتمام السلطان أحمد المنصور، على غرار ما حظي به **أبو العباس أحمد المقري** من اهتمام وتقدير من طرف المنصور السعدي أثناء تواجده في المغرب الأقصى، إذ تشير المصادر التاريخية إلى أن **المقري** كان من العلماء المقربين إلى السلطان السعدي، نظرا لتمكنه في عدد من العلوم وتفوقه على نظرائه في تلك الفترة، ولذلك كانت له منزلة رفيعة ووجاهة كبيرة لديه، كما أنه تولى خلال تواجده بالمغرب الأقصى مناصب عدة كالفتوى والإمامة والخطابة في جامع القرويين خاصة في فترة حكم السلطان زيدان بن أحمد المنصور الذي تولى مقاليد الحكم بعد وفاة والده ، حيث قلد **أحمد المقري** تلك الوظائف الهامة بعد عودته إلى مدينة فاس، خاصة بعد الموقف الحيادي الذي اتخذه من قضية تسليم مدينة العرائش للاسبان [1].

كما أن المنصور السعدي أكرم أيضا بعض علماء الجزائر وأنزلهم منازل رفيعة **كعبد الرحمن ابن الوقاد** الذي نال منزله كبيرة في المغرب الأقصى أثناء حكم المنصور، كما أشار إليه التمنارتي بقوله: "... وعَرف له ملوك وقته حقه، معظما مهيبا عندهم، أصدروا له من المرتفقات ما لم يصدروه لأحد من أبناء جنسه..."[2].

كما كان أيضا للعالم الجزائري **محمد المري التلمساني** نصيب من هذا الاهتمام أثناء تواجده بالمغرب الأقصى، حيت تقلد مناصب هامة كالإمامة والتدريس في مدينة مراكش[3]، وهذا دليل واضح على المكانة الهامة التي حضي بها غالبية علماء الجزائر لدى حكام الدولة السعدية، منذ أن استقروا بمدن المغرب بعد هجرتهم إليها، نظرا لقيمتهم العلمية ودورهم الكبير في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب الأقصى خلال فترة تواجدهم بالمنطقة.

---

(1) – الوفراني: صفوة، المصدر السابق، ص 143.

(2) –التمنارتي: الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق: اليزيد الراضي، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 37.

(3) – ابن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 123.

ب- موقف حكام الدولة العلوية:

كانت تلك هي أهم مواقف سلاطين الدولة السعدية، أما مواقف سلاطين الدولة العلوية تجاه العلماء الجزائريين الوافدين عليهم، فيمكن إدراجها ضمن مرحلتين متباينتين، المرحلة الأولى قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر والمرحلة الثانية بعد الاحتلال.

كان لعلماء الجزائر المتواجدين بالمغرب الأقصى في المرحلة الأولى من فترة حكم العلويين؛ أي خلال القرنين 11 و12هـ/17و18م ، نصيب وافر من الاحترام و التقدير من قِبل سلاطين الدولة العلوية عبر مختلف الفترات، وحسب الظروف السائدة خلال فترة حكمهم، بالرغم من قلة أعدادهم مقارنة بما شهده القرن 10هـ/16م وذلك لاهتمامهم بالعلم والعلماء منذ تأسيس الدولة، كما ذكر الوفراني ذلك حيث قال: "... ولما دخل مولانا الرشيد فاس أفاض المال على علمائها وغمرهم بجزيل العطايا،... ، وكان رحمه الله محبا في جانب العلماء والصلحاء، مؤثرا لأغراضهم...."[1]، وذلك من خلال تركيزه على دعم جهود العلماء والفقهاء، وحثهم على التفاني في أداء واجبهم، بإجلالهم وإكرامهم وتعظيم شأنهم، وهو نفس الأمر الذي ينطبق على بقية السلاطين الذين جاؤوا من بعده، معتمدين في ذلك على سياسة تقريب العلماء ومجالستهم والأخذ بمشورتهم في مختلف القضايا[2].

ويتجلى هذا التقدير والاحترام من خلال المواقف التي اتخذها بعض السلاطين تجاه بعض العلماء الجزائريين كما أشارت إليه المصادر التاريخية، حيث ذكر صاحب نشر المثاني أن السلطان العلوي إسماعيل بن الشريف أكرم العالم **محمد بن عبد الكريم الجزائري** لما وفد على مدينة فاس سنة 1083هـ أكثر من مرة، وكان من المقربين إليه، وذلك من خلال ما جاء في قوله: "... ووفد على السلطان مولانا إسماعيل وأكرمه مرارا، وكان يجله ويعظمه ..."[3]، وهذا دليل واضح على التقدير والتعظيم الكبيرين الذين أولاهما السلطان العلوي إسماعيل لهذا العالم الجزائري، نظرا للقيمة العلمية الكبيرة التي تميزه عن

---

(1) -الوفراني: روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1995، ص 49-50.

(2) – عبد الكبير العلوي المدغري: المرجع السابق، ص 77-78.

(3) -محمد بن الطيب القادري : المصدر السابق،ج 1، ص 141.

غيره من العلماء والرغبة الكبيرة لهذا السلطان في الاستفادة من النشاط الفكري لهؤلاء العلماء، وكسب تأييدهم له في العديد من القضايا خاصة فيما يتعلق بعلاقاته مع السلطة العثمانية في الجزائر.

كما ذكرت المصادر أيضا أن العالم الجزائري **محمد ابن الكماد** لما وفد على مدينة فاس واستقر بها، ذاع صيته في المغرب الأقصى وعلت شهرته بين علماء عصره، وبرزت موهبته واشتهر بعلمه وخلقه، فتهافت طلبة العلم على مجالسه، وبفضل موهبته وقوة علمه وبلاغته لفت أنظار العامة والخاصة، واستحسن قادة الدولة العلوية علمه وعمله، فأنزلوه منزلة كبيرة تليق بمقامه، ونال مكانة هامة لدى السلطان العلوي كما أشار إلى ذلك الوفراني بقوله: "... وتوجهت عيون أرباب الدولة إليه، فارتفعت مرتبته وأجريت له المرفقات العالية وشمله إحسان السلطان..."[1] ، ويقصد في هذا الموضع السلطان العلوي إسماعيل ابن الشريف الذي اشتهر بتقديره للعلماء ومجالستهم واحترامهم والعناية بشؤونهم منذ توليه الحكم، كما أشار إلى ذلك مؤرخ الدولة العلوية ابن زيدان بقوله: "...كان يجري على الفقهاء والعلماء الجرايات... ولم يزل ذلك دأبه معهم حتى نقله الله إليه..."[2].

أما المرحلة الثانية من حكم العلويين في المغرب الأقصى، والممتدة خلال فترة القرن 13هـ/19م، والتي عرفت الجزائر خلالها تغيرات سياسية وعسكرية كبيرة ، بداية بضعف الحكم العثماني وانهياره، و تعرض الجزائر إلى الغزو الفرنسي، واحتلال مدنها ومصادرة ممتلكات أهلها[3]، وتحت تأثير هذه العوامل والظروف هاجر العديد من الجزائريين بما فيهم العلماء وطلبة العلم إلى المدن المغربية، خاصة مدينتي فاس وتطوان، نظرا للقرب الجغرافي والروابط الدينية والعرقية والثقافية التي تربط كل من الجزائر والمغرب الأقصى، وكان ذلك تحديدا بعد سقوط مدينة الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي بداية من سنة 1246هـ/1830م، وتواصل سيطرة القوات الفرنسية على بقية المدن الأخرى،

---

(1) – الوفراني، صفوة ، المصدر السابق، ص 360.

(2) –عبد الرحمن بن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقديم وتحقيق: عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص 79.

(3) – أبو القاسم سعد الله: ، المرجع السابق، ج 1، ص 262–263.

والممارسات التعسفية للإدارة الاستعمارية في حق الجزائريين من خلال التعدي على ممتلكاتهم، مما دفعهم إلى الهجرة إلى المغرب الأقصى، وذلك فرارا من بطش الاستعمار وتسلطه، وحفاظا على دينهم وكرامتهم[1].

شهد المغرب الأقصى موجة هجرة من الجزائر عقب سقوطها في يد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م/1246هـ، وعلى إثر توافد جموع المهاجرين الجزائريين إلى مدن المغرب الأقصى، اتخذ سلاطين الدولة العلوية مواقف هامة في تلك المرحلة تجاه أولئك المهاجرين بمختلف طبقاتهم، في ظل الظروف الصعبة التي يعاني منها المهاجرون الجزائريون بعد سيطرة قوات الاحتلال الفرنسي على بلادهم، إذ طالب السلطان المغربي "عبد الرحمن بن هشام"[2] من أعوانه في مختلف المدن المغربية التي قصدها المهاجرون الجزائريون الترحيب بهم وتقديم العون والمساعدة لهم، وأوصى ولاته بالاهتمام بشؤونهم وتحسين أوضاعهم، ومساعدتهم على الاستقرار في المنطقة[3]، وحضي المثقفون والتجار منهم بمساعدات خاصة قدمت لهم من طرف السلطان المغربي، حتى يتمكنوا من مواصلة نشاطاتهم المختلفة والاندماج في المجتمع المغربي[4].

تشير بعض الوثائق[5] إلى ما يدل على مدى التضامن الكبير الذي أولاه السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام تجاه المهاجرين الجزائريين، والترحيب الذي خصهم به[6] بحكم الروابط الدينية والثقافية والاجتماعية التي تربط البلدين، حيث أمر عامله في مدينة

---

(1) – إبراهيم حركات: المغرب، المرجع السابق، ج3، ص216.

(2) –من سلاطين الدولة العلوية حكم في الفترة ما بين 1822إلى 1859م ، تم توليته من قبل عمه سليمان سنة 1822م وبإجماع من أهل الحل والعقد ، واشتهر بالصلاح والتقوى.

أنظر:ـــ آيسة الهاشمي اللبلغيثي: المرجع السابق، ج 1، ص 98.

(3) – محمد المشرفي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها غير المتناهية، تحقيق: إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2005، ج 2، ص 79.

(4) – إبراهيم حركات: المغرب ، ج3، ص 216.

(5) – رسالة سلطانية مخطوطة موجودة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط، المغرب، مؤرخة في 3جمادي الأولى 1246هـ. نقلا عن:ـــ إدريس بوهليلة : الجزائريون في تطوان خلال القرن 13هـ/19م ، مطبعة الهداية ، تطوان، 2012، ص20.

(6) – أنظر الملحق رقم: 02.

تطوان محمد أشعاش بأن يحسن إلى المهاجرين الجزائريين الوافدين إلى مدينة تطوان، وأن يساعدهم على الاندماج في المجتمع التطواني كل حسب مهنته وحرفته، لأنهم عرضة للضياع إن بقوا دون عناية ورعاية، و حتى يتسنى لهم تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، وبذلك يمكنهم المساهمة في النشاط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بالمنطقة، ويستفيد المجتمع المغربي من مختلف نشاطاتهم[1].

أما فيما يخص العلماء والمثقفين منهم فكان لهم نصيبهم من اهتمام سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام، لكونه من العلماء المهتمين بالعلم والراغبين فيه كغيره من سلاطين الدولة العلوية، كما وصفه محمد المشرفي بقوله: "...من النبلاء الثابتين والأتقياء العارفين والعلماء الراسخين... معتنيا بسرد البخاري كل سنة متشوفا لعلم الهندسة..."[2]، كما أنه عمل على إحاطة العلماء الجزائريين بالود والتقدير وتقديم المعونة لهم، ليستفيد المجتمع المغربي منهم علميا وفكريا من خلال مختلف النشاطات التي كان يؤديها أولئك العلماء في المنطقة.

تشير الدراسات التاريخية أن السلطان عبد الرحمن بن هشام أرسل رسالة إلى عامله في مدينة تطوان يأمره فيها بالاهتمام والعناية بأحد الفقهاء الجزائريين المعروف باسم "**عبد العزيز الربيع الجزائري**" ، والذي هاجر إلى تطوان بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، إذ أنه لقي تقديرا كبيرا من قبل حكام المغرب الأقصى، نظرا لمكانته العلمية الكبيرة، حيث وصف بأنه: "... من أفاضل أهل وقته علما وعملا..."[3]، كما أوصاه كذلك بأن يهتم بابنه "**محمد بن عبد العزيز**" وينفق عليه ويرعى شؤونه ، لأنه كان طالب علم وحافظا للعديد من علوم الدين رغم صغر سنه ، ومشاركا لأبيه في المكانة العلمية التي كان يشغلها في المنطقة [4]، و بعد وفاة والده خلفه في المهمة التي كان يؤديها في مساجد المنطقة كالتدريس والخطابة والإمامة، وكان له شأن كبير في إلقاء الدروس والخطب والمواعظ في مساجد مدينة

---

[1] – إدريس بوهليلة : المرجع السابق، ص 30.

[2] – محمد المشرفي: المصدر السابق، ج2، ص 92.

[3] – أحمد الرهوني: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، تحقيق: جعفر ابن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2007، ج6، ص 154-155.

[4] – إدريس بوهليلة: المرجع السابق ص 135.

تطوان، وحضر مجالسة العديد العلماء وطلبة العلم، حيث قال عنه تلميذه أحمد الرهوني بأنه: "...الفقيه العلامة، العدل المحدث، الواعظ الخطيب، ... كان له درس جميل وتأن وتؤدة، وحسن تفهيم..." [1].

لقي العديد من العلماء الجزائريين في تلك الفترة كل التقدير والاحترام والاهتمام من قبل حكام المغرب الأقصى (حكام الدولة العلوية)، من أمثال "**أحمد الجيار الجزائري**" الذي حضي بمكانة هامة بين علماء عصره منذ استقراره بمدينة تطوان عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر، نظرا لفقهه وعلمه، ومساهمته الكبيرة في نشر العلم بالمنطقة [2]، حيث وصف بأنه: "... الفاضل الأمجد، الموفق الأسعد..."[3]، كما قام السلطان عبد الرحمن بن هشام بإكرام عالم جزائري آخر يدعى "**محمد بن شطاب الجزائري**"، من خلال استفادته من منحة سلطانية قدرها "ثلاثين مثقالا "، وذلك تشجيعا له وحرصا على مواصلته لنشاطه العلمي، نظرا لتمكنه في عدد من العلوم وحرصه على تعليم الناس ونشر العلم في أوساطهم[4]، وهذا دليل واضح على الأهمية الكبيرة والقيمة العلمية الهامة لعلماء الجزائر مما جعلهم موضع احترام وتقدير من قبل الخاصة والعامة في المغرب الأقصى.

هذه المواقف المختلفة التي اتخذها حكام المغرب الأقصى تجاه المهاجرين الجزائريين، خاصة العلماء منهم طوال الفترة التاريخية الممتدة من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م، لا تعكس الصورة الحقيقية للعلاقات بين البلدين، وإنما تنم على مدى التقارب الذي يميز سكان القطرين في الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية، كما أن تلك المواقف التي اتخذها هؤلاء الحكام فرضتها الظروف والتحولات التي شهدتها المنطقة من جراء التغيرات السياسية الاقتصادية والاجتماعية، والتي أثرت بطبيعة الحال على الجوانب الثقافية والفكرية في كلا البلدين ، وبصفة خاصة في الجزائر .

---

[1] – أحمد الرهوني: المصدر السابق، ج6، 154.

[2]– إدريس بوهليلة: المرجع السابق، ص 136.

[3]– نفسه، ص 137 .

[4]– نفسه، ص 138 .

ونظرا للقيمة العلمية الهامة لعلماء الجزائر لم يتوانى حكام المغرب الأقصى عن إبداء رغبتهم في تقريب هؤلاء العلماء واستمالتهم إلى جانبهم، وتتجلى الرغبة الكبيرة لحكام المغرب الأقصى في الاستفادة من العلماء الجزائريين في مختلف النشاطات، ومن مختلف فنون العلم التي كانوا يتميزون بها، وكذلك في توسيع مجال النشاط العلمي والفكري في المراكز الثقافية بالمغرب، أو حتى في استغلال البعض منهم ضد السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، سواء للتقرب منها أو لحل النزاعات القائمة بينهما أو للاطلاع على ما يخطط له حكام الجزائر العثمانية ضد سلطة المغرب الأقصى.

خاتمة الفصل:

كان لظاهرة هجرة علماء الجزائر نحو المغرب الأقصى آثارها على كلا البلدين، فتراجع الحياة الثقافية في الجزائر نتج عن عدم اهتمام السلطة العثمانية الحاكمة بها، وتعرض العديد من مدها للاحتلال الاسباني، مما دفع بالعلماء إلى الهجرة ابتعادا عن الأوضاع الحرجة التي شهدتها الجزائر خاصة في القرن 16م/10هـ.

-أن هجرة علماء الجزائر خلفت فراغا كبيرا في المدن والحواضر الجزائرية، و مساهمين بذلك في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى.

-أن حكام المغرب الأقصى كان لهم دور كبير في جذب العلماء الجزائريين نتيجة لسياستهم المعتمدة على إغراء العلماء وتقريبهم وتقليدهم مناصب هامة، حتى يتسنى لهم الاستفادة منهم ثقافيا وعلميا وحتى سياسيا في ظل الصراع السياسي المتواصل بين حكام البلدين.

الفصل الثالث

• النشاط الفكري لعلماء الجزائر في المغرب الأقصى

I- مساهمة علماء الجزائر في النشاط الفكري بالمغرب الأقصى.

II- مآثر علماء الجزائر في المغرب الأقصى.

III- مواقف بعض علماء الجزائر من أحداث المغرب الأقصى وقضاياه

تميز العلماء الجزائريون في المغرب الأقصى بنشاط كبير في مختلف المجالات، وكانوا حلقة إيجابية في الوسط الثقافي المغربي، من خلال مساهمتهم الفعالة في مختلف النشاطات العلمية والفكرية، وكان لهم دور كبير في تنشيط الحركة الفكرية بفضل المكانة التي حضوا بها في المغرب الأقصى، وكذلك الوظائف الهامة التي أسندت لهم في المراكز الثقافية المغربية، كالقضاء والإفتاء والتدريس وغيرها.

هذه المكانة العلمية الهامة لعلماء الجزائر مكنتهم من اكتساب احترام العامة والخاصة في المغرب الأقصى، ومكنتهم كذلك من منافسة علماء المغرب الأقصى أنفسَهم في المناصب العليا خاصة في جامع القرويين، كما أنهم زودوا الخزانات العلمية والمكتبات بالمغرب بتراث علمي كبير، لأن الإنتاج العلمي الذي خلفه بعض علماء الجزائر في المغرب الأقصى كان له أثر واسع في الحركة العلمية والفكرية بالمغرب الأقصى، و خاصة في مجال العلوم الدينية، أين كانت بعض المؤلفات في مجال الفقه مصادر رئيسية يعتمد عليها علماء المغرب الأقصى في مختلف القضايا الفقهية.

ولعل اهتمام العلماء الجزائريين بميدان العلوم ونشاطاتها المختلفة لم تثنهم على إبداء مواقفهم وآرائهم من مختلف الأحداث السياسية التي شهدها المغرب الأقصى خلال الفترة الممتدة من القرن10هـ/16م إلى القرن13هـ/19م، نظرا لمكانتهم ووزنهم العلمي الكبير، خاصة بعد أن لقوا من سلاطين المغرب الأقصى كل التقدير والاحترام.

وفي هذا الفصل نحاول تتبع المسار العلمي والفكري للعلماء الجزائريين، والتعريف بمختلف النشاطات التي كانوا طرفا فيها، وإبراز دورهم في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى، وإسهاماتهم المختلفة في شتى المجالات.

I- مساهمة علماء الجزائر في النشاط الفكري بالمغرب الأقصى:

من البديهي التشديد على أهمية العلماء والفقهاء ودورهم في مجتمعات بلاد المغرب الكبير، فالعلماء والفقهاء كانوا هم الجهة الوحيدة المؤتمنة على الشريعة، والمؤهلة لتأويل نصوصها وإبراز أحكامها، وتعدت أهميتهم إلى أبعد من ذلك لتشمل مجالات أخرى كالتدريس والإفتاء والخطابة، لتظهر هذه الأهمية كذلك في مجالات أخرى خاصة منها السياسية، إذ أن للعلماء والفقهاء دور فعال كلما واجهت الدولة مشاكل سياسية تحدد مصيرها، كقضية مبايعة حاكم جديد أو حث الشعوب على رد العدوان في حال تعرضت البلاد إلى الغزو الأجنبي[1].

فالعلماء كانت تُطلب منهم المشورة أو الفتوى لإضفاء المشروعية على ما تقوم به السلطة السياسية الحاكمة، لذلك يعتبر تعاونهم معها أو سكوتهم عن مختلف الممارسات التي تقوم بها نوعا من الرضا والإقرار بذلك[2] ، إضافة إلى ذلك تبرز أهمية العلماء في الحياة الاجتماعية للسكان، من خلال حل القضايا والنزاعات، وإصدار الفتاوى والأحكام الشرعية للفصل بين المتخاصمين، وتوضيح أحكام بعض المسائل الدينية والفقهية المستعصية لدى العامة من السكان[3] .

تختلف وضعية العلماء والفقهاء في المغرب الأقصى على ما هي عليه وضعية العلماء والفقهاء في الجزائر خلال الفترة الحديثة، نظرا لطبيعة نظام الحكم في كلا البلدين من جهة، واختلاف درجة اهتمام الحكام بالعلم والعلماء والمراكز الثقافية من جهة ثانية، فنشاط العلماء خضع للظروف السائدة في كل بلد، وتواجد العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى لم يكن تواجدا شكليا فحسب، وإنما كان تواجدهم بالمنطقة فاعلا ونشطا في المجال الفكري والعلمي، من خلال اندماجهم في الوسط الثقافي المغربي ومساهمتهم الفعالة في مختلف

---

[1]– محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار– المجتمع والدولة والدين–(1792–1822)– ، ترجمة محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 245–246.

[2]– عبد المجيد القدوري : وقفات في تاريخ المغرب– دراسات مهداة إلى الأستاذ إبراهيم بوطالب–، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط2001، ص 415.

[3]–محمد المنصور: المرجع السابق، ص 246.

النشاطات العلمية وفي شتى مجالاتها خلال الفترة التاريخية الممتدة من القرن10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م .[1]

ولكون الحياة الفكرية والعلمية في بلاد المغرب الكبير تكسوها الصبغة الدينية والأدبية، فإن أغلب العلماء الجزائريين المتواجدين بالمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة اقتصر نشاطهم على مجموعة النشاطات العلمية والفكرية، والتي شملت مجال العلوم الدينية بمختلف فروعها كالفقه وأصوله والتفسير والحديث و التصوف، إضافة إلى العلوم الأدبية بمختلف فنونها[2] ، ولهذا كان اندماجهم في الوسط الثقافي المغربي أمرا طبيعيا، ولم تكن أمامهم عوائق تمنعهم من أن يكونوا من كبار العلماء والفقهاء في المنطقة، والدليل على ذلك ما حضي به أولئك العلماء من تقدير واحترام من قبل سلاطين المغرب الأقصى سواء في عهد السعديين أو العلويين، وكذلك المناصب والوظائف الهامة التي تولاها علماء الجزائر في المراكز الثقافية بالمغرب [3] ، مساهمين بذلك بنشاطهم الفكري والعلمي في مجالات عدة أهمها:

أولا: التدريس:

اشتهر العديد من علماء الجزائر في المغرب الأقصى بنشاطهم العلمي والفكري مستفيدين بذلك من الأوضاع السائدة في المغرب سواء من الناحية السياسية أو الثقافية، وانكب غالبية العلماء على التدريس في مساجد ومدارس المدن المغربية المختلفة، واشتهرت عائلات جزائرية بأكملها في هذا المجال، على غرار عائلات الونشريسي والمقري والعقباني[4] وغيرها، لأن شهرتها سبقتها إلى المغرب الأقصى قبل استقرارها بالمغرب الأقصى، إلا أنها ازدادت شهرة وذاع صيتها في المنطقة بعد أن نالت مكانة مرموقة في المراكز الثقافية المغربية.

---

[1]–عمار هلال: المرجع السابق، ص 33.

[2]– محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج1، ص 62 .

[3]– أرزقي شويتام: " العلاقات ، المرجع السابق، ص 86.

[4]- CH- Brosselard: op.cite, pp 402-421.

من أهم هذه الشخصيات العلمية التي مثلت عائلة الونشريسي، والتي تعبر من أهم العائلات العلمية الجزائرية المتواجدة بالمغرب في تلك الفترة نجد:

" **أحمد بن يحي الونشريسي** " الذي تواجد بالمغرب أواخر القرن 9هـ/15م وأوائل القرن 10هـ/16م، وبفضل ملكة العلم القوية لديه أصبح من كبار علماء فاس وفقهائها، حيث تولى التدريس بها لفترة زمنية طويلة، وانكب على تدريس "**المدونة ومختصر ابن الحاجب الفرعي**" في الفقه المالكي، وقد وصفه المنجور في فهرسته بقوله: "...إلا أنه أكب على تدريس الفقه فقط، فيقول من لا يعرفه إنه لا يعرف غيره، ... وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من يحضر تدريسه يقول لو حضر سبويه لأخذ النحو من فيه ..."[1]، وبقي في مدينة فاس يشارك بعلمه وفقهه حتى توفي بها سنة 1509م، كما أنه تولى أيضا منصب الإمامة والخطابة والفتوى بمدينة فاس لردح من الزمن [2]، وتخرج على يديه عدد وافر من الفقهاء والعلماء الذين بلغوا درجات عليا من التمكن في التدريس والقضاء والفتيا في مختلف مناطق المغرب[3].

من بين من لازم مجالس أحمد بن يحي الونشريسي وتخرج على يديه، ابنه " **عبد الواحد الونشريسي**"، الذي سار على نهج والده، وخلفه في مهامه خاصة في مجال التدريس، وغدت مجالسه الفقهية والعلمية ملتقى للنابهين من طلبة العلم ومن كبار الفقهاء والعلماء، وكان يعتمد في طريقة تدريسه على فتح باب المناقشة أمام الحاضرين في المجلس من الطلبة والعلماء، ثم يوضح بعد ذلك ما وقع من اختلاف بين الحاضرين في المجلس حول مختلف المسائل التي تم عرضها للمناقشة[4]، ويعتبر عبد الواحد الونشريسي من بين أهم العلماء الذين تولوا الخطط الثلاثة في المغرب الأقصى، و المتمثلة في التدريس والفتيـــا

---

[1]– المنجور: فهرس أحمد المنجور، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والطباعة والنشر، الرباط، 1976، ص 50.

[2]– نفسه، ص 17.

[3]– الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، المغرب، 1981، ، مقدمة التحقيق، ج 1، ص ج –د.

[4]– محمد حجي : الحركة ، المرجع السابق، ج1، ص 98.

والقضاء، كما أشار إلى ذلك ابن عسكر بقوله: "....وانتهت إليه رئاسة العلم، وجمع بين الخطط الثلاثة: الفتيا والقضاء والتدريس...."[1]، وهذه المكانة التي حضي بها عبد الواحد الونشريسي تبرز مدى القيمة العلمية لهذا العالم، لأن مثل هذه الوظائف لا يتولاها إلا كبار العلماء والفقهاء.

أما العالم الجزائري "**أحمد بن محمد**" المعروف "**بابن جيدة الوهراني**" فإنه يعتبر من كبار العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى، حيث تصدر للتدريس بمدينة فاس، وذاع صيته وأقبل طلبة العلم على مجالسه، كما حضر مجالسه ودروسه البعض من كبار العلماء في المغرب وأخذوا عنه خلال فترة تواجده بالمنطقة على غرار **أبي العباس أحمد المنجور** الذي ذكر في فهرسته أنه أجاز السلطان أحمد المنصور السعدي كل ما أخذه عن ابن جيدة الوهراني[2] .

كما أن هناك عالما آخر كان له شأن كبير في المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م، حيث ذكر ابن عسكر أن العالم الجزائري " **أحمد العبادي**" تم تقديمه للتدريس في القرويين بالرغم من وفرة العلماء في الجامع وكثرتهم، إلا أنه وبفضل تفوقه في عدة علوم وتميزه عن غيره من العلماء في عصره، أصبح من كبار العلماء المدرسين في القرويين، وأخذ عنه العلم كبار العلماء في المغرب كما أشار إليه ابن عسكر بقوله: "...فانتفع الناس بعلومه ، وأخذ عنه الفقه سيدي **أبي محمد الهبطي**..."[3]، وهذا دليل واضح على القيمة العلمية الكبيرة لهذا العالم من خلال المساهمة الفعالة في الحركة الفكرية بالمغرب والنشاط العلمي الكبير الذي كان يمارسه في المنطقة وخاصة في جامع القرويين .

أما "**ابن جلال التلمساني**" فكان أيضا من كبار العلماء في عصره، وبفضل تمكنه في عدة علوم قُدِّم للتدريس في بالجامع الكبير لمدينة تارودانت، ثم عُين للتدريس في جامع القرويين [4]، وكثر طلبة العلم في مجالسه، وأخذ عنه العلم جمع غفير من الطلبة، وانتفع

---

[1]– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 52.

[2]– المنجور: المصدر السابق، ص 17.

[3]– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 119.

[4]– ابن القاضي: درة الحجال، ص ، ج2، 214–215.

الناس بعلومه، في ظل الحظوة التي نالها لدى حكام الدولة السعدية، كما أشار ابن عسكر إلى ذلك بقوله: "... وطالت أيام رياسته – العلمية – بفاس حتى سن وأثقله الهرم وانتفع الناس به..."[1].

من العلماء الجزائريين الذين عرفوا بنشاطهم العلمي والفكري الكبير في المغرب الأقصى "**محمد ابن الوقاد**" الذي جمع بين العديد من الوظائف إلى جانب وظيفة التدريس، حيث أسندت إليه مهمة التدريس في مدينة تارودانت، ثم انتقل بعدها إلى مدينة فاس[2]، ونشط في ميدان التدريس وأخذ عنه العلم أعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم على غرار **التمنارتي** الذي ذكر أنه حضر مجالسه وقرأ عليه العديد من الكتب والرسائل إذ يقول: "....فقرأت عليه رسالة أبي محمد و مختصر خليل بتمامهما قراءة تفهم وتحرير ... وداومت مجلسه إلى أن توفي ... "[3] ، وهذا دليل واضح على الدور الكبير الذي لعبه ابن الوقاد في نشر العلم، ومساهمته الفعالة في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية في مختلف المدن المغربية التي حل بها أثناء تواجده بالمغرب الأقصى.

ومن العلماء الجزائريين الذين أسندت لهم مهمة التدريس كذلك في المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م نجد " **محمد ابن الكماد القسنطيني**" الذي كان مشاركا في النشاط العلمي بالمنطقة منذ استقراره بها، من خلال تصدره للتدريس بمدينة فاس، وبفضل فصاحته وغزارة علمه كثر إقبال طلبة العلم على مجالسه للاستماع إليه والأخذ عنه من مختلف العلوم التي كان يدرسها ، كما ذكر صاحب سلوة الأنفاس : " ... وتصدر التدريس بها فأفاد وأجاد ...، وأخذ عنه الجم الغفير من كل بلاد ..."[4]، وهذا ما يبين لنا مدى القيمة العلمية الكبيرة التي تميز بها، وكذلك المساهمة الفعالة له ولعلماء الجزائر في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى.

---

[1]– ابن عسكر : المصدر السابق، ص 123.

[2]– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 343.

[3]–التمنارتي: المصدر السابق، ص 281.

[4]– الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص 34.

يعتبر هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم نماذج حية تعبر عن مدى اندماجهم في المجتمع المغربي منذ أن استقروا بالمغرب الأقصى، ومساهمتهم الفعالة في النشاط العلمي والفكري في مختلف المدن المغربية، مما كان له الأثر الكبير في الوسط الثقافي المغربي من خلال اهتمامهم بنشر العلم بمختلف أنواعه في مختلف المراكز الثقافية، خاصة وأن النشاط العلمي والفكري في المنطقة ارتكز أساسا على العلوم النقلية المتمثلة في علوم الدين وبعض العلوم العقلية كعلم الكلام والمنطق وغيرها من العلوم التي كانت منتشرة في المنطقة خلال الفترة الحديثة.

تنقسم العلوم التي كانت سائدة في المنطقة خلال تلك الفترة إلى مجلات عدة أهمها العلوم الشرعية بمختلف فروعها و العلوم الأدبية بمختلف فنونها، أما العلوم الشرعية فتنقسم إلى عدة أجزاء جعلها بعضهم اثني عشر علما ورتبها كما يلي: "... التفسير والحديث والفقه والتوقيت والفرائض وأصول الفقه وأصول الدين والتصوف واللغة والنحو والبيان والتاريخ"[1] ، وقد نظمها الإمام أبو بكر بن يوسف السجتاني المراكشي في مجموعة من الأبيات الشعرية بقوله:

تفقه بتفسير الحديث مؤرخـــا بوقت بيان الإرث أصل المحجة
ولا تغفلن نحوا بضمن لغاتـــه تصوف فسر من علوم الشريعة
تنل به مرقى من مراقي أفاضـل وتحظ بنيل المجد أبلغ منيـــة[2]

وأما الشطر الثاني من العلوم فتشمل العلوم الأدبية بكل فروعها، وهي كما نظمها أحدهم في هذين البيتين بقوله:

صرف بيان معان النحو قافية شعر عروض اشتقاق الخط إنشاء
محاضرات وثاني عشرها لغة تلك العلوم لها الآداب أسمـــاء[3]

---

[1]– السملالي: المصدر السابق،ج1، ص134.

[2]– نفسه ، ص 134.

[3]– نفسه ، ص 143.

وأهم العلوم التي كان يدرسها العلماء الجزائريون في المغرب الأقصى تتعلق بالعلوم الدينية في غالبها خاصة في علوم الفقه والحديث ، معتمدين في ذلك على أمهات كتب الفقه المالكي والتي تعد المصدر الأساسي لعلماء المالكية في المنطقة خلال تلك الفترة مثل: "**مختصر خليل ورسالة أبي زيد والمدونة لسحنون....** " ، وغيرها من كتب الفقه المالكي، أما المجالات العلمية الأخرى فيركزون فيها على تدريس كتب الحديث المتمثلة في الصحيحين مثل : " **صحيح البخاري وصحيح مسلم**" ، إضافة إلى تدريس كتب العقيدة والتفسير، وذلك من خلال شرحها والتعليق عليها[1] ، في ظل الاعتماد الكلي على طريقة المتون والاختصار في التدريس، وهي سمة سلبية ميزت الحركة الفكرية والعلمية في بلاد المغرب الكبير عامة وفي المغرب الأقصى خاصة، خلال الفترة الحديثة، كما أنها تعتمد في مناهج التدريس على طريقة الإلقاء والتلقين[2] والتي لقيت إقبالا واسعا من العلماء والمتعلمين لسهولتها، مما أدى إلى شيوع ظاهرة التركيز على ما ألفه الأولون من خلال الاعتماد على طريقة الشروح والحواشي دون الأخذ بسبل الاجتهاد والإبداع والتعمق في المعاني [3].

ثانيا: القضاء والإفتاء:

تميز علماء الجزائر في المغرب بنشاطهم الكبير في مختلف المجالات الفكرية والعلمية، تبعا لما هو متداول في المنطقة من علوم وأنشطة فكرية وعلمية، وبرز العديد من العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى طوال الفترة التاريخية الممتدة من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م وتقلدوا العديد من المناصب والوظائف الهامة كالقضاء والإفتاء ، وتعتبر هاتين الوظيفتين من أهم الوظائف التي يتبوؤها أي عالم من العلماء أو فقيه من الفقهاء في بلاد المغرب أو حتى في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية[4] ، بحكم

---

(1)– عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993، ص 97-98.

(2)– زهراء النظام: المرجع السابق، ص399.

(3)– عبد الله بنصر العلوي: "**الواقع الفكري في فجر الدولة العلوية: ، ندوة حول الحركة العلمية في عهد الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**"، ندوة الحركة الفكرية في عهد الدولة العلوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1995، ص 192.

(4)– ابن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 131-132.

الانتماء العقدي والارتباط الديني وطبيعة نظام الحكم، و كذلك التكوين العلمي لأولئك العلماء، لأن العلوم التي كانت منتشرة في المنطقة – كما أشرنا إليه سابقا– هي العلوم الدينية والأدبية.

بفضل اهتمام سلاطين وحكام المغرب الأقصى بالعلم والعلماء وتقديرهم لهم، كان لعلماء الجزائر نصيب من هذا الاهتمام والتقدير، إذ وضع حكام وسلاطين المغرب الأقصى سواء السعديين منهم أو العلويين كل الثقة في العديد من العلماء الجزائريين وقلدوهم وظائف عليا في البلاد كالقضاء والإفتاء، لأن القضاء والإفتاء في مفهوم الدولة الإسلامية هي من أعلى المراتب التي يتولاها عالم من العلماء أو فقيه من الفقهاء[1].

كان القضاء في تلك الفترة خاصا بالمدن وبعض القرى الهامة والتي تشرف على عدد كبير من القبائل، ويتولى هذا المنصب كبار الفقهاء بقرار من السلطان نفسه، ويسمى بقاضي الجماعة، ويعين إلى جانبه مفتٍ يتولى البث في النزاعات بين المتخاصمين وإصدار الفتاوى وفق الأحكام الشرعية، و له صلاحية تسمح له بإعادة النظر في بعض الأحكام التي يصدرها القاضي لعدم توافقها مع النصوص الشرعية[2]، فمهمة القاضي و المفتي لا تقتصر على كونها متعلقة بإصدار الأحكام الشرعية وبمعالجة مختلف قضايا المجتمع والتدريس وإلقاء الخطب، وإنما تصل إلى حد مشاركة الحكام في تسيير شؤون البلاد كما هو الشأن لدى سلاطين المغرب الأقصى، الذين كانوا يعتمدون على العلماء والفقهاء في اتخاذ القرارات السياسية وتنظيم الحياة العامة داخل البلاد، وإيجاد حلول مناسبة لمختلف المشاكل والاضطرابات السياسية والاجتماعية العالقة[3].

تولى العديد من العلماء الجزائريين وظيفتي القضاء والإفتاء في مختلف مدن المغرب الأقصى، ومن أهم العلماء الجزائريين الذين استقروا بالمغرب وأصبحوا من كبار الفقهاء والعلماء في المنطقة، نذكر بعضا منهم:

---

[1]– عمر الجيدي: المرجع السابق ، ص 105.

[2]–محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج1، ص 116.

[3]–محمد المنصور: المرجع السابق، ص 246.

- **محمد بن أحمد بن الوقاد** " العالم الجزائري الذي تولى منصب القضاء والفتوى في عدة مدن مغربية كما أشار إليه التمنارتي بقوله: " ...ونزل مدينة تارودانت فاستقضى ببعض أعمالها ... ثم ولي قضاء الجماعة بها نحو ستة أشهر...، ثم وجهه الأمير لسجلماسة قاضيا وخطيبا...، ثم نقل لمكناسة الزيتون فقضى بها وخطب...، ثم خطب بجامع الأندلس بفاس ...، ثم رُد لتارودانت ... وقُدم للفتوى والإمامة والخطبة بالجامع الكبير بها..."[1] ، ويعتبر أحمد ابن الوقاد من أهم العلماء الجزائريين الذين كان لهم نشاط كبير في مختلف المدن المغربية خلال القرن 10هـ/16م، بالرغم من الصعوبات التي واجهته في بادئ الأمر، خاصة في مدينة تارودانت بسبب الصعوبة الكبيرة في فهم لسان أهلها[2]؛ أي اللهجة المحلية التي يتكلم بها سكان المدينة كما أشرنا إليه سابقا.

ومن أشهر العلماء الجزائريين الذين تميزوا عن غيرهم من العلماء خلال القرن 11هـ/17م نجد :

-" **أبو العباس أحمد المقري التلمساني**" الذي يعتبر من كبار العلماء الجزائريين وأشهرهم في عصره، اشتهر في المغرب الأقصى بعلمه وفقهه مما جعله يحظى بمكانة هامة لدى العام والخاص مكنته من تولي منصب الفتوى بجامع القرويين لمدة خمس سنوات نظرا لفقهه وعلمه، كما أنه تولى الإمامة والخطابة أيضا في عهد السلطان السعدي زيدان بن أحمد المنصور[3]، وتعتبر حياة المقري في المغرب الأقصى غامضة نوعا ما، مما جعل التعرف على مختلف النشاطات التي كان يقوم بها أمرا صعبا باستثناء المعلومات التي ذكرها في مؤلفاته أو ذكرها بعض معاصريه، بالرغم من استقراره بالمغرب الأقصى لفترة تزيد عن خمسة عشرة سنة، ثم غادر المغرب الأقصى بعد ذلك صوب المشرق واستقر بالقاهرة إلى أن توفي بها[4].

---

[1]– التمنارتي: المصدر السابق، ص 86.

[2]– عادل نويهض: المرجع السابق، ص 343.

[3]– محمد عبد الغني حسن : المقري صاحب نفح الطيب، الدار القومية للطباعة والنشر، د م، د ت، ص 28.

[4]– السملالي: المصدر السابق، ج 8، ص 464.

ومن بين العلماء الجزائريين الذين برزوا في مجال القضاء والإفتاء خلال القرن 13هـ/19م نذكر "**عبد القادر بن محمد الراشدي**" الذي انتقل إلى المغرب الأقصى بعد سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي سنة 1246هـ/1830م واستقر بمدينة فاس، ثم غادرها صوب مدينة مراكش سنة 1268هـ ، وبها تولى منصب القضاء لفترة زمنية معينة بصفته قاضي الجماعة[1]، و كان له دور كبير في تنشيط الحركة العلمية بالمغرب الأقصى من خلال اهتمامه بجوانب أخرى خاصة في مجال التدريس، من خلال حلقات الدروس التي كان يعقدها بجامع القرويين في مدينة فاس.

إضافة إلى العلماء الذين ذكرناهم، نجد علماء آخرين تولوا خطة القضاء والفتوى في مختلف المدن المغربية طوال الفترة الممتدة من القرن10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م، على غرار **محمد بن هبة الله** المعروف **بشقرون**، وقد جمع العديد من العلماء الجزائريين بين عدة وظائف كالقضاء والفتوى والإمامة والخطابة والتدريس، مثل **عبد الواحد الونشريسي** بالرغم من أنه تولى مهمة التدريس أكثر من غيرها، إضافة إلى **محمد بن الوقاد**، وغيرهم من العلماء الذين أسندت لهم وظائف مختلفة[2]، وذلك لكونها مرتبطة فيما بينها وتعتمد في غالبها على نفس النصوص المستند إليها، وكلها تندرج ضمن مجال العلوم الشرعية، والتي تعتبر الميزة الرئيسية للحركة الفكرية والعلمية في المغرب الأقصى وحتى في بلاد المغرب كلها خلال تلك الفترة[3].

ثالثا: الإمامة والخطابة:

بفضل المكانة العلمية الكبيرة التي حضي بها علماء الجزائر في المغرب الأقصى، والتقدير والذي خصهم به حكام وسلاطين الدولة السعدية ومن بعدهم سلاطين الدولة العلوية، فبالإضافة إلى المناصب الهامة التي تقلدوها كالقضاء والإفتاء والتدريس كانت لهم مشاركة في وظائف أخرى كالإمامة والخطابة في مختلف مساجد المغرب الأقصى وخاصة في جامع القرويين، حيث أسندت هذه المهمة إلى العديد من العلماء من أمثال **محمد بن**

---

(1)– السملالي: المصدر السابق ، ج8 ، ص 464 .

(2)– أنظر: ـــــ الفصل الثاني من البحث ، ص 13–17.

(3)–محمد المنصور: المرجع السابق، ص 249.

الوقاد الذي تولى الخطابة والإمامة في مدينة تارودانت، حيث ذكر التمنارتي ذلك بقوله: " ...وقُدم للفتوى والإمامة والخطبة بالجامع الكبير بها..."[1] ، كما تولى **عبد الواحد الونشريسي** كذلك مهمة الإمامة والخطابة بالرغم من أنه تولى مهمة التدريس أكثر من غيرها، وهو نفس الأمر الذي ينطبق على **محمد بن هبة الله** المعروف **بشقرون** ، إلا أن أشهرهم في هذا المجال هو **أحمد المقري** الذي تولى الإمامة والخطابة في جامع القرويين في عهد السلطان زيدان بن أحمد المنصور[2]، أما **عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الوقاد** فقد تقلد العديد من المناصب في مدينة تارودانت كالإمامة والخطابة وخلف والده في المهام التي كان يؤديها في مساجد مدينة تارودانت [3].

هذه نماذج حول أهم العلماء الجزائريين الذين تولوا مهمة الإمامة والخطابة في مختلف مساجد المغرب الأقصى، وهذا يوضح لنا القيمة العلمية الكبيرة لهم ، والمكانة الهامة التي حضوا بها لدى العام والخاص في المغرب ، كما أن أغلبية العلماء الجزائريين قد جمعوا بين وظائف متعددة ، نظرا للتكوين العلمي للعلماء المبني أساسا على العلوم الدينية والأدبية، واعتماد تلك الوظائف على نفس النصوص الشرعية واللغوية.

---

[1]– التمنارتي: المصدر السابق، ص 86.

[2]– محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ج1، ص 158.

[3] – الوفراني: صفوة ، المصدر السابق، ص 271–272.

II- مآثر علماء الجزائر بالمغرب الأقصى:

من خلال ما ذكرناه في العناصر السابقة حول تواجد العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى ونشاطهم الفكري والعلمي ونوعية الإسهامات العلمية والفكرية التي ساهموا بها، كان لزاما علينا التطرق إلى مآثرهم ومخلفاتهم المختلفة، بحكم ما خلفوه من إنتاج علمي وفكري يثبت مدى فاعليتهم ومساهمتهم في مختلف النشاطات الفكرية والعلمية التي كانوا طرفا فيها بالمنطقة، لكونهم جزء من المجتمع المغربي منذ أن استقروا في مدنه المختلفة، خاصة مدينتي فاس وتطوان، من خلال المكانة الهامة التي حضي بها العلماء الجزائريون لدى العام والخاص، والوظائف الهامة التي تولاها أولئك العلماء في المغرب الأقصى[1].

بالرغم من كثرة أعداد العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى خلال الفترة الممتدة من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م، إلا أن إنتاجهم الفكري والعلمي الذي خلفوه من كتب ورسائل ومذكرات شخصية يتصف بالقلة والضعف، ولا يعكس كل ذلك مدى مساهمتهم الكبيرة والفعالة في مختلف المجالات الفكرية والعلمية خلال تلك الفترة، حسب ما رصدته لنا المصادر التاريخية خاصة منها كتب التراجم[2]، من خلال ترجمتها للعديد من العلماء الجزائريين.

أولا: المآثر المادية:

1 – التأليف:

اتسمت المخلفات العلمية والفكرية لعلماء الجزائر في المغرب الأقصى بالقلة والضعف، وهذا ليس ضعفا منهم، وإنما يمكننا القول أن مختلف آثارهم ومؤلفاتهم قد فقدت مع مرور الزمن، أو لا يزال البعض منها مدفونا بين رفوف المكتبات لدى العامة والخاصة، أو

---

(1)-أرزقي شويتام: العلاقات ، المرجع السابق ، ص 86.

(2) – ترجمت العديد من كتب التراجم للعديد من العلماء الجزائريين الذين حلوا بالمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة ، وذكرت مختلف النشاطات التي زاولها العلماء الجزائريون في المنطقة وهي في غالبها عاصرت الفترة التي تواجد فيها العلماء الجزائريون بالمغرب الأقصى مثل: (مثل البستان لابن مريم، دوحة الناشر لمحمد بن عسكر، ونيل الإبتهاج للتنبكتي ، ونشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري ، وصفوة من انتشر للوفراني، وجذوة الاقتباس ودرة الحجال لابن القاضي، وغيرها من كتب التراجم ...).

حبيسا لدى بعض العائلات والأسر في المغرب الأقصى [1]، كما يمكن القول كذلك أن هذا الضعف في الإنتاج الفكري والعلمي يعود إلى طبيعة المساهمة الشفوية لبعض العلماء في النشاطات المختلفة كالتدريس والفتوى، وقول الشعر، وإلقاء الخطب والمواعظ ، وعدم اهتمام البعض منهم بأمر التأليف والتدوين لانشغالهم بجوانب أخرى كالتجارة مثلا، واقتصروا فقط على المشاركة الشفوية في مختلف النشاطات الفكرية والعلمية في المراكز الثقافية المغربية[2]، إما لتأمين قوتهم وتحسين أوضاعهم المعيشية، أو لكسب ود الحكام والسلاطين وتقديرهم، والاستفادة من الكرم والسخاء المادي بالحصول على العطايا والهبات، وهو الأمر الذي اشتهر به حكام وسلاطين المغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة، سواء كانوا سعديين أم علويين.

تنوعت المجالات الفكرية والعلمية التي برز فيها العلماء الجزائريون في المغرب الأقصى، إلا أن الصبغة التي ميزت الحركة الفكرية والعلمية في المنطقة هي الصبغة الدينية والأدبية، وهو ما كان له الأثر البارز على الاهتمامات الفكرية والعلمية لعلماء المنطقة والتي تناولتها مؤلفاتهم وكتاباتهم، لأن الطابع العام الذي ميز التأليف في تلك الفترة خاصة في القرنين10و12هجريين/16و17ميلاديين هو التركيز أساسا على تآليف وكتب الأوائل من العلماء[3]، والتي تتميز بطغيان الطابع الديني والأدبي على مضامينها ، إذ أن التأليف خلال تلك الفترة اشتمل على سبعة عناصر رئيسية ذكرها **أحمد المقري** وهي كما جاء في قوله :" شيء لم يسبق إليه فيؤلف، أو شيء ألف ناقصا فيكمل، أو خطأ فيصحح، أو مشكل فيشرح، أو مطول فيختصر، أو مفترق فيجمع، أو منثور فيرتب"[4]، وقد نظمها بعضهم في قوله:

---

[1]– إدريس بوهليلة: المرجع السابق، ص 141.

[2]–نفسه، ص 140–141.

[3]–محمد حجي: الحركة ، ج 1، ص 136–137.

أيضا: ـــــ زهراء النظام : المرجع السابق ، ص 426.

[4]– المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق وتعليق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942، ج 3، ص 34–35.

ألا فاعلمن أن التآليف سبـــــعة لكل لبيب في النصيحة خالص
فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ وإبداع حبر مقدم غير ناكص
وترتيب منثور وجمع مفـــــرق وتقصير طويل وتتميم ناقص[1].

تعددت مجالات التأليف لدى العلماء وتنوعت خلال تلك الفترة، حيث ألفوا كتبا في علوم الفقه وأصوله وفي علم الحديث وعلوم القرآن وفي علم التصوف والعقيدة ، كما ألفوا كتبا في علوم اللغة والأدب العربي، ونظموا دواوين من الشعر، كما أن اهتمام العلماء الجزائريين خلال تلك الفترة بالتأليف اشتمل أيضا على تأليف كتب في التاريخ والتراجم والسير، إضافة إلى كل هذا فقد خصصوا جزءا من تآليفهم للفهارس والرحلات، وتعدى نشاطهم إلى تأليف بعض الكتب في المجالات العلمية والطبية حسب ما بينته لنا كتب التراجم أثناء ترجمتها للعديد من العلماء، وذكرت خلالها بعضا من مآثرهم[2].

بالرغم من كثرة المؤلفات في المغرب الأقصى خلال تلك الفترة، إلا أننا إذا نظرنا إلى مضمون تلك المؤلفات بمختلف أنواعها تصادفنا الصبغة الدينية والأدبية في الكتابة ، فأيما كتاب أُلف تتخلله مجموعة من الآيات والأحاديث، وأثر السلف الصالح، وأشعار وقصائد، وأقوال مأثورة من كلام العرب، وهذه ميزة تميز بها جميع من ألف في تلك الفترة، إذ يبتدئ المؤلف كتابه بمقدمة نسجت على منوال أدبي راقٍ تتخللها آيات قرآنية وأحاديث نبوية، حتى وإن كان كتابا في الطب أو في أو الحساب والمنطق[3].

يشمل الإنتاج الفكري والعلمي للعلماء الجزائريين في المغرب الأقصى كل ما يتعلق بالكتابة والتأليف في مجالات عدة ، واهتموا كذلك بكتابة الرسائل والمذكرات الشخصية ونظم القصائد والأشعار، ولأن أغلب العلماء الجزائريين إن لم نقل كلهم متخصصون في علوم الدين والأدب بمختلف فروعهما، لم تخرج مؤلفات من هذا المضمار، لذلك اشتمل إنتاجهم الفكري على تآليف متعلقة في أغلبها بعلوم الدين والأدب[4]، حيث انصبت جهود

---

(1)– المقري : أزهار ، المصدر السابق، ص 35.

(2)–ابن عسكر: المصدر السابق، ص 123،116.

(3)– محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج1، ص 134.

(4)– أبو القاسم سعد الله : تاريخ ، ج1، ص 294.

أغلبية العلماء على الكتابة في مجال الفقه المالكي وألفوا فيه العديد من المؤلفات، حيث ركزوا في تآليفهم على الفتاوى والنوازل، ووضعوا حلولا لها، وهو أمر فرضته الظروف التي كانت سائدة في المنطقة خلال تلك الفترة[1] .

من المآثر والمخلفات التي خلفها العلماء الجزائريون في المغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة والمتعلقة بإنتاجهم الفكري والعلمي، نجد نماذج عديدة[2]، نذكر منها، ما خلفه العالم **أحمد بن يحي الونشريسي** من مؤلفات هامة أواخر القرن 9هـ/15م و مطلع القرن 10هـ/16م ، والتي تتعلق في مجملها بالفقه المالكي وأصوله وفروعه ولعل أهم هذه المؤلفات:

- " **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس**"، كما قال الونشريسي: " **...سميته المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس، جمعت فيه أجوبة متأخريهم العصريين ومتقدميهم ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه...**"[3] والذي يعتبر مصدرا رئيسيا في الفقه المالكي يرجع إليه العلماء في المغرب الأقصى بل وفي كل بلاد المغرب الكبير، كما أن للمعيار جانب آخر اهتم به الونشريسي، وهو الإشارة إلى الجوانب العلمية والاجتماعية والتاريخية التي عرفتها بلاد المغرب الكبير خلال تلك الفترة[4].

- " **إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك**" ، **و** " ويعرف بالقواعد الفقهية وله أهمية كبرى عند علماء المالكية في المغرب.

- " **عدة البروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق**" وتناول فيم مختلف مقاصد الشريعة الإسلامية وأوضح فيه العلل من اختلاف الأحكام في المسائل الفقهية[5]،

---

[1]– زهراء النظام : المرجع السابق، ص 431.

[2]– أنظر الملحق رقم : 11.

[3]– الونشريسي : المعيار، المصدر السابق، ج1، ص 1.

[4] – كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د ت، ص 34–35.

[5]– الونشريسي: كتاب وفيات الونشريسي ، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د م ، د ت، مقدمة المحقق، ص 4.

إضافة إلى مجموعة أخر ى من المؤلفات المتعلقة بأحكام الفقه المالكي مثل : " **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأدب الموثق وأحكام الوثائق**" و أيضا " **مختصر أحكام البرزلي**[1].

هذه من أهم المخلفات التي خلفها أحمد بن يحي الونشريسي، وهو إنتاج علمي وفكري كبير يعبر عن المكانة العلمية الكبيرة لهذا العالم خاصة في ميدان الفقه، كما خلف أيضا العديد من الرسائل و الكتب التي ألفها أو كتبها في مسائل فقهية مختلفة، إذ أصبح يُعتمد عليها كمصادر أساسية لدراسة قواعد الفقه المالكي في المغرب الأقصى.

أما ولده **عبد الواحد الونشريسي** فقد خلف أيضا بعضا من إنتاجه العلمي والفكري لكن ليس بالقدر الذي خلفه والده من مؤلفات، حيث ألف أرجوزة نظم فيها كتاب والده المسمى " **إيضاح المسالك إلى قواعد مذهب مالك** " أسماها " **سنا المقتبس لفهم قواعد الإمام مالك بن أنس** "، وتتألف هذه الأرجوزة من ألف وخمسمائة بيت ، وهي معْلمة فقهية كبرى تتعلق بقواعد المذهب المالكي وأصوله[2].

من العلماء الجزائريين الذين كان لهم نشاط كبير في المجال الفكري والعلمي، وشهرة واسعة بالمغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م **أحمد المقري التلمساني**، الذي يعتبر من أكبر العلماء الجزائريين وأعلمهم في تلك الفترة، حيث خلف إنتاجا فكريا وعلميا كبيرا، إلا أن أغلب إنتاجه وجل مؤلفاته وأشهرها أنجزها في بلاد المشرق[3]، ولا تزال بعض الجوانب من حيا ة المقري في المغرب غامضة، وسنركز على بعض ما خلفه من إنتاج فكري وعلمي في المغرب حسب ما تقتضيه الدراسة، و من أهم المؤلفات التي ألفها المقري أثناء تواجده في المغرب الأقصى نذكر:

- " **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**" وهو كتاب ألفه أثناء تواجده بالمغرب وذكر فيه أهم الأعلام الذين لقيهم بمدينتي فاس ومراكش وأخذ العلم منهم أو تدارس معهم خلال فترة تواجده بالمنطقة، كما أن لهذا المؤلَف

---

[1]– الونشريسي: كتاب الوفيات ، المصدر السابق، ص4.

[2]–محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج1، ص 145.

[3]– محمد الطمار: المرجع السابق، ص 256–257.

أهمية كبيرة في الجوانب الفكرية والعلمية خاصة وأنه يعرفنا بشخصيات بارزة كان لها دور كبير في مختلف النشاطات العلمية والفكرية بالمنطقة، و أنه أعطى لنا من خلاله صورة واضحة عن النشاط العلمي والأدبي الذي ساد في المنطقة خلال تلك الفترة، و أبرز فيه دور السلطان السعدي أحمد المنصور في خدمة العلم والعلماء[1].

– "**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**" و الذي جعله موسوعة أدبية وتاريخية تستقي مواضيعها من حياة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة 455هـ بمدينة مراكش المغربية ، وهو عالم من علماء المغرب الأوسط وأشهر قضاتها، كما أشار فيه بعض الجوانب من تاريخ المغرب والأندلس [2]، وهذا الكتاب مقسم إلى خمسة أجزاء.

كما أن هناك بعض الرسائل و الكناشات التي تنسب إليه ، أما بقية إنتاجه وأشهر مؤلفاته فقد ألفها وهو بالمشرق العربي، ولعل أهمها على الإطلاق كتاب " **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**" والذي يعتبر موسوعة تاريخية وأدبية ذكر فيها أخبار الأندلس وتاريخها ، وأخبار وزيرها لسان الدين ابن الخطيب الذي تأثر به وبثقافته[3].

كما أن هناك عالما جزائريا آخر عاش خلال القرن 11هـ/17م بالمغرب الأقصى، وكان له نشاط علمي كبير في المغرب، وهو " **عيسى بن محمد البطيوي** "، و الذي خلف وراءه آثارا مختلفة وإنتاجا علميا هاما، شمل مجموعة من المؤلفات متعلقة بعلم التصوف من أهمها: " **مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح** "، وهو كتاب ذكر فيه مختلف رحلاته في طلب العلم إلى كل من فاس وتلمسان، كما خصص فيه جانبا ذكر فيه المشايخ والعلماء الذين لقيهم و أخذ عنهم العلم في كل من تلمسان وفاس[4].

أما خلال القرن 12هـ/18م برز عالم جزائري أخر و هو " **عبد الرحمان بن إدريس بن أحمد المنجري** " ، خاض في مجال التأليف وذلك بفضل ثقافته العلمية الواسعة ونشاطه

---

[1]–المقري : روضة ، المصدر السابق، ص 10–16.

[2]–المقري: أزهار، المصدر السابق، مقدمة المحققين، ج1، ص د.

[3]– المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج1، ص15 – 16.

[4] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 44.

العلمي الكبير، حيث ألف العديد من الكتب في مجالات مختلفة، ولا يزال أغلبها مخطوطا في الخزانة الملكية بالرباط، ومن أهم آثاره ومؤلفاته نذكر: " **حاشية على فتح المنان** " و" **فهرسة**" ترجم فيها للمشايخ الذين أخذ العلم عنهم[1].

أما في القرن 13هـ/19م فنجد عالم جزائريا آخر في المغرب الأقصى ألا وهو "**العربي المشرفي**" الذي يعتبر من أكثر علماء الجزائر من حيث الإنتاج العلمي والفكري خلال فترة القرن 19م/13هـ ، حيث اشتهر بالتأليف والكتابة في مجالات عدة كالشعر والتراجم والتاريخ والرحلات، وفي التصوف أيضا، وذلك حسب الأحداث التي عايشها في تلك الفترة[2]، ومن أهم مؤلفاته:

- **الآيات والحوادث:** لا نعرف عنه شيئا إلا أن المؤلف ذكر بأنه من مؤلفاته[3].
- **أثمد الجفون فيمن لعهد الله يوفون** : وهو غير موجود ، أشار إليه الكاتب في بعض مؤلفاته[4].
- **أقوال المطاعين في الطعن والطواعين:** يقول عنه ابن سودة يتضمن بعض الأحداث التي عرفتها المنطقة في تلك الفترة [5]، فيه كلام حول الطب وهو موجود في المكتبة الملكية بالرباط[6].
- **ديوان المشرفي:** هو عبارة عن مجموعات شعرية تتناول أغراضا مختلفة ذكر فيها أحوال والجزائر وما آلت إليه أمورها بعد الاحتلال الفرنسي، كما أنه يتضمن مدحا لموك المغرب الأقصى وبعض أعوانهم (ملوك الدولة العلوية) ، كما أشار في بعض شعره إلى حوادث متفرقة حدثت خلال تلك الفترة سواء في المغرب الأقصى أو في الجزائر أو في غيرها من مناطق العلم الإسلامي[7] .

---

(1) –عادل نويهض: المرجع السابق، ص 69–70.

(2) ـــــ أبو القاسم سعد الله: أبحاث ، المرجع السابق، ج 2، ص 178.

(3) – نفسه ، ص 179.

(4) – نفسه ، ص 179.

(5) – ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ص 306.

(6) – أبو القاسم سعد الله، أبحاث، المرجع السابق، ج 2، ص 179.

(7) – نفسه، ص 182.

– **ذخيرة الأواخر والأوائل فيما ينتظم من أخبار الدول:** مكتوب بخط المؤلف ويوجد بالخزانة العامة بالرباط، وهو في جزء صغير ذكر فيه أحداثا مختلفة خاصة المتعلقة منها بالجزائر وذكر فيه علماءها وأهلها، ومختلف المظاهر السائدة فيها خلال الفترة الأولى من الاحتلال [1].

– **الرحلة الجزائرية:** حسب ما ذكره ابن سودة فهي موجودة في الجزائر لكن لم يذكر مكان تواجدها[2].

– **الرحلة العريضة في أداء الفريضة:** وهي غير متوفرة باستثناء جزء منها قال ابن سودة إنه يوجد في خزانته[3].

هذه نماذج من مخلفات الإنتاج الفكري والعلمي للعربي المشرفي خلال القرن 1913هـ/19م، والتي تختلف مضامينها حسب الأحداث التي عايشها المؤلف، إذ أنها تضمنت مواضيع مختلفة منها ما هو في التاريخ ومنها ما هو في الأدب والشعر ، وأخرى تناول فيها قضايا مختلفة صادفته خلال رحلاته، فألفها على شكل رحلات تحدث فيها عن كل الأحداث التي عايشها أثناء انتقاله من منطقة إلى أخرى، كما أن له عددا آخر من المؤلفات والتي لا تقل أهمية عن التي ذكرناها إلا أن أغلبها يبقى مجهولا و غير منشور[4].

كما شهد القرن 13هـ/19م بروز عدد من العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى ، والذين كان لهم دور كبير في الحياة العلمية والفكرية من خلال النشاط العلمي الكبير الذي مارسوه في المنطقة، كما أنهم خلفوا وراءهم آثارا علمية هامة في مجالات مختلفة، حيث ألفوا العديد من الكتب في مختلف المجالات ، ومن هؤلاء العلماء:

---

(1)– أبو القاسم سعد الله، أبحاث، المرجع السابق ، ج2، ص 183.

(2)– ابن سودة : المرجع السابق، ص 241.

(3)– نفسه، ص 241.

(4)– أبو القاسم سعد الله، أبحاث، المرجع السابق، ج2، ص 185–191.

" **عبد الرحمن المجاجي**" الذي استقر في مدينة فاس، وساهم في الحركة الفكرية والعلمية بالمنطقة، ومن أهم آثاره نذكر " **التبريج في أحكام المغارسة** "[1] ، وعالم آخر عاش في النصف الثاني من القرن 13هـ/19م هو:" **عبد القادر المجاوي**" الذي خلف هو الآخر تراثا علميا كبيرا في غالبه يتعلق بالتصوف وباللغة العربية وعلومها، ومن مخلفاته نذكر منها :

" **اللمع في إنكار البدع**" و " **إرشاد المتعلمين**" و" **الدرر النحوية**" و " **نزهة الطرف في المعاني والصرف**" وغيرها من المؤلفات التي ألفها سواء في المغرب الأقصى أو أثناء عودته إلى الجزائر[2].

أما المخلفات الأخرى التي خلفها بعض العلماء الجزائريين فتبقى غير معروفة نظرا لتقادم الزمن عليها ، أو أنها فقدت ولم يعثر عليها، بالإضافة إلى ذلك فهو نفس الأمر بالنسبة لبعض العلماء الذين حرصوا على المشاركة الشفوية فقط دون الاهتمام بأمر التأليف، حتى وإن كتبوا فإن كتاباتهم تنحصر في مجموعة من المذكرات الشخصية أو في تأليف بعض القصائد الشعرية حول قضايا مختلفة، دون التفرغ لتأليف الكتب لأسباب ودواعٍ مختلفة، مما حال دون الكشف عن مدى مساهمتهم في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى.

2- الإجازة:

تعتبر الإجازة من أهم الشهادات التي يقدمها الشيخ العالم لطالب العلم، وفيها يجيز له تدريس و رواية كل ما أخذه عنه من العلوم مسموعها ومقروئها، وفي هذا الإطار فإن بعضا من علماء الجزائر ممن كانوا يزاولون نشاطهم العلمي في المراكز الثقافية بالمغرب الأقصى خاصة في مجال التدريس، ونظرا لإقبال العلماء وطلبة العلم على مجالسهم، كان لابد من بعضهم طلب الإجازة من العلماء المدرسين، وكان لزاما على أولئك العلماء منح الإجازة للمتفوقين والمتمرسين في العلم، حتى يتسنى لهم رواية كل ما أخذوه عنهم من أسانيد وعلوم مختلفة حسب ما تضمنته الإجازة.

---

[1]-عادل نويهض: المرجع السابق، ص 286.

[2]- نفسه، ص 286.

من بين الإجازات التي أجاز بها بعض علماء الجزائر بعضا من علماء المغرب الأقصى خلال القرن 16م/10هـ ، نذكر:

– الإجازات التي أجاز بها العالم الجزائري **محمد شقرون بن هبة الله**[1] أحد تلامذته المتمثل في **محمد بن عسكر الشفشاوي**، بعد أن كان ملازما له في مجالسه وأخذ العلم عنه وحصل على إجازتين منه، كما ذكر ذلك في الدوحة بقوله: "... وأجازني في جميع مروياته وكل ما تحمله، وذلك سنة969هـ...، وأجازني سنة 972هـ في عقائد الشيخ السنوسي وشروحاتها ومحصل المقاصد للشيخ ابن زكري..."[2]، وجاءت صيغة هذه الإجازات بشكل منثور ابتدأها بقوله: " الحمد لله ، أجزت الفقيه الوجيه المحترم..."[3].

– الإجازة التي أجاز العالم الجزائري **أحمد بن أحمد العبادي**[4] ابن عسكر أثناء تواجده بالمغرب الأقصى، كما أشار إليه ابن عسكر بقوله:"... وأجازني في سلسلة مشايخ الصوفية، وأجازني أيضا في الحاجبين الأصلي والفرعي ..."[5].

– إجازة **أحمد التيجاني**[6] لأحد أتباعه المسمى بـ " **علي حرازم بن العربي برادة**[7] المغربي سنة 1214هـ، وهي إجازة منثورة أجاز فيها التجاني له كل ما لديه من العلوم الظاهرة والباطنة ، وكل ما هو مقروء ومسموع ، وكل ما يتعلق بالأوراد والأدعية، وأن يُقرِئ الأوراد المعلومة في طريقته في مشارق الأرض ومغاربها، وقد بدأ التجاني هذه الإجازة[8]. بما يلي: " بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما

---

(1)– أنظر الملحق رقم: 8.

(2)– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 117.

(3)– نفسه ، ص 118.

(4)– أنظر الملحق رقم : 9.

(5)– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 118.

(6)– أنظر الملحق رقم: 10.

(7)–. علي حازم بن العربي براد المغربي الفاسي من أهم أتباع الشيخ احمد التيجاني ، ومن ملازميه ، أخذ العلم الصوفي عن التيجاني، وكان خديما للتيجاني في المغرب الأقصى وتوفي سنة 1218هـ .
أنظر: السكيرج: المصدر نفسه، ص 68.

(8)– نفسه، ص 94–95.

أُغلق....أجزت وأذنت لحبيبنا وصفينا ومحل ودنا وأنسنا...علي حرازم بن العربي برادة...."

تختلف الإجازة في مبناها بين المنثور والمنظوم، وبين المطولة والمختصرة، إذ أصبح العلماء يتفننون في وضع الإجازات وتحريرها لشدة عنايتهم بها، حيث كتب بعضها إجازات منظومة لا تتعدى بيتين من الشعر، ونظم بعضهم إجازات أخرى تبلغ عشرة أبيات أو تزيد عن ذلك، ومن الإجازات المنظومة التي كتبها بعض علماء الجزائر وأجازوا بها بعضا من علماء المغرب الأقصى نذكر:

- إجازة **أحمد المقري التلمساني** بمدينة فاس للعالم المغربي **محمد بن يوسف التملي**[1]، حيث أجازه في جميع ما له من أسانيد في القراءات وسائر العلوم وبعضا من الكتب التي ألفها لروايتها عنه، وهذه الإجازة مطلعها:

أيا ماجدا أعيت محاسنه الوصفا وإنسان عين الود والأخلص الأصفى
ومشكاة أنوار القـــراءة والأدا وصاحب أذيال الكمال على الأكـــفا
وها أنا ذا أشهدت أني أجزتكـــم على السنن المألوف والمقصد الأوفى
جميع تآليفي ونظمي وإن هوى ونثري وإن حاز الركاكة والضـــعفا[2].

هذه نماذج من الإجازات التي أجاز بها علماء الجزائر بعض العلماء في المغرب الأقصى، وهي تدل على مدى المساهمة الفعالة في الحركة الفكرية في المغرب الأقصى، والنشاط العلمي والفكري الكبير الذي تميز به أولئك العلماء في المراكز الثقافية المغربية، بالرغم من وجود علماء أكْفاء من المغرب الأقصى، إلا أن علماء الجزائر عملوا على تخليد أسمائهم في المنطقة من خلال ما خلفوه وراءهم من آثار علمية ومخلفات فكرية وعلمية رغم قلتها تشهد لهم على مساهمتهم الكبيرة في النشاط الفكري والعلمي بالمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة.

---

[1]– محمد حجي: الحركة ، المرجع السابق، ج1، ص 109.

[2]– نفسه، ص 109.

هذه نماذج من المخلفات والآثار العلمية التي شملت التأليف والإجازة لعلماء الجزائر في المغرب الأقصى، وما لاحظناه خلال هذه الدراسة أن إنتاجهم العلمي والفكري يتميز بالقلة رغم كثرة أعداد العلماء الجزائريين في المنطقة، وأن اغلب العلماء الجزائريين كان لهم نشاط علمي وفكري سواء في مجال التدريس أو الإمامة والخطابة، ولهم دور كبير في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية في المراكز الثقافية المغربية خاصة في مدينتي فاس وتطوان، خصوصا وأن إنتاجهم العلمي والفكري يرتكز أساسا على مجالات مختلفة تتعلق في غالبها بالعلوم الدينية والأدبية، نظرا لطبيعة النشاط العلمي الذي ساد المنطقة خلال الفترة الحديثة، وكذا التكوين العلمي للعلماء المبني أساسا على علوم الدين والأدب.

ثانيا: المآثر المعنوية:

اشتهر العلماء الجزائريون في المغرب الأقصى بنشاطهم الكبير في مختلف المجالات الفكرية والعلمية، وكانت لهم مآثر كبيرة ساهموا بها في إثراء الوسط الثقافي المغربي، وذلك من خلال:

أ- تكوين العلماء وطلبة العلم:

انكب علماء الجزائر في المغرب على التدريس وعقد الحلقات العلمية في مختلف المراكز الثقافية المغربية، خلال الفترة التاريخية الممتدة من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م ، وبفضل تضلعهم في مختلف فنون العلم لقيت مجالسهم إقبالا كبيرا من طلبة العلم في المغرب الأقصى، وتخرج على أيديهم العديد من العلماء والفقهاء والقضاة والأئمة، مثل **محمد ابن الكماد القسنطيني** الذي اشتهر بمجالسه العلمية وبكثرة طلبة العلم الذين اخذوا العلم منه كما جاء في سلوة الأنفاس: " ... وتصدر التدريس بها فأفاد وأجاد ...، وأخذ عنه الجم الغفير من كل بلاد ..."[1].

أما العالم الجزائري المعروف **بابن جيدة الوهراني** والذي ذاع صيته في المغرب الأقصى، وأقبل طلبة العلم بكثرة على مجالسه، كما حضر مجالسه ودروسه البعض من كبار العلماء في المغرب وأخذوا عنه خلال فترة تواجده بالمنطقة على غرار **أبي العباس أحمد المنجور** الذي أشار إلى ذلك في فهرسته [2] ، واشتهر" **أحمد العبادي**" بنشاطه الفكري

---

[1]– الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص 34.

[2]– المنجور: المصدر السابق، ص 17.

والعلمي الكبير، حيث أخذ عنه العلم كبار العلماء في المغرب كما أشار إليه ابن عسكر بقوله: "...فانتفع الناس بعلومه ، وأخذ عنه الفقه سيدي **أبي محمد الهبطي**..."[1]، ونشط "**محمد ابن الوقاد** في ميدان التدريس وأخذ عنه العلم أعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم على غرار **التمنارتي** الذي ذكر أنه حضر مجالسه وقرأ عليه العديد من الكتب والرسائل إذ يقول: ".... فقرأت عليه رسالة أبي محمد و مختصر خليل بتمامهما قراءة تفهم وتحرير ... وداومت مجلسه إلى أن توفي ... "[2]. كما ساهم العالم الجزائري **عمر المانجلاتي** في تكوين طلبة العلم بعد **أن** انتقل إلى المغرب الأقصى وأخذ عنه العلم العديد من الطلبة والعلماء كما ذكر ابن زاكور ذلك في رحلته [3].

استمر نشاط العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى، وانتشرت علومهم وكثر طلبة العلم الذين تكونوا على أيديهم، وبذلك استفادت الحركة الفكرية منهم بفضل مساهمتهم الفعالة في مختلف النشاطات العلمية والفكرية خاصة في مجال التدريس والخطابة، وهو ما ساهم في تبوئهم لمكانة هامة خاصة لدى حكام وسلاطين المغرب الأقصى.

2-المناقب الصوفية:

شهد المغرب الأقصى تواجد العديد من علماء ومشايخ الصوفية الذين انتقلوا من الجزائر واستقروا بمدنه، ولعل أشهرهم في هذا المجال هو **أحمد بن يوسف الملياني الراشدي** و**أحمد التيجاني**، والذين كان لهما الدور الكبير في نشر مبادئهم الصوفية في المنطقة وكثر أتباعهم ومريدهم، و كسبوا ولاءً كبيرا من العامة والخاصة في المغرب الأقصى.

بعد استقرار أحمد بن يوسف الملياني في المغرب الأقصى واشتهر أمره وذاع صيته في المنطقة، وبسبب شهرته الواسعة في المغرب الأقصى كثر أتباعه ومريدوه وأفرطوا في حبه حتى نسبه بعضهم إلى النبوة[4]، واستمر أتباعه في نشر مبادئه وأفكاره الصوفية،

---

[1]– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 119.

[2]–التمنارتي: المصدر السابق، ص 281.

[3]– ابن زاكور: المصدر السابق، ص 41–42.

[4]– ابن عسكر:المصدر السابق، ص 125.

وأخذت بوادر الطريقة الصوفية تظهر في الأفق وسميت باليوسفية وذلك نسبة إلى اسمه، والتي يرجع تأسيسها إلى جماعة من أتباعه يسمون بالشرَّاقة، وانتشرت هذه الفرقة بالمغرب الأقصى إلا أنها انحرفت عن مبادئ الملياني وانحرفت في تعاليمها وعقائدها، حيث أشار إلى ذلك ابن القاضي بقوله: "...وحاشاه أن يقول بمقالتهم، إذ هم أحلوا ما حرم الله تعالى، وقد اختلقوا بدعتهم من ترك الصلاة والصوم ...وغير هذا مما الشيخ منزه عنه..."[1]، وذكر ابن عسكر أن الملياني لما سمع بهذه الطائفة وما ابتدعته في حقه قال : " من قال عنا ما لم نقل يبتليه الله بالعلة والقلة والموت على غير ملة "[2]، واستمرت طائفة اليوسفية في نشاطها إلا أن السلطان الغالب بالله قام بسجن جماعة منهم وقتل أعدادا أخرى من هذه الطائفة[3] .

أما ما يتعلق بالشيخ أحمد التيجاني وما خلفه من مناقبه الصوفية في المغرب الأقصى، فبعد انتقاله الأول إلى المغرب لأخذ العلم بدأت مرحلة جديدة في مسيرته الدينية والعلمية خاصة بعد لقائه بأهم مشايخ التصوف في المغرب الأقصى، وحتى بعد انتقاله إلى المشرق، حيث كسب خلال رحلته هذه العديد من الخصائص والميزات التي أهلته لأن يصبح قطبا صوفيا كبيرا، وهو ما تحقق له بعد عودته إلى المغرب الأقصى.

و منذ استقراره نهائيا بمدينة فاس سنة 1213هـ بدأت الكرامات تظهر على يديه فالتفت حوله أعداد كبيرة من سكان المغرب من العامة والخاصة[4] ، وأصبحت الزاوية التي بناها سنة 1215هـ قبلة للوافدين عليه من مختلف أقطار المغرب الأقصى، حتى أن السلطان المغربي سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل أصبح من أصحابه[5]، وبدأت بذلك طريقته الصوفية في الانتشار، وكثر أتباعه وعلا شأنه في المغرب الأقصى وفي الجنوب الغربي الجزائري، ووصل صداه إلى مختلف المناطق[6] ، وبقيت الطريقة

---

(1)– ابن القاضي: درة ، المصدرالسابق، ج 1، ص 165.

(2)– ابن عسكر : المصدر السابق، ص 125.

(3)– نفسه، ص 125.

(4)– عبد الباقي مفتاح: أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، د م، د ت، ص 231.

(5)– السكيرج: المصدر السابق، ص 21.

(6)– عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 131–132.

التيجانية منتشرة بشكل واسع في المغرب الأقصى والجزائر ومنطقة غرب إفريقيا بعد وفاته.

III- مواقف بعض علماء الجزائر من أحداث المغرب الأقصى وقضاياه:

ارتبط اسم العلماء بالحياة السياسية في المغرب الأقصى، في إطار الحرص والدفاع عن المشروعية السياسية للحكام والمساهمة في تنظيم شؤون الدولة، وهو دور تميز به العلماء في المغرب عبر فترات زمنية مختلفة، واستمر ذلك خلال الفترة الحديثة، من خلال تقليدي البيعة والإفتاء، والذيْنِ كانا يحددان مختلف المواقف التي كان يتخذها العلماء إزاء السلطة الحاكمة، سواء بموالاتها أو معاداتها، وكذلك الشأن في القضايا المختلفة مثل الفتن والاضطرابات الداخلية والخارجية [1].

بما أن أغلب العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى كان لهم دور كبير في الحركة الفكرية والعلمية، وأن البعض منهم كان من المقربين لسلاطين المغرب الأقصى سواء السعديين منهم أو العلويين، إذ كان للبعض منهم إلى جانب إسهاماتهم الفكرية ونشاطاتهم العلمية دور فعال في الحياة السياسية من خلال المواقف التي اتخذوها إزاء عدد من القضايا السياسية والفتن الاضطرابات الداخلية وحتى التهديدات الخارجية من قبل القوى المسيحية[2].

شهد المغرب فترات من انعدام الاستقرار السياسي بسبب كثرة النزاعات الداخلية، ولأن العلماء كانوا بحكم مكانتهم في مقدمة وقود الفتن إن هي حدثت، لأن مناصبهم ووظائفهم جعلتهم أمام خيارات صعبة، خاصة إزاء السلطة الحاكمة فيما يتعلق بتأييدها ونصرتها ، و إضفاء المشروعية على ممارساتها ، أو مخالفتها والتشديد على سياساتها وممارساتها [3].

عرف المغرب الأقصى مطلع القرن 16م تحولات سياسية هامة، تمثلت في ضعف السلطة الوطاسية وظهور السعديين على مسرح الأحداث، إذ عملوا على توسيع نفوذهم

---

[1]– عبد اللطيف حسني: "**العالم والسلطة في المغرب خلال القرن 19**" ، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1995، ص 310.

[2]– أرزقي شويتام: " العلاقات ، المرجع السابق، ص 93.

[3]– عبد اللطيف حسني: المرجع السابق، ص 306.

والاستيلاء على مقاليد الحكم بعد انتزاعها من يد الوطاسيين، فكثرت النزاعات والاضطرابات في مختلف المناطق شمالا وجنوبا، وسعى السعديون من خلالها لتوحيد كل المغرب تحت سلطتهم، وتمكنوا من تحقيق ذلك، وتوسع نفوذهم وقويت دولتهم[1]، واستمرت الأحداث والتطورات على المستوى الداخلي والخارجي طيلة الحكم السعدي إلى غاية نهايته، وجاء الدور بعد ذلك على الأسرة العلوية، والتي تولت الحكم في المغرب الأقصى في منتصف القرن 11هـ/17م.

في خضم هذه الأحداث والتطورات السياسية التي عرفها المغرب الأقصى، اتخذ بعض العلماء الجزائريين مواقف مختلفة من بعض الأحداث والقضايا الهامة التي شهدتها المنطقة، وذلك حسب المكانة العلمية التي تبوؤها العلماء الجزائريون، ونظرتهم إلى تلك الأحداث من زاوية فقهية ، وسنتحدث عن نماذج من هؤلاء العلماء الذين كانوا معاصرين لمختلف الأحداث في المغرب من قريب أو من بعيد طيلة الفترة الممتدة من القرن 16م/10هـ إلى القرن 19م/13هـ ، وشهدوا خلالها مختلف الفتن والاضطرابات السياسية الداخلية والخارجية.

1- عبد الواحد الونشريسي و بيعة السلطان السعدي محمد الشيخ:

أول مثال يمكن أن نتحدث عنه ونبرز بعضا من مواقفه من بعض القضايا السياسية في المغرب الأقصى هو الإمام **عبد الواحد الونشريسي**، وموقفه من قضية خلع بيعة السلطان الوطاسي أبو العباس، إذ أنه بعد تغلب السلطان السعدي محمد الشيخ على خصومه واستيلائه على بعض مناطق المغرب الأقصى، حاصر مدينة فاس لفترة طويلة، وهي تحت حكم السلطان الوطاسي السابق الذكر، فاستعصت عليه ولم يقدر على دخولها[2] فأمر الناس بمبايعته وخلع البيعة عن السلطان الوطاسي، فقرر أهل فاس عدم مبايعة محمد الشيخ حتى يبايعه عبد الواحد الونشريسي[3]، ولما وصل الأمر إلى الونشريسي، بعد أن بعث إليه محمد الشيخ يطلب منه خلع بيعة السلطان الوطاسي ويبايعه هو على ملك فاس، فأبى الونشريسي

---

[1]– محمد العيادي: المرجع السابق، ص 40.

[2]– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 53.

[3]– الناصري : المصدر السابق، ج5، ص 22.

أن يخلع بيعة السلطان الوطاسي وقال : "....**بيعة هذا الرجل المحصور في رقبتي ، ولا يحل خلع ربقتها إلا بموجب شرعي...**"[1]، وبذلك امتنع عبد الواحد الونشريسي عن مبايعة السلطان السعدي محمد الشيخ.

على إثر هذا الموقف الذي تبناه عبد الونشريسي في قضية البيعة ، تعرض إلى القتل من طرف أتباع محمد الشيخ أمام باب القرويين، بعد أن أخرجوه من مجلسه وهو يدرس صحيح البخاري بالقرويين سنة 955هـ/1549م[2]، وهذا موقف يدل على مدى التزام الإمام عبد الواحد الونشريسي بعهده الذي منحه سابقا للسلطان الوطاسي، وأنه لا يمكن خلع بيعة أي حاكم إلا إذا كان الأمر موافقا للشريعة.

2- أحمد المقري و قضية العرائش:

بعد الفوضى الكبيرة التي عرفها المغرب الأقصى عقب وفا ة المنصور مطلع القرن 11هـ/17م، وإثر تنازع أبنائه الثلاثة على العرش، لجأ أحدهم وهو المأمون بن المنصور إلى الملك الإسباني يستنجد به لنصرته على أخيه زيدان، مقابل تسليمه لمنطقة العرائش[3]، وفعلا جاء المأمون رفقة الجيش الاسباني ودخل إلى المدينة واسترهب أهلها فاضطروا لتهنئته والترحيب به، وأمر المأمون قادة جيشه بإخلاء المنطقة لتمكينها للجيش الأسباني، فقتل من أهلها الكثير، وخرج الباقون منها تحت طائل الترهيب والتهديد، واستولى عليها الأسبان سنة 1019هـ ، فأثار ذلك حفيظة السكان ومن بينهم العلماء [4].

ولتجنب ردة فعل العامة والخاصة من أهل المغرب، كتب المأمون إلى علماء فاس وغيرهم من علماء المغرب الأقصى يبين لهم أن النصارى استولوا على المدينة بالقوة، وأنهم رهنوا له أولاده وحشمه ولا خروج لهم منها إلا إذا سلمهم العرائش، وسألهم هل يجوز له افتداء أولاده وحشمه من أيدي النصارى مقابل منحهم هذا الثغر أم لا ؟[5].

---

(1)– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 53.

(2)– الناصري : المصدر السابق، ج 6، ص 20.

(3)– الوفراني: نزهة ، المصدر السابق، ص 198.

(4)– نفسه، ص 198.

(5)– الناصري: المصدر السابق، ج 6 ، ص 21.

تعد قضية تسليم منطقة العرائش للأسبان من أهم النوازل السياسية التي أثارت حفيظة العلماء وسخط العامة من الناس في المغرب الأقصى خلال فترة حكم السعديين أي في مطلع القرن 11هـ/ 17م، حيث انقسم العلماء في هذه القضية إلى ثلاثة طوائف، طائفة من العلماء أباحت للمأمون فعل ذلك خوفا منه، وطائفة أخرى من العلماء أنكرت عنه هذا العمل ونادت بضرورة الجهاد لتحرير العرائش من يد الأسبان، أما الطائفة الثالثة اتخذت موقفا مغايرا باختفائها عن الأنظار وانتظارها حتى تصدر الفتوى من جهة أخرى[1].

وضمن الفئة الأخيرة من العلماء نجد العالم الجزائري **أحمد المقري التلمساني**، فبالرغم من مكانته العلمية الكبيرة في المغرب الأقصى، والمناصب الهامة التي تولاها ، نجده قد اتخذ موقفا محايدا تجاه قضية تسليم العرائش للأسبان من قبل المأمون، من خلال ابتعاده عن الأنظار إستبراء لدينه وحفاظا على روحه، وبقي بعيدا عن الأنظار لمدة طويلة حتى تصدر الفتوى من جهة أخرى وتهدأ نار الفتنة[2].

هذا الموقف يعبر عن مدى معرفة المقري بخطورة الأمر، خاصة وأنه يتذكر ما حدث لعبد الواحد الونشريسي من قبل مع السلطان محمد الشيخ، وهو ما حدث فعلا بعدها لمن أفتى بالجواز بتسليم العرائش للأسبان ، مثل الفقيه "**محمد بن قاسم بن القاضي**" الذي قتلته العامة في فاس ، وكذلك الحال لمن أفتى بالرفض وأنكر هذا العمل الشنيع على غرار الشيخ "**أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن الأغصاوي**" الذي أتى به أعوان المأمون إلى قلب مدينة فاس وقتلوه بها[3].

كان أحمد المقري حريصا على عدم الخوض في مثل هذه المسائل السياسية الخطيرة، لكونه يدرك ما ستؤول إليه الأمور، خاصة في ظل الصراع المتواصل على السلطة بين أبناء المنصور والذي دام لمدة سبع سنوات، إلا أنه وبعد أن هدأت الأوضاع عاد إلى فاس وتولى فيها مناصب هامة كالإمامة والخطابة في جامع القرويين[4]، وهذا دليل قاطع على

---

(1)– الناصري: المصدر السابق، ج6، ص 22.

(2)– الوفراني: نزهة ، المصدر السابق، ص 199.

(3)– محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ج 1، ص 101.

(4)– نفسه، ص 158.

القيمة العلمية الكبيرة التي تميز بها المقري، والمكانة الهامة التي حضي بها بين علماء عصره، بالرغم من الموقف الحيادي الذي اتخذه تجاه قضية تسليم العرائش للأسبان.

3- ابن حمادوش الجزائري و ثورة الريفي:

خلال رحلته إلى المغرب الأقصى سنة 1156هـ/1744م، تميزت الأوضاع السياسية بالاضطرابات خاصة بعد وفاة السلطان العلوي إسماعيل ، وموازاة مع الحركية التي تميز بها ابن حمادوش في سعيه لطلب العلم ومجالسة العلماء من جهة وممارسته للتجارة بالمنطقة من جهة أخرى[1]، حيث صادف أثناء تواجده بالمغرب الأقصى فتنة حدثت في تطوان، وهي قيام صاحب مدينة تطوان " **أحمد بن علي الريفي** " بثورة على السلطان عبد الله بن إسماعيل العلوي [2]، وبما أن ابن حمادوش كان شاهدا عليها كان موقفه من هذه الثورة معاديا لها، حيث استنكر ما قام به أحمد بن على الريفي، حتى أنه لما تم القضاء عليه هنِئت نفسه بهزيمته، واستبشر بذلك خيرا كما جاء في قوله: "...وفرح أهل فاس كلهم...والحمد لله وهذا من الألطاف بهذه البلاد ..."[3].

أما موقفه من السلطان العلوي عبد الله بن إسماعيل فكان مؤيدا له في حربه ضد الريفي ومناصرا له، حتى أنه نظم قصيدة هنأه فيها على النصر المحقق وهذه أبيات منها:

أمولاي عبد الله بشرك الهـــــنا بكل الذي تبغي من الفتح والنصر
وساقت رياح السعد جارية الهنا لساحل بحرك المفيض على اليسر
وذلت لك الأعداء حتى كأنـــــها أرانب لا تعدو خطاها عن الحجر [4]

هذه الأبيات تعبر عن مدى التعاطف الذي أبداه ابن حمادوش مع السلطان العلوي عبد الله بن إسماعيل في حربه ضد الريفي، وهو موقف يدل على الروح القومية لابن حمادوش وحرصه على ضرورة الوحدة بين جميع أجزاء المغرب الأقصى، وتأكيده ضرورة القضاء

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: أبحاث، المرجع السابق، ج 1، ص 224-225.

[2]– ابن حمادوش: المصدر السابق، ص 75.

[3]– نفسه ، ص 93.

[4]– نفسه ، ص 97.

على الاضطرابات والفتن التي تهدد الاستقرار السياسي للبلاد ، وهو ما يتضح من خلال كلامه حول مصير ثورة الريفي وما آلت إليه وانتهاء أمرها[1].

4 محمد المشرفي و حرب تطوان:

برزت شخصية محمد المشرفي في المغرب الأقصى خلال القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، حيث توالت الأحداث في المغرب الأقصى وخاصة في مدينة تطوان التي تعرضت إلى الاحتلال الاسباني، إذ أن العالم الجزائري "**محمد المشرفي**"[2] في تلك الفترة كان معاصرا لذلك الحدث، حيث استقر في مدينة فاس بعد أن هاجر إليها من الجزائر رفقة عائلته سنة 1844م، وبقي في المدينة يطلب العلم ، حيث واصل دراسته في القرويين وانكب على طلب العلم حتى غدا من فحوله[3]، وأصبحت له مكانة هامة لدى أرباب الدولة العلوية.

شهدت فترة تواجد محمد المشرفي بالمغرب الأقصى حدثا هاما متمثلا في حرب تطوان التي وقعت بين الاسبان وسكان مدينة تطوان بين سنتي 1859-1860م ، وبما أنه كان شاهدا على هذه الحرب سواء من قريب أو من بعيد، بالرغم من عدم مشاركته فيها، إلا أنه كان له موقفه من هذه الحرب ، من خلال ما ذكره في كتابة " **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية**" ، حيث أشار فيه إلى بداية هذه الحرب وأسبابها وما آلت إليها، وحمل أهل المدينة مسؤولية الهزيمة أمام الأسبان وتمكينهم من احتلال المدينة بعد تقاعسهم عن القتال[4].

---

[1]– ابن حمادوش: المصدرالسابق، ص 93.

[2]– هو محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي ، ولد بمدينة معسكر حوالي سنة 1839م ، هاجر إلى فاس رفقة عائلته سنة 1844م بعد تعرض الجزائر للاحتلال الفرنسي ، تابع دراسته في جامع القرويين، توفي سنة 1916م بفاس.
أنظر: ــ إدريس بوهليلة: المرجع السابق، ص 56.

[3]– نفسه ، ص 56.

[4]– محمد المشرفي: المصدر السابق، ج 2، ص 92، 95.

كما أبدى محمد المشرفي موقفه من السلطة الحاكمة و بين دورها في هذه الحرب، من خلال إشادته بالسلطان "**محمد بن عبد الرحمن**" [1] وبالمواقف التي اتخذها تجاه الاحتلال الأسباني، من خلال الاستعداد للحرب وإعلان الجهاد كما جاء في قوله: "...مهتما بالجهاد والاستعداد ، ظانا مقاومة الرعية للعدو، و أذن للرعية في مقاتلة الأصبنيول ..."[2]، وعلى هذا الأساس يعتبر محمد المشرفي من خلال موقفه من السلطة المغربية داعما للسلطان وسياسته، و مشددا على ضرورة التعاون بين جميع الأطراف لتحقيق الوحدة بين مختلف أجزاء المغرب وردع العدوان الأجنبي.

هذه مجموعة من المواقف الهامة التي تبناها علماء الجزائر في المغرب الأقصى، وهي مواقف تعبر المكانة الهامة لهؤلاء العلماء ، وعن تفاعلهم الكبير مع مختلف الأحداث التي شهدها المغرب الأقصى خلال تلك الفترة، كما تبين لنا حرص هؤلاء العلماء على تجنب الوقوع في هوة الصراعات السياسية التي شهدها المغرب، وعن حرصهم الكبير على ضرورة الاستقرار ووحدة البلاد، نظرا للقيمة العلمية التي ميزتهم ، مما جعلهم يحضون بثقة العامة والخاصة من أهل المغرب الأقصى.

---

[1]– هو محمد بن عبد الرحمان بن هشام تولى الحكم في المغرب الأقصى بعد وفاة والده سنة 1859م/1276هـ، تمت مبايعته بالإجماع، شهدت فترة حكمه حرب تطوان مع اسبانيا، توفي سنة 1873م/1290هـ.

أنظر:ـ الناصري: المصدر السابق، ج 9، ص 80–81.

أنظر أيضا: ـ إبراهيم حركات: المغرب، المرجع السابق، ج 3، ص 229، 255.

[2]–محمد المشرفي : المصدر السابق، ج2، ص 92.

خاتمة الفصل:

كان للعلماء الجزائريين دور كبير في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى، حيث ساهموا بشكل فعال في إثراء الوسط الثقافي المغربي برصيد هام من الإنتاج العلمي والفكري، والذي شمل مجالات مختلفة، خاصة في مجال العلوم الدينية.

– أن العلماء الجزائريين لم يقتصر تواجدهم في المنطقة على الاستفادة فقط، وإنما كان لهم دور كبير في نشر العلم في المراكز الثقافية المغربية، من خلال المناصب الهامة التي تولوها كالتدريس والإفتاء ، حيث حضر مجالسهم العديد من العلماء في المغرب على غرار المنجور و الهبطي و التمنارتي وغيرهم ، وتخرج على يديهم العديد من العلماء.

– أن العلماء الجزائريين تولوا مناصب هامة في المراكز الثقافية بالمغرب الأقصى كالتدريس والقضاء والإفتاء ، بالرغم من توفر أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء المغاربة ، وهو ما يبن قيمتهم العلمية الكبيرة، حيث نافسوا العلماء والفقهاء في المغرب على تولى المناصب الهامة، لأنه لا يمكن لأي تولي مثل هذه المناصب إلا إذا كان من كبار العلماء والفقهاء.

– أن المكانة الهامة التي حظي بها علماء الجزائر في المغرب دفعتهم إلى التركيز على النشاط العلمي والفكري، وانكبوا على التدريس والتأليف في مختلف المجالات.

– أن العلماء الجزائريين كان لهم مشاركة في الحياة السياسية بآرائهم الفكرية ومواقفهم العلمية تجاه مختلف القضايا التي شهدها المغرب، وكانت مواقفهم تدل على النضج الفكري والعلمي الكبير، وكانوا حريصين على وحدة البلاد والقضاء على مختلف الإضرابات.

الخاتمة

تميزت العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة ما بين القرنين 16و19م/10و13هـ بحركية ونشاط كبيرين أملته مختلف الظروف التي كانت سائدة خلال تلك الفترة ، سواء السياسية منها أو الثقافية والعلمية، وهو ما ساهم في ترسيخ مفهوم التواصل الثقافي بمدلوله الواسع، والذي تم تجسيده من طرف العلماء والمثقفين من كلا البلدين.

ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى بعض الاستنتاجات حول الحركة الثقافية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى، وحركة العلماء الجزائريين ونشاطهم المختلفة في المغرب الأقصى، وإسهاماتهم في الحركة الفكرية بالمغرب، نجملها فيما يلي:

– أن التطورات السياسية التي طرأت على البلدين منذ مطلع القرن 10هـ/16م كان لها الأثر البارز في تغيير مسار العلاقات بين القطرين، وعلى الحياة الثقافية خاصة في الجزائر.

– أن الحكام العثمانيين في الجزائر لم يكونوا هم السبب الرئيسي في تراجع النشاط الثقافي في الجزائر، لأنهم لم يكونوا منذ البداية حاملين لمشروع ثقافي أكثر مما كانوا يؤسسون لمشروع سياسي حسب ما تقتضيه الظروف السائدة في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال تلك الفترة.

– أن علماء الجزائر والمغرب الأقصى لم يكونوا يعترفون بفكرة الحدود والقطرية المزعومة، وشكلوا حلقة وصل بين مجتمعي البلدين غير آبهين بمختلف الصراعات السياسية التي تسيطر على علاقات البلدين ، وذلك للارتباط الديني والعرقي والاجتماعي الذي ميز سكانها.

– أن التطورات والتغيرات السياسية والثقافية والاجتماعية في الجزائر فرضت على العلماء خلال الفترة الحديثة الهجرة إلى مدن المغرب الأقصى للبحث عن الأمن والاستقرار، والابتعاد عن الضغوطات السياسية و إيجاد جو ملائم لممارسة نشاطهم الفكري والعلمي.

– أن الروابط الثقافية التي ربطت البلدين لم تكن بحاجة إلى دعم سياسي أو إلى بعثات رسمية من قبل السلطة الحاكمة لكل من الجزائر والمغرب الأقصى، وإنما تميزت بالعفوية والتلقائية، وساهمت في ترسيخ التواصل الثقافي بين البلدين.

– أن افتقار الجزائر لمركز علمي كبير مثل القيروان والقرويين لم يكن السبب الأساسي في هجرة العلماء الجزائريين نحو المغرب الأقصى، بل كانت الحواضر الجزائرية ومؤسساتها العلمية تشهد توافد العديد من العلماء وطلبة العلم عليها من مختلف المناطق للأخذ من علمائها.

– أن الأسباب السياسية لم تكن هي السبب الرئيسي لهجرة علماء الجزائر نحو المغرب الأقصى، بل كما يبدوا أن الأسباب الثقافية والعلمية هي التي دفعت بعلماء الجزائر إلى الهجرة لطلب العلم والاستفادة من مختلف النشاطات العلمية في المغرب الأقصى، خاصة في جامع القرويين.

– أن حكام المغرب الأقصى كان لهم دور بارز في استقطاب العلماء من خلال تبنيهم لسياسة ثقافية وعلمية تهتم بالعلم والعلماء، وعكفوا على إنشاء المراكز الثقافية وبناء المؤسسات العلمية في مختلف المناطق لتساهم في نشر العلم في مختلف أجزاء المغرب الأقصى، لكونهم رجال علم وأدب، واعتمدوا على سياسة إغراء العلماء وتقريبهم وتقليدهم مناصب هامة ، حتى يتسنى لهم الاستفادة منهم ثقافيا وعلميا وحتى سياسيا، في ظل الصراع السياسي المتواصل بين حكام البلدين. في حين كان حكام الجزائر العثمانية في أغلبهم قادة سياسيين وعسكريين، يهتمون بالجوانب الإدارية والعسكرية أكثر من اهتمامهم بالجوانب الثقافية والعلمية.

– أن ظاهرة هجرة علماء الجزائر نحو المغرب الأقصى كانت لها آثارها على كلا البلدين، فتدهور الحياة الثقافية في الجزائر نتج عن عدم اهتمام السلطة العثمانية الحاكمة بها، و تعرضت العديد من مدنها للاحتلال الاسباني، مما دفع بالعلماء إلى الهجرة ابتعادا عن الأوضاع الحرجة التي شهدتها الجزائر خاصة في القرن 16م/10هـ.

– أن هجرة علماء الجزائر تركت فراغا كبيرا في المدن والحواضر الجزائرية، وحرموا الجزائريين من الاستفادة منهم ومن علومهم ومعارفهم، وفي مقابل ذلك استفاد المغرب الأقصى من تواجدهم في المنطقة وذلك بفضل مساهمتهم الكبيرة في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية بالمغرب الأقصى وفي مختلف مجالاتها، بفضل توفر الظروف المساعدة على ذلك.

– أن للعلماء الجزائريين دور كبير في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى ، إذ لم يقتصر تواجدهم في المنطقة على الاستفادة من علمائها فقط، وإنما ساهموا بشكل فعال في إثراء الوسط الثقافي المغربي برصيد هام من الإنتاج العلمي والفكري، والذي شمل مجالات مختلفة ، خاصة في مجال العلوم الدينية.

– أن المجتمع المغربي استفاد من علماء الجزائر بعلومهم وأفكارهم المختلفة، خاصة وأن أغلبهم تولوا مهمة التدريس سواء في جامع القرويين، أو في غيره من المؤسسات العلمية ، حيث حضر مجالسهم العديد من العلماء في المغرب على غرار أحمد المنجور ومحمد الهبطي و التمنارتي وغيرهم، وتخرج على يديهم العديد من العلماء والفقهاء ممن كان لهم الفضل في ترقية الحركة الفكرية والعلمية بالمغرب الأقصى.

– أن العلماء الجزائريين تولوا مناصب هامة في المراكز الثقافية بالمغرب الأقصى إلى جانب التدريس والقضاء والإفتاء ، بالرغم من توفر أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء المغاربة ، وهو ما يبن قيمتهم العلمية الكبيرة، حيث نافسوا العلماء والفقهاء في المغرب الأقصى على تولي المناصب الهامة، لأنه لا يمكن لأي تولي مثل هذه المناصب إلا إذا كان من كبار العلماء والفقهاء.

– أن شهرة علماء الجزائر في المغرب الأقصى فاقت شهرة علماء المغرب أنفسَهم، أمثال أحمد العبادي وعبد الواحد الونشريسي وأحمد المقري التلمساني وغيرهم، وذلك بفضل علمهم وفقههم وجمعهم بين العديد من فنون العلم و الأدب .

– أن المكانة الهامة التي حظي بها علماء الجزائر في المغرب دفعتهم إلى التركيز على النشاط العلمي والفكري، وانكبوا على التدريس والتأليف في مختلف المجالات، وساهموا في إثراء المكتبات والخزانات العلمية في المغرب بإنتاج علمي وأدبي وفير، وهو ما أكسبهم مكانة هامة لدى العام والخاص في مختلف المدن المغربية التي استقروا بها.

– أن العلماء الجزائريين في المغرب الأقصى خلفوا وراءهم تراثا فكريا كبيرا، سواء كان ماديا أو معنويا.

– أن علماء التصوف الجزائريين الذين قصدوا المغرب الأقصى خلفوا وراءهم فكرا صوفيا واسعا، على غرار ما خلفه ابن يوسف المليانى وأحمد التجاني، حيث أصبحت أفكارهما الصوفية ومبادئهما راسخة في مدن المغرب الأقصى من خلال ظهور ما يعرف الطريقة اليوسفية والطريقة التجانية التي لقيت رواجا واسعا في مختلف ربوع المغرب الأقصى.

- أن العلماء الجزائريين كان لهم مشاركة في الحياة السياسية بآرائهم الفكرية ومواقفهم العلمية تجاه مختلف القضايا التي شهدها المغرب، وكانت مواقفهم تدل على النضج الفكري والعلمي الكبير، خاصة فيما يتعلق بعلاقتهم بالسلطة الحاكمة، إذ كانوا حريصين على وحدة البلاد والقضاء على مختلف الفتن والاضطرابات التي شهدها المغرب الأقصى خلال تلك الفترة.

- أن علماء الجزائر في المغرب الأقصى يعتبرون جزءا من الحركة العلمية والفكرية في المغرب الأقصى ، بالرغم من الغموض الذي يلف جانبا كبيرا من حياة العديد من العلماء الجزائريين المتواجدين بالمغرب ، نظرا لقلة الدراسات التي تُعنى بهم ، والصعوبة الكبيرة في العثور على الوثائق الأرشيفية التي من خلالها يمكن إماطة هذا الغموض والكشف عن الدور الفعال لعلماء الجزائر في الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى، لأن ما أخبرتنا به كتب التراجم يدل على الدور الكبير لهؤلاء العلماء في النشاط الثقافي والفكري بالمنطقة، بالرغم من أنها لا تمدنا إلا بالنزر اليسير من حياة أولئك العلماء ونشاطهم.

وفي الأخير يمكن القول أن هذا العمل في حاجة إلى مزيد من البحث والتقصي، ويبقى المجال مفتوحا أمام الدراسات التاريخية لتكشف لنا عن الحقيقة التاريخية المهملة تجاه هذه الفئة من العلماء الجزائريين التي غفل عنها الباحثون والدارسون، شأنها شأن فئة الأندلسيين التي سخرت لها دراسات متعددة درست مختلف الجوانب الخاصة بها وبتواجدها في المغرب الأقصى، وفي انتظار الكشف عن وثائق جديدة تفتح المجال لنا لتوضيح الصورة أكثر، ولتقريب وجهات النظر بين الباحثين سواء في الجزائر أو في المغرب الأقصى.

الملاحق

الملحق رقم : 01.

خريطة تبين أهم الحواضر الثقافية في الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة

الملحق رقم: 02.

رسالة من السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام موجهة إلى عامله في تطوان محمد أشعاش، للاهتمام بالجزائريين الوافدين على تطوان.

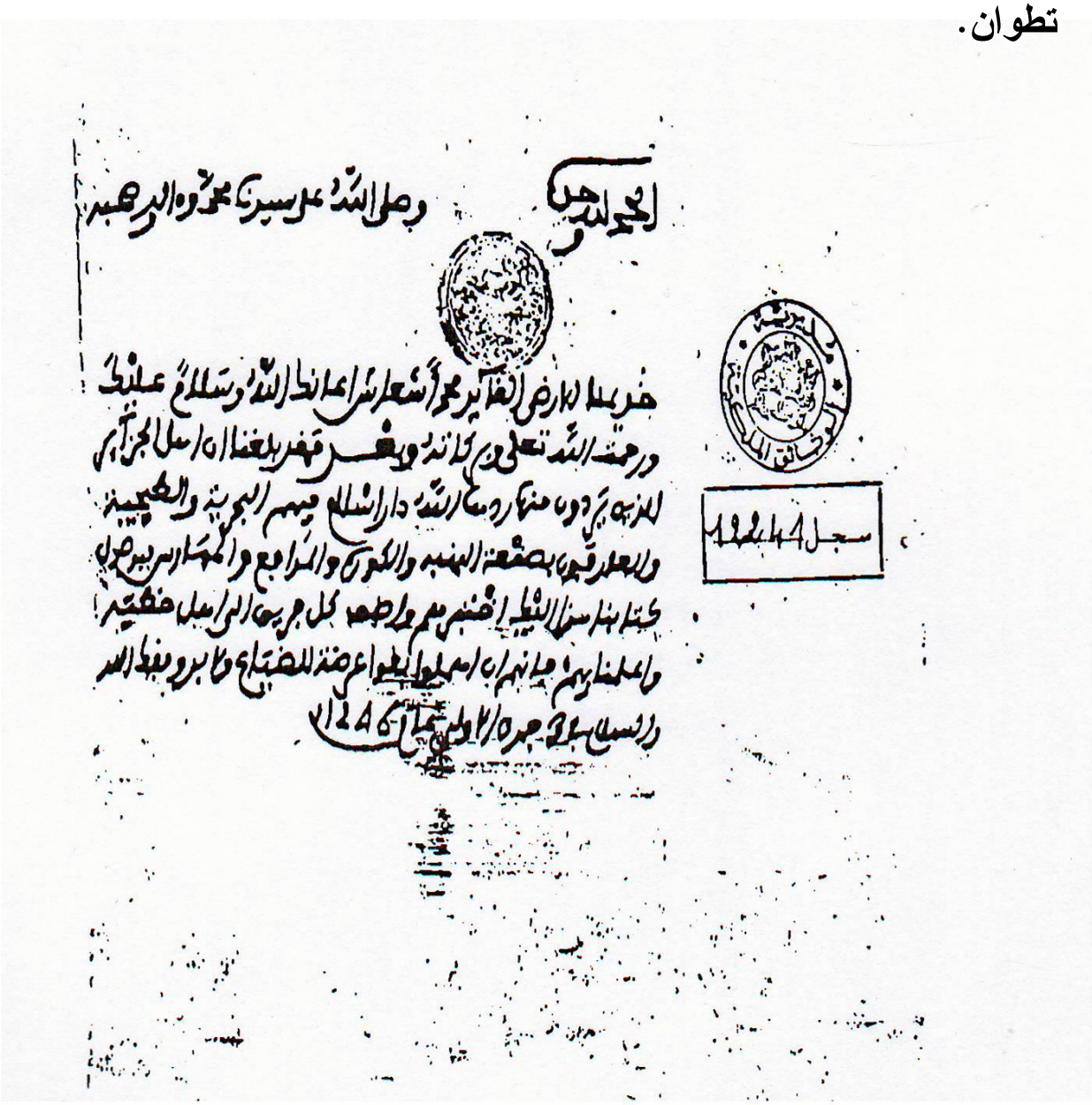

نقلا عن:

إدريس بوهليلة: المصدر السابق، ص 118-119.

مضمون الرسالة:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا للأرض محمد أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد بلغنا ا ناهل الجزائر الذين يردون عنها ردها الله دار إسلام، فمنهم البحرية والطبجية والعارفون بصنعة البنب والكورة والمدافع والمهارس، فبوصول كتابنا إليك تختبرهم وأضف كل فريق إلى أصل خطته وأعلمنا بهم، فإنهم إن أهملوا بقوا عرضة للضياع ولابد.

وفقك الله والسلام.

في 3 جمادي الاولى 1246م.

الملحق رقم: 03.

أهم علماء الجزائر في المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م.

وهم مرتبون حسب تاريخ وفاتهم.

اسم العالم	تاريخ الوفاة
أحمد بن يحي الونشريسي	914هـ /1504م
أحمد الوهراني	920هـ/1514م
محمد بن محمد التلمساني	920هـ/1514م
أحمد بن يوسف الملياني	927هـ/1521م
أحمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي	929هـ/1522م
محمد شقرون بن هبة الله التلمساني	929هـ/1522م
موسى بن سعيد الزواوي	931هـ/1524م
أبو الحسن المطغري	951هـ/1545م
ابن جيدة الوهراني	951هـ/1545م
عبد الواحد الونشريسي	955هـ/1549م
أحمد بن محمد العقباني	980هـ/1571م
أحمد بن محمد العبادي التلمساني	980هـ/1572م
علي بن عيسى التلمساني	980هـ/1572م
محمد بن جلال التلمساني	981هـ1573م
أحمد بن محمد التلمساني	984هـ/1577م
ابن سلطان القسنطيني	995هـ/1586م
يحي الزواوي	999هـ/1590م
أبو الطيب البسكري	ق10هـ/16م

الملحق رقم: 04.

أهم علماء الجزائر في المغرب الأقصى خلال القرن 11-12هـ/ 17-18م.

وهم مرتبون حسب تاريخ وفاتهم.

اسم العالم	تاريخ الوفاة
محمد المري التلمساني	1609م/1018هـ
ابن عبد الرحمن بن الوقاد	1647م/1057هـ
محمد بن عبد الكريم الجزائري	1691م/1102هـ
عمر المانجلاتي	1693م/1104هـ
أحمد المقري	1631م/1041هـ
ابن حمادوش الجزائري	ق17م/11هـ
عيسى البطيوي	ق17م/11هـ
ابن الكماد	1704م/1116هـ
أحمد بن عثمان التلمساني	1738م/1151هـ
عبد الرحمن بن إدريس التلمساني	1783م/1179هـ

الملحق رقم : 05.

أهم علماء الجزائر في المغرب الأقصى خلال القرن 13هـ/ 19م.

وهم مرتبون حسب تاريخ وفاتهم.

اسم العالم	تاريخ الوفاة
أحمد التيجاني	1815م/1230هـ
عبد القادر بن محمد الراشدي	1855م/
الطيب بن المختار الراشدي	1868م/1285هـ
محمد بن أحمد الجزائري	1893م/1310هـ
أبو حامد العربي المشرفي	1895م/1313هـ
أحمد بن عبد القادر الإغريسي	ق 19م/13هـ
أحمد بن عثمان الجزائري	ق 19م/13هـ
أحمد بوعزيز الجزائري	ق 19م/13هـ
عبد الرحمن المجاجي	ق 19م/13هـ
عبد القادر المجاوي	ق 19 م/13هـ
علي بن محمد الجزائري	ق 19م/13هـ
قدور الضرير الجزائري	ق19م/13هـ
محمد بن عبد القادر الإغريسي	ق 13/19هـ
محمد المشرفي	ق 19م/13هـ

الملحق رقم: 06.

نص إجازة أحمد الورزازي لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري:

"الحمد لله وحده ، وصلى الله سيدنا محمد وآله، يقول الفقير إلى الله سبحانه وتعالى أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي دارا ومنشأ، الديلمي الحميري نسبا ، لطف الله به وبأهله وسلافه وأته عليهم نعمته بدخول جنته ورضاه بمحمد صلى الله عليه وسلم، أن الشريف الفاضل العلامة سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش الجزائري دارا ومنشأ ، رغب أن يسمع مني ما سهل الله سبحانه من الحديث مما سمعته عن أشياخي ر حمنا الله وإياهم ، فأسعفته في رغبته فأسمعته بعض موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه، من رواية يحي بن يحي اليثي وأجزته سائره وأسمعته صحيح مسلم بن الحجاج القشيري وأجزته سائره ، ورغبني أيضا أن أجيزه في كل ما صحت لي روايته من مسموع ومجاز ، فأجزته أن يروي عني الكتب الستة ، أعني البخاري ومسلما وأبا داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، وهذه سمعتها كلها من شيوخنا، رحمنا الله وإياهم، وكذا أجزته بكل ما صحت لي رواته من جملة ما في فهرست الإمام ابن غازي المكناسي ثم الفاسي ، وكذا في فهرسة الشيخ محمد بن سليمان السوسي ثم المكي ، وما في فهرسة الشيخ إبراهيم الكردي ثم المدني ، وغير ذلك مما صح لي ولم أتتبعه بالتنصيص مخافة السآمة.

وأطلب من الشريف المجاز أن يجعل لي شفاعته يوم القيامة حسب ما ذكر بعض العلماء، وأن لكل واحد من الأشراف شفاعة خاصة ، فأطلب منه فضلا لا عوضا عن ما كتبت ، أن يجعلها ، إذا حققها الله له، لي ولأهلي حتى نجوز الصراط بفضل الله سبحانه، وأوصيه بصدق اللسان غاية، وأن لا يخاف في الله لومة لائم ، وأن يرفع كل ما ينزع به من هم ، صرفه الله عنه، فيرفعه إلى الله سبحانه وتعالى قبل أن يستعمل شيئا من الأسباب في رفعه ، حقق الله لي ولأهلي وللشريف وأهله ذلك دائما بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتب أحمد المذكور ، ضحى يوم الخميس سابع عسر المحرم عام 1156 بمدينة تطوان ، أمنها الله حرسها بمنه آمين. "

المصدر:

-**ابن حمادوش:** : المصدر السابق، ص ، 37-38.

الملحق رقم :07.

نص إجازة عمر المانجلاتي لابن زاكور الفاسي:

"الحمد لله وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، ورضي الله تعالى عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين، وعن العلماء العاملين ، ونفعنا الله بالكل آمين وبعد:

فقد اجتمعت بالشاب الأديب الأريب الحاذق اللبيب ، السيد محمد بن قاسم بن زاكور ، مفتتح عام أربعة وتسعين وألف ، وقرأ علي " جمع الجوامع" للإمام السبكي من حفظه ، مع جماعة من الطلبة ، فمكثنا في قراءته من أوله إلى آخره نحو أربعة أشهر، فرأيت من حرصه واعتنائه واشتغاله بما يعنيه ما أعجبني، وفيه قابلية لما يلقى إليه، مع ذهن ثاقب وفهم صائب ، ومشاركة في فنون من العلوم وكانت قراءتنا لجمع الجوامع باختصار شراحه كالمحلي ، وكنا نقرأ كثيرا منه باللفظ ، وولي الدين العراقي ، والكوراني ، وحواشي مع بعض شراح مختصر ابن الحاجب ، فشغف بذلك لحرصه على العلوم وطلب مني أن أجيزه فامتنعت ، لأني في نفسي لست من أهل هذا الشأن ، ولا من فرسان ذلك الميدان ، فألح علي المرة بعد المرة، لظنه الجميل أني منم هذا القبيل ، فأسعفت طلبته حرصا على جبر خاطره ، خشية من كسر قلبه لأن كسر القلوب في كسر القلوب ، وجبرها في جبرها ، فأجزته أن يروي عني ما رويته عن أشياخي من الفنون التي أسردها بشرطه المعتبر ، عند أهل النظر ، وكنت قرأت على مشايخ جلة أعلام ، ومن أجلهم عندي سيدي ومولاي الذي لازمته أربع عشرة سنة نهارا وليلا في غالب الأوقات أبو الحسن سيدي علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري قدس الله روحه في دار النعيم مع جماعة من الطلبة الأخيار والنجباء الأبرار ، أخذت عنه فن الأصول والبيان والمنطق ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسير والتصوف.

وكُتب عن عجل والقلب في وجل ، صبيحة يوم الأربعاء المكمل عشرين من شهر جمادي الأخرى من عام أربعة وتسعين من الألف ، عبد الله وأصغر عبيده عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الجزائري الدار والمنشأ المانجلاتي نسبا أصلحه الله ، وكان له ولذريته وليا ونصيرا، آمين، آمين ، آمين ، والحمد لله رب العالمين."

المصدر:

ابن زاكور : المصدر السابق، ص 45-49.

الملحق رقم: 08.

نص إجازة محمد شقرون بن هبة الله لابن عسكر.

"الحمد لله ، أجزت الفقيه الوجيه المحترم النزيه الحسيب الأصيل ذا الأصل الصميم ، والنسب الفاضل العميم ، العلم الحجة القاضي الأعدل أبو عبد الله محمد بن سيدي علي عسكر جميع مروياتي وكل مسموعاتي عن أشياخي تغمدهم الله برحمته وأسكنهم فسيح جنته ، فليرو عني ما رويت ، وليحدث بما سمعت ، على شرط الإجازة ووصفها، إجازة صحيحة ثابتة كما يجب ولله الموفق".

كتبه أصغر عبيد الله ، محمد شقرون بن هبة الله بن إبراهيم لطف الله به

المصدر :

ابن عسكر: المصدر السابق، ص 117.

الملحق رقم : 09.

نص إجازة أحمد العبادي لابن عسكر.

"... أجازني والدي رحمه الله الحاجبين عن شيخه سيدي محمد بن عيسى البطيوي وعن علامة الوقت سيدي أحمد بن زكري ، عن العالم سيدي محمد بن العباس العبادي عن مولانا الجد أي أبي أم سيدي محمد بن مرزوق شارح البردة رحمهم الله ، عن شيخه الإمام ابن عرفة عن الإمام القرافي ، عن الإمام ابن الحاجب نفع الله بهم ، قيدت هذه الإجازة هنا مع سلسلة هذا الشيخ لأن أمره لي لازم متحتم وطاعته فرض لا تكتم، وهو سيدنا الإمام القاضي العلامة نجل السادات الكرام ، وأظرفة الوقت بالتمام ، ولدنا الأبر سيدي محمد بن عسكر ، وصل الله له الخيرات وحفظنا وإياه من جميع الآفات ، ونقبل راحته طالبا من مقامه صالح الدعوات، عسى تفرج الكربات ، يا رب العالمين يا عالم الخفيات ، والسلام الكريم على مقامه الكفيل بالمسرات ، من عبد الله الفقير إلى رحمة الله أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العباسي جبر الله صدعه وجمع شمله بكل التفريقات ، ولطف به فيما هو آت."

المصدر :

ابن عسكر : المصدر السابق، ص 118-119.

الملحق رقم: 10.

نص إجازة أحمد التجاني لـــ: علي حرازم بن العربي برادة المغربي:

يسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ.الحمد لله عز جلاله وعز كماله وتقدست صفاته وأسماؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه. وأصلي وأسلم على أشرف مخلوقاته سيدنا محمد وآله وبعد: فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الغني المجيد أحمد بن محمد التجاني عامله الله بفضله وكرمه في الدارين.

أجزت وأذنت لحبيبنا وصفينا ومحل ودنا أنسنا، ومن له المحبة الكاملة الذاتية السارية من سويداء قلوبنا وسرنا كاتب الحروف على حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي دارا ومنشأ وقرارا إجازة عامة مطلقة خالدة تالدة قلبا وقالبا وحالا ودواما وانصباغا لما لدينا من العلوم الظاهرة والباطنة والأسرار والفيوضات والتجليات والترقيات والفتوحات والأنوار، وفي مدارج المقامات والإرادات والأحوال والأطوار، وفي جميع ما أخذناه عن النبي صلى الله عليه وسلم تلقيا منه ومشافهة من العلوم الظاهرة والباطنة والأسرار، والخواص والأحوال والأذكار وفي الورد المعلوم الذي هو من ترتيب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وإملائه الشريف، وقدره المنيف في الطريقة المحمدية وبما اشتملت عليه من الأسرار والأنوار الأحمدية، وفي جميع الطرق والأذكار والصلوات والأسماء والآيات والسور، وجميع الأسماء والمسميات، والاسم الأعظم الكبير الذي هو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي جميع تراكيبه وأسراره وعلومه وفيوضاته وأنواره وجميع تصرفاته عموما وخصوصا تقيدا وإطلاقا إجازة وإذنا عاما تاما شاملا لأنواع التصرفات بأسرها والدعوات بأنواعها وأسرارها وعلومها وتصرفاتها أبدا سرمدا تالدا إلى يوم الدين. وقد أقمناه مقامنا بدلا عن أنفسنا وعن روحنا ومقام قدسنا، فهو القائم عنا في حضرتنا وفي غيبتنا وفي حياتنا وبعد مماتنا فمن أخذ عنه فكأنما أخذ عنا مشافهة سواء بسواء لا فرق، ومن عظمه فقد عظمنا ومن احترمه فقد احترمنا ومن أطاعه فقد أطاعنا ومن أطاعنا فقد

أطاع الله ورسوله، ومن خالفه فقد خالفنا ومن خالفنا فقد خالف الله ورسوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر الاستطاعة.

وقد اجزنا وأذنا له في جميع ما لنا مقروء ومسموع ومجموع، وإجازة ورحلة، ومشيخة وإفادة، ومروي من حديث وغيره، وقد أذنا له أن يأذن للغير ويلقن جميع ما أخذه عنا من العلوم الظاهرة والباطنة والطرق والأذكار والخواص والأسرار، والترقي في مدارج الأنوار، في جميع ما أمليناه عليه من حفظانا ولفظنا، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة ويلقن أورادنا ويعطي طريقتنا بما لها، ويلقن جميع ما سمعه منا أو رواه عنا أو أمليناه عليه بشرطه المعروف المذكور المقرر في محله.

هذا الإذن منا عام له في حياتي وبعد مماتي.

وأذنت له وأجزت له أن يقدم للغير في إعطاء وردنا المعلوم، بالشرط المذكور المحترم مدة حياته وبعد وفاته، فله الإذن منا لإعطاء طريقتنا ووردنا من الآن وإلى الأبد، يأذن لم رآه أهلا لذلك، ويأذن له أن يأذن للغير، وهكذا أبدا سرمدا في مشارق الأرض ومغاربها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فله الإذن الخاص عموما وخصوصا تقيدا وإطلاقا قلبا وقالبا وحالا ومقاما وانصباغا خالدا تالدا إلى يوم الدين.

وقد سامحته وتجاوزت عنه في جميع ما أكل وأخذ مكن متاعي، بعلمه أو بغير علمه، ظاهرا وباطنا، وفي جميع مخالفته لنا ظاهرا وباطنا وفي جميع الأحوال الظاهرة والباطنة المتقدمة والمتأخرة، مسامحة تامة عامة خالدة تالدة قلبا وقالبا وحالا ومآلا إلى الخلود الأبدي وله منا الرضا التام الأكبر العام رض&ى لا سخط بعده أبدا، بطريق المحبوبية من الله ورسوله وعاملته معاملة المحبوبين الخلفاء الأوداء أبدا سرمدا إلى الخلود الأبدي.

وقد جعلناه الخليفة عنا وأقمناه مقامنا في العلوم والأحوال والدرجات والترقيات وان يكون احد الآمنين والسلام.

وكتب الخديم الجاني خديم حضرة التجاني القطب الرباني والفرد الصدار مولانا أحمد بن محمد التجاني الحسني علي حرازم بن العربي برادة كان الله له وليا وبه حفيا بتاريخ 8 ذي الحجة 1214هـ والسلام.

المصدر:

- **السكيرج:** المصدر السابق، ص 24-25.

الملحق رقم : 11.

نماذج من الإنتاج الفكري لبعض علماء الجزائر في المغرب الأقصى

المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد بن يحي الونشريسي.

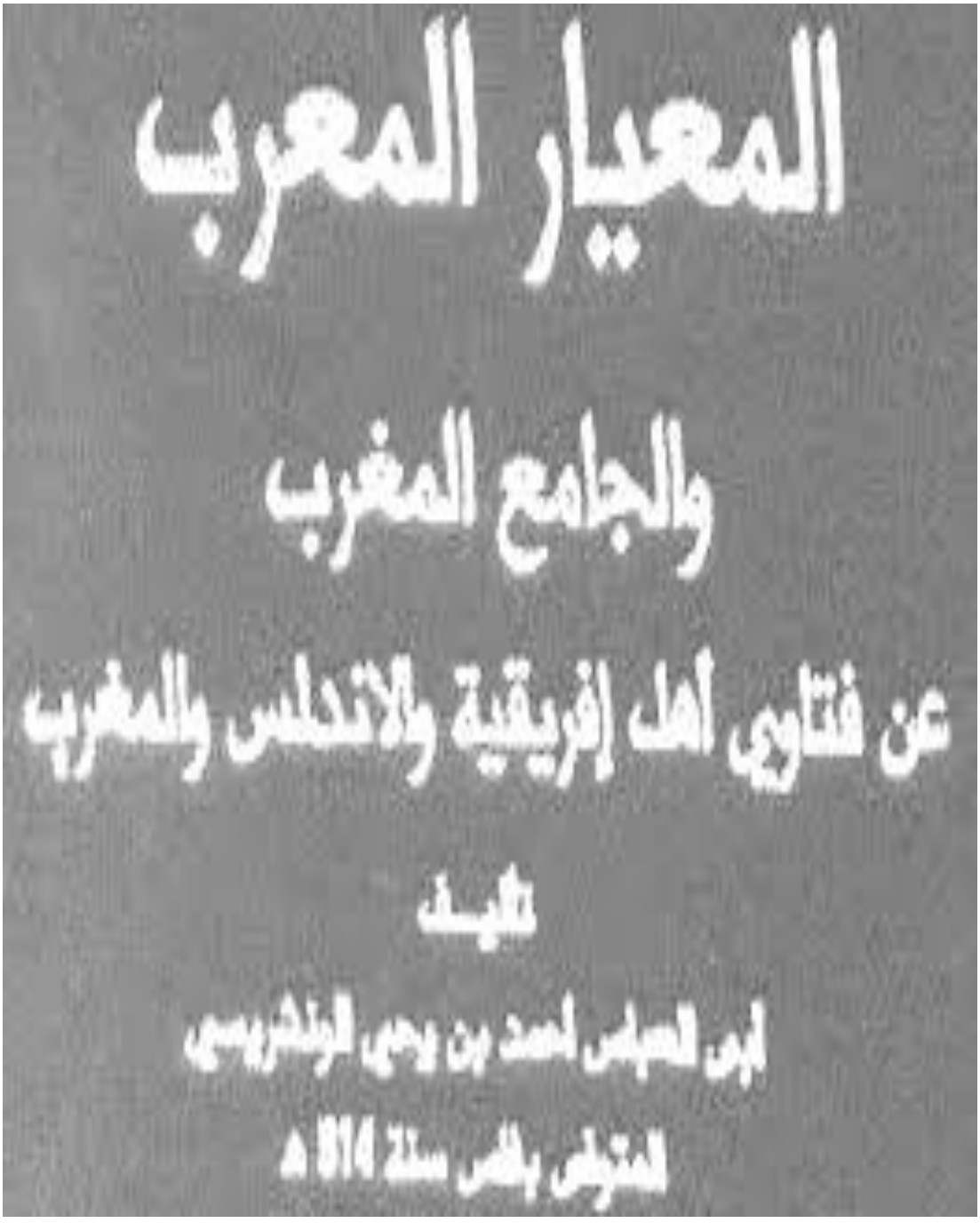

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، لمؤلفه :
أحمد المقري التلمساني

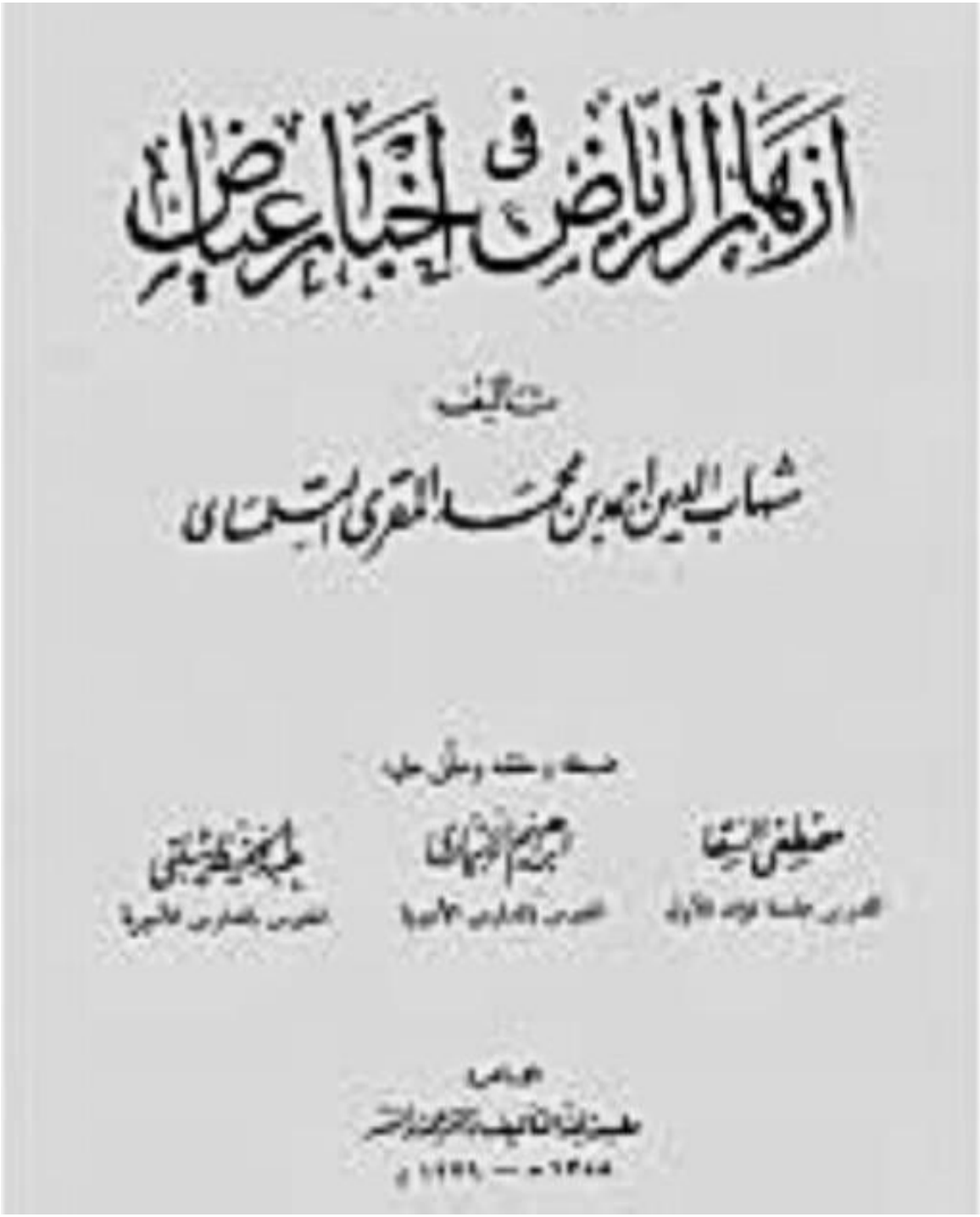
أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني

روضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس لمؤلفه: احمد المقري التلمساني.

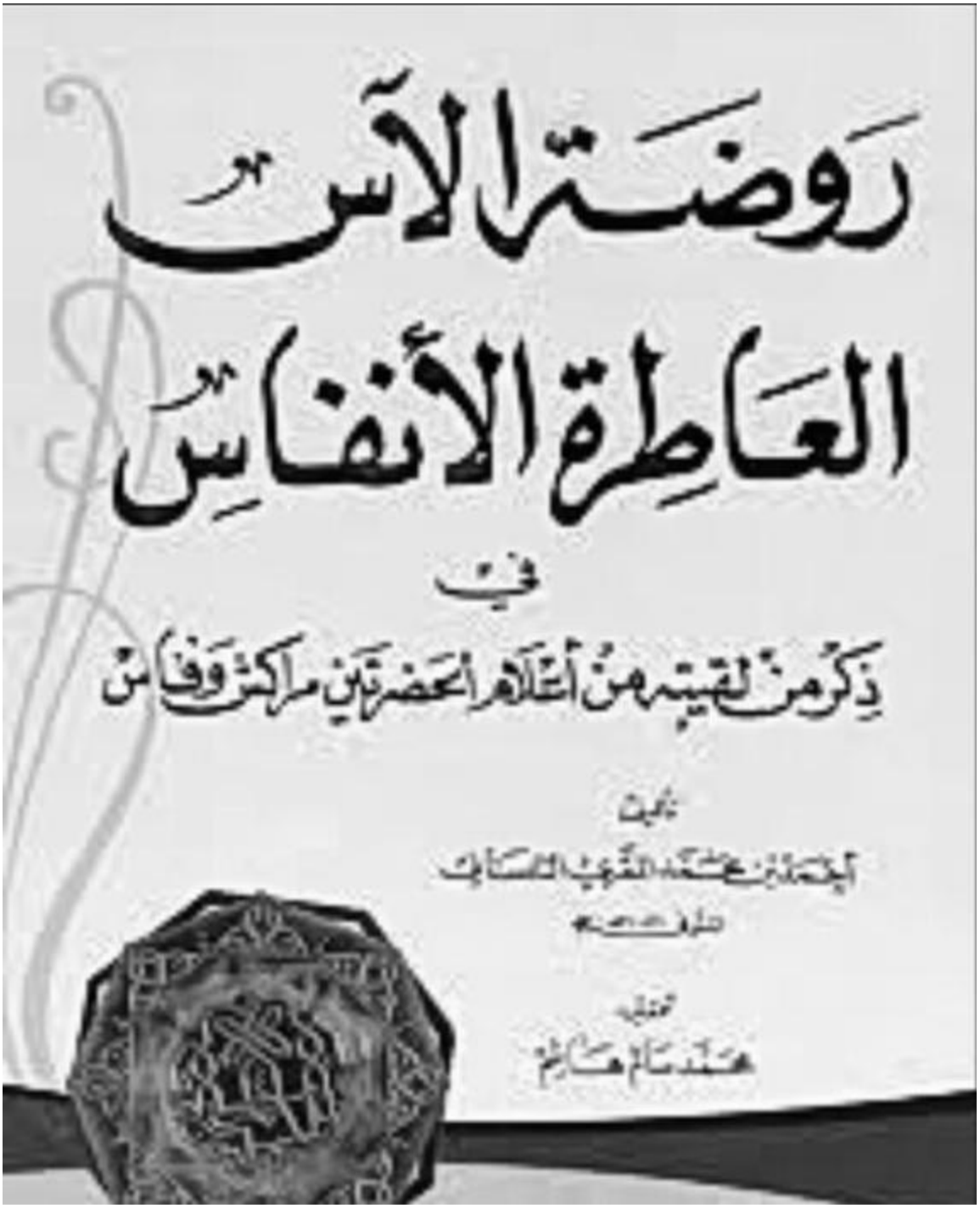

رحلة ابن حمادوش الجزائري، المسمات لسان المقال في النبإ عن الحسب والنسب والحال.

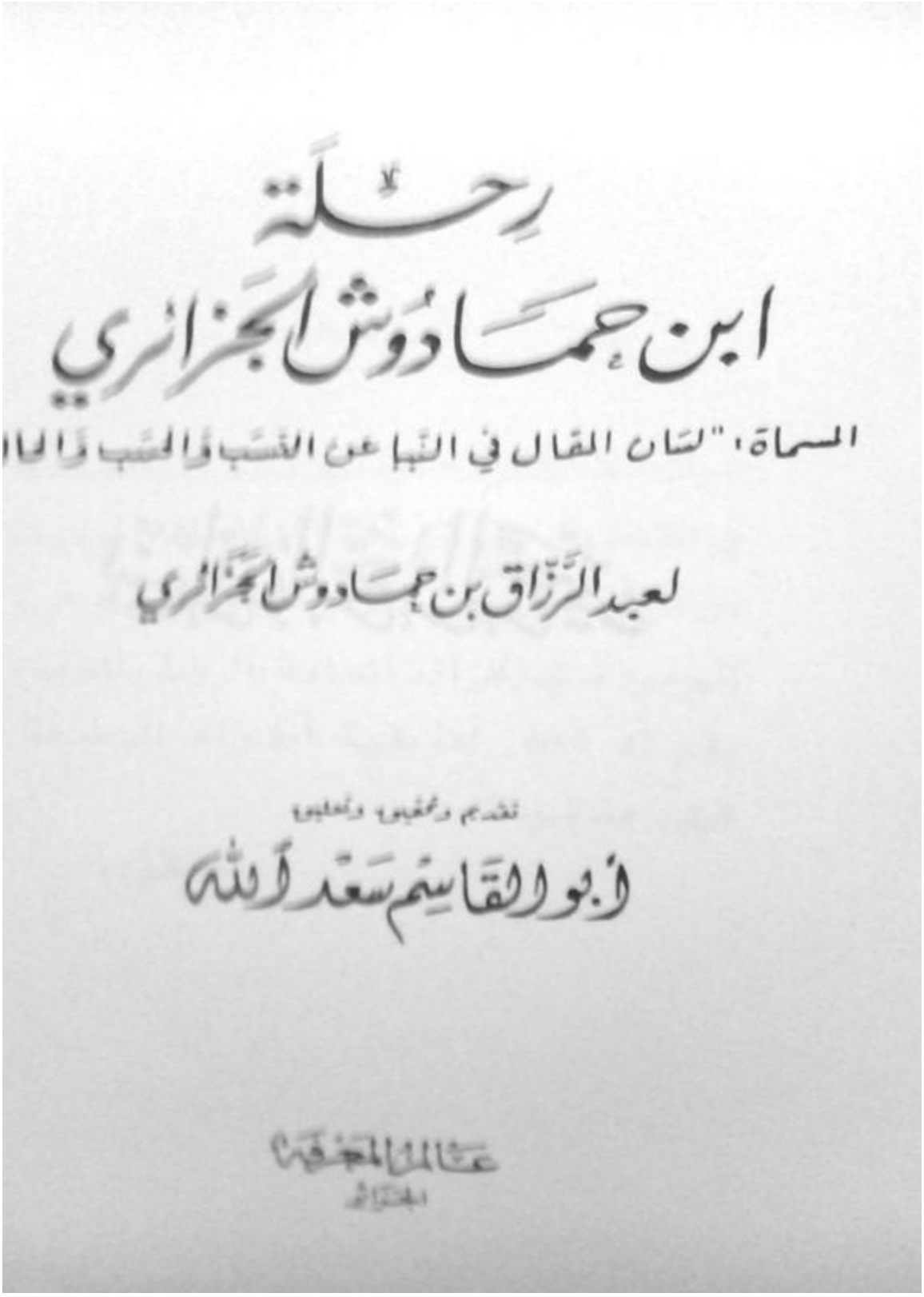
رحلة
ابن حمادوش الجزائري
المسماة: "لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال"
لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري
تقديم وتحقيق وتعليق
أبو القاسم سعد الله
عالم المعرفة
الجزائر

الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وبعض مفاخرها غبر المتناهية لمؤلفه:
محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا: أ- المصادر العربية والمعربة:

- ابن الأحمر (إسماعيل بن يوسف)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم تحقيق وتعليق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

- ابن حمادوش (عبد الرزاق)، **لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال**، تقديم وتحقيق : أبو القاسم سعد الله، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر ، 2007.

- ابن خلدون (عبد الرحمن)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.

- ابن زاكور(محمد بن قاسم)، **نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، تحقيق: مصطفى ضيف و محفوظ بوكراع، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

- ابن زيدان (عبد الرحمن)، المنزع **اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**، تقديم وتحقيق: عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، المغرب، 1993.

- ابن سحنون (أحمد بن محمد بن على الراشدي)، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم: المهدي بوعبدلي، دار المعرفة الدولية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- ابن عبد القادر الجزائري (محمد باشا): **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تعليق: ممدوح حقي، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007.

- ابن عسكر (محمد الحسني)، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**:، تحقيق: محمد حجي، ط2، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.

- ابن العنتري (محمد الصالح)، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة وتقديم: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، دت.

- ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد)، **الديباج المهذب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

- ابن القاضي (أحمد بن محمد المكناسي)، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة و المكتبة العتيقة، تونس، د ت.

- ابن القاضي (أحمد بن محمد المكناسي)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

- ابن مريم(محمد بن محمد بن أحمد)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، مراجعة، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

- ابن المفتي (حسين بن رجب شاوش)، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمع وتقديم: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009.

- ابن ميمون (محمد)، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- التمقروتي (علي بن محمد)، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشادلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002.

- التمنارتي (عبد الرحمن)، **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تحقيق: اليزيد الراضي، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

- التنبكتي (أحمد بابا)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989.

- التنسي (محمد بن عبد الله)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**–، تحقيق وتعليق، محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

- الدرعي (أحمد بن محمد)، **رحلة الدرعي**، مخطوط مصور، خزانة المذهب المالكي– مكتبة شاملة لمؤلفات ومصنفات السادة المالكية في مختلف العلوم الإسلامية.

- الرهوني (أحمد)، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، تحقيق: جعفر ابن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2007.

- خوجة (حمدان بن عثمان)، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق : العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ، 2006.

- الزهار (أحمد الشريف)، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**، تقديم وتحقيق: أحمد توفيق المدني، دار البصائر، الجزائر ، 2009.

- الزياني (أبو القاسم)، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، دار المعرفة، الرباط، 1991 .

- الزياني (محمد بن يوسف)، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق وتقديم : المهدي بوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، د ت.

- الضعيف (محمد)، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعدية)**، تحقيق وتعليق: أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986.

- العياشي (عبد الله بن محمد)، **الرحلة العياشية– 1661–1663**–، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي، و سليمان القرشي، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، 2006.

- الفشتالي (عبد العزيز)، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، د ت،

- الفكون (عبد الكريم)، **منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1987.

- القادري (محمد بن الطيب)، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، مخطوط مصور، خزانة المذهب المالكي- مكتبة شاملة لمؤلفات ومصنفات السادة المالكية في مختلف العلوم الإسلامية.

- القلصادي (أبي الحسن علي الأندلسي)، **رحلة القلصادي**، دراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

-الكتاني (محمد بن جعفر بن إدريس)، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: حمزة بن علي الكتاني، د ط، د م، د ت.

- كربخال (مارمول)، **إفريقيا**، ترجمة : محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1988-1989 .

- مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

- المزاري 'ابن عودة)، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2007.

- المشرفي (محمد)، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها غير المتناهية**، تحقيق: إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2005.

- المقري (أحمد بن محمد)، **رسائل المقري**، دراسة وتحقيق: أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي، الجزائر ، 2008.

- المقري (أحمد بن محمد)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 1988.

- المقري (أحمد بن محمد)، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.
- المقري (أحمد بن محمد)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق وتعليق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942.
- المنجور (أحمد)، **فهرس أحمد المنجور**، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والطباعة والنشر، الرباط، 1976.
- الناصري (أحمد بن خالد)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
- الناصري (محمد أبو راس)، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011.
- الناصري (محمد أبو راس)، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق : محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت.
- الوزان (الحسن بن محمد الفاسي)، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- الوفراني (محمد الصغير بن عبد الله المراكشي)، **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1995.
- الوفراني(محمد الصغير بن عبد الله المراكشي)، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث المغربي، المغرب، 2004.
- الوفراني (محمد الصغير بن عبد الله المراكشي)، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تصحيح: هورداس، باريس، 1888.

- الونشريسي (أحمد بن يحي)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، إشراف: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، المغرب، 1981.

- الونشريسي (أحمد بن يحي)، **كتاب وفيات الونشريسي**، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د م، د ت.

ب- باللغة الأجنبية:

- Haedo , Topographie et histoire générale d'Alger traduction A : erbrugger et Monnereau ,imprimé à Valladolid , 1612 .
- Tachrifat « Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger » , pub par A. Devoulx , Alger ,1852.
- VENTURE DE PARADIS , Alger au 18éme siècle , Fagnan , Alger , 1898.

ثانيا: المراجع:

أ- باللغة العربية:

- ابن خروف (عمار)، **العلاقات الاقتصادية الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العشر هجري السادس عشر ميلادي**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

- ابن سودة (عبد السلام بن عبد القادر المري)، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997.

- ابن شقرون (محمد بن أحمد)، **مظاهر الثقافة المغربية – دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**–، دار الثقافة، المغرب، 1985.

- ابن منصور (عبد الوهاب)، **أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية، الرباط، 1979.

- الأرقش (دلندة)، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003.

- ألتر (عزيز سامح)، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود على عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

- بروفنصال (ليفي)، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب : عبد القادر الخلادي، دار المغرب للطباعة والنشر، الرباط، 1977.

- البلغيثي (آيسة الهاشمي)، **المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة**، مطبعة فضالة، المغرب، 1996.

- بوتشيش (إبراهيم القادري)، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ت.

- بوعزيز (يحي)، **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

- بوعزيز (يحي)، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

- بوهليلة (دريس)، **الجزائريون في تطوان خلال القرن 13هـ/19م**، مطبعة الهداية، تطوان،2012.

- التازي (عبد الهادي)، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطابع فضالة، المحمدية، المغرب، 1986.

- الترغي (عبد الله المرابط)، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة (- منهجيتها، تطورها، قيمتها العلمية-)**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

- جاد الله (منال عبد المنعم)، **التصوف في مصر والمغرب**، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت.

- الجمل (شوقي عطاء الله)، **المغرب العرب الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977.

- الجيدي (عمر)، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993.

- الجيلالي (عبد الرحمن)، **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- حجي (محمد)، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، مطبعة فضالة، المغرب، 1976.

- حجي (محمد)، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، ط 2، د م، 1988.

- حركات (إبراهيم)، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1994.

- حركات (إبراهيم)، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000.

- حساني (مختار)، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

- حسن (محمد عبد الغني)، **المقري صاحب نفح الطيب**، الدار القومية للطباعة والنشر، د م، د ت.

- الحفناوي (محمد)، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

- رزوق (محمد)، **دراسات في تاريخ المغرب**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

- سعد الله (أبو القاسم)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار البصائر، الجزائر، 2007.

- سعد الله (أبو القاسم)، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

- سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي-1500-1830م**، دار البصائر، الجزائر ، 2007.

- سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات **في تاريخ الجزائر الحديث- بداية الاحتلال-**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- سليماني (أحمد)، **تاريخ المدن الجزائرية**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

- السملالي (العباس بن إبراهيم)، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام**، مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993.

- السيد (كمال أبو مصطفى)، **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، د ت.

- شارف (رقية)، **الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م – دراسة تحليلية نقدية-**، دار الملكية للطباعة، الجزائر، 2009.

- ضيف (شوقي)، **تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات – الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان-**، دار المعارف، 1995.

- الطمار (محمد)، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

- عامر (محمود علي) وفارس (محمد خير)، **تاريخ المغرب العربي الحديث – المغرب الأقصى وليبيا-**، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق، د ت.

- عباد (صالح)، **الجزائر خلال الحكم التركي-1514،1830-**، ط 2، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.

- العيادي (محمد)، **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني**، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د ت.

- الغنيمي (عبد الفتاح مقلد)، **موسوعة تاريخ المغرب العربي -بني حفص وبني زيان وبني مرين وبني وطاس والسعديون وظهور الأشراف العلويين – دراسة في التاريخ الإسلامي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994 .

- القدوري (عبد المجيد)، **وقفات في تاريخ المغرب- دراسات مهداة إلى الأستاذ إبراهيم بوطالب-**، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2001،
- كريم (عبد الكريم)، **المغرب في عهد الدولة السعدية - دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية-**، ط2، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، د ت.
- كنون (عبد الله)، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، المغرب، د ت،
- المدغري (عبد الكبير العلوي)، **الفقيه أبو على اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية**، مطبعة فضالة، المغرب، د ط، 1989.
- المدني (أحمد توفيق)، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 -سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده -**، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- المنصور(محمد)، **المغرب قبل الاستعمار- المجتمع والدولة والدين-(1792-1822)-**، ترجمة محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
- الميلي (مبارك)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت.
- النظام (زهراء)، **العلاقات المغربية الجزائرية – مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/ 16م**، مطبعة الأمنية، الرباط، 2015.
- نويهض (عادل)، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.
- الورطاسي(قدور)، **معالم من تاريخ وجدة**، مطبعة الرسالة، الرباط، 1972،
- يحي (جلال)، **تاريخ المغرب الكبير -العصور الحديثة وهجوم الاستعمار-**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

ب- باللغة الأجنبية:

-BERQUE JACQUE, L'intérieur du Maghreb du 16éme siècle-19éme siècle , Gallimard, Paris, 1978.
- BELL ALFRED : Histoire et historiens de l'Algérie , Alan , Paris ,1931.
- BOYER PIERRE , La vie quotidienne a Alger à la vieille de l'intervention français , Imp nationale , Monaco , 1964.
- DE GRAMMONT, (D) : Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830) , Ernest Leroux , Paris, 1887.

ثالثا: المقالات:

أ- بالعربية:

- الأخضر (محمد)، " **الأدب المغربي على عهد الدولة العلوية، العصر الأول (1139-1171/1727-1757)**"، مجلة المناهل، العدد الأول، الرباط، 1974.
- بنصر (عبد الله العلوي)، "**الواقع الفكري في فجر الدولة العلوية**"، أعمال ندوة حول الحركة العلمية في عهد الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1995.
- جاب الله (طيب)، "**دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري** "، مجلة معارف، العدد 14، السنة الثامنة، 2013، د م.
- تاوشيحت (لحسن)، " **الحركة العلمية والثقافية بتافيلالت خلال عهد الدولة العلوية (القرنين 18و 19)**"، ندوة حول الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر

القرن التاسع عشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1995.

- حسني (عبد اللطيف)، "**العالم والسلطة في المغرب خلال القرن 19**"، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1995.

- حكمت (ياسين)، " **الغزو الاسباني لمدينة الجزائر في القرن السادس عشر- أسبابه، مراحله، نتائجه-**"، مجلة الأصالة، العدد 14-15، 1973، الجزائر.

- السايح (الحسن)، "**الثقافة المغربية في عصر السعديين** "، مجلة دعوة الحق، العدد 3، السنة السابعة، 1963،الرباط.

- سبقاق (الطاهر)، "**إسهامات الجزائريين في الحقل الثقافي السوري بين 1245-1332 هـ/1830-1914م**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 11، 2011، الجزائر.

- سيد أشرف (صالح محمد)، " **المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي**"، مجلة أمارباك (مجلة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا)، العدد 7، مج 4،2013، د م.

- شاهدي (الحسن)، " **الثقافة والفكر في العصر الوطاسي من خلال كتاب الأستاذ محمد بنشقرون- الحياة الفكرية المغربية تحت المرينيين والوطاسيين-**"، **مجلة دعوة الحق**، السنة 31، العدد 337، 1998، الرباط.

- شويتام (أرزقي)، " **العلاقات الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)** "، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، 2011، الجزائر.

- هلال (عمار)، " **العلماء الجزائريون في فاس ما بين القرنين العاشر والعشرين ميلادي 4/ 14 هـ** "، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، 1995، الجزائر.

ب- باللغة الأجنبية:

- BROSSLARD (Charles), «***Les inscription orales de Tlemcen , tombeaux des familles EL makari et EL Okbani*** » , in **R.A** , N° 5, 1861.
- GEORGUOS (AUGUSTE), « ***Notice sur le bey d'Oran Mohamed EL-Kabir*** », in **R.A** , N° 1 , 1856.
-ARNAUD (LOUIS), ***"Histoire de L'ouali sidi Ahmed EL-Tedjani ",***in **R.A** , N° 5, 1861**.**

رابعا: الرسائل الجامعية:

- بعارسية (صباح)، حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العشر هجري / السادس عشر ميلادي، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006.

- بودبية (أمحمد)، المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب – تلمسان وفاس نموذجا في القرن 10هـ/ 16 م، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2011.

- بوحسون (عبد القادر)، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008.

- خليل (كمال)، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر (1850-1951)، مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

- شدري معمر (رشيدة)، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر – فترة الدايات 1671-1830-، مذكرة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006.

- شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني- 1519-1830م-، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر(منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006.
- عبدلي (الأخضر)، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بيني زيان (633-962هـ /1236-1554م)، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005
- محرز (أمين)، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، مذكرة ماجستير،قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008،

خامسا: المعاجم والقواميس:

- الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.
- الزركلي (خير الدين)، الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين-، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.

الفهارس العامة

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس القبائل والجماعات

فهرس الأعلام:

- أ -

ابن جلال التلمساني 90-101-115.

ابن جيدة الوهراني 88-115-134.

ابن زيدان 94.

ابن زاغو المغراوي 18-19.

ابن زاكور الفاسي41-47-93.

ابن زكري 19-25.

ابن حمادوش 40-43-71-85-94-141.

ابن عسكر 90-102-115-116-132-136.

ابن غازي 31-65.

ابن مرزوق الحفيد 18-19.

ابن مرزوق الخطيب 18.

ابن الوقاد60-91-116120-121-135.

ابن يوسف المليانيي84-88-135-136-149.

أبو بكر بن يوسف السجتاني 117.

أبو تاشفين 22.

أبو حمو موسى الثاني 16.

أبو راس الناصري 43-50-83.

أبو زيد عبد الرحمن 21.

أبو القاسم الزياني 49-60..

أبو القاسم سعد الله 38-90.

أبو عبد الله الشريف الحسني22.

أبي عنان 27-33.

أبو موسى عيسى21.

أبو موسى المشدالي22.

أحمد بابا السوداني 92.

أحمد التجاني84-96-132-135-136.

أحمد بن عبد القادر الإغريسي 96.

أحمد بن عثمان التلمساني 95.

أحمد بن محمد العقباني 89.

أحمد الجيار الجزائري 108.

أحمد الرهوني 109.

أحمد العبادي 90-102-115132-134-148.

أحمد الفاسي 49.

أحمد المقري 56-91-93-102-103-120-122-124-128-133-139-140-148.

أحمد المنصور 34-55-56-57-58-102-103-115-128.

أحمد الورززي 40-43-94.

أحمد الونشريسي 87-114-126.

إسماعيل بن الشريف 63-92-104-105.

- ت -

التمقروتي 47-55.

التمنارتي 103-116-120-122-135-148.

- ح -

الحاج شعبان داي 63.

الحسن الوزان 57.

الداي حسين 80.

- د -

الدرعي 52.

- ر -

الرشيد 68-104.

- ز -

زيدان بن المنصور 60-103-120-139.

- س -

سعيد بن علي الهوزالي92.

سعيد العقباني 18-19.

سعيد قدورة 41-48-93.

- ص -

صالح باي 46-52-82.

صالح رايس 76-88.

- ع -

عبد الجليل التنسي 19.

عبد الرحمن بن إدريس التلمساني 95.

عبد الرحمن بن هشام 106-107-108.

عبد الرحمن بن الوقاد 93-103-122.

عبد الرحمن المجاجي 98-131.

عبد الرحمن الثعالبي 20.

عبد السلام بناني 53-94.

عبد العزيز بن الربيع الجزائري 107.

عبد القادر بن محمد الراشدي 95-121.

عبد القادر المجاوي 97-131.

عبد الكريم الفكون 49-78.

عبد الواحد الزقاق الفاسي 31.

عبد الواحد الونشريسي 87-89-114-115-121-122-127-138-148.

العربي المشرفي 97-129.

عمر المانجلاتي 4148-93-135.

العياشي 50-51.

عيسى بن محمد البطيوي 93-128.

- غ -

الغالب بالله 77-90-101-102.

- ف -

الفشتالي 55.

- ق -

قاسم العقباني 18-19.

القلصادي 23.

- م -

محمد أشعاش 107.

محمد بقطاش 82.

محمد بن عبد العزيز 107.

محمد بن عبد الكريم الجزائري 92-104.

محمد بن الكماد 56-93-105-116-134.

محمد بن هبة الله شقرون 58-90-102-121-122.

محمد بن يوسف السنوسي 20-86.

محمد النواتي 49.

محمد الخروبي 44.

محمد العقباني 140.

محمد الكبير 49-53-82.

المنجور 88-114-115-134-148.

محمد المري التلمساني 58-103.

محمد المشرفي 142-143.

محمد المهدي الشيخ 89-101-138-139.

محمد االهبطي 115-134-148.

- و -

الوفراني 56-92-104-105.

- ي -

يغمراسن 16.

فهرس الأماكن والبلدان.

- أ -

إسبانيا 21-52-63.

إفريقيا 53.

الأندلس 18-57-100-120.

- ب -

بجاية 17-18-23-26-46-52-81-82-93.

بطيوة 93.

بسكرة 23-51-52.

البليدة 66.

- ت -

تارودانت 60-91-92-102-115-116-120-122.

تافيلالت 61.

تطوان 30-59-105-106-107-108-109-123-134-141-142.

تلمسان 1417-18-19-21-23-40-44-45-46-66-68-76-77-81-87-89-90-91-92-93-95-98-102-128-130-131-132-133-134-135-137.

تنس 19.

تونس 18-19-22-25.

- ج -

الجزائر 15- 16- 17 – 18 – 20 – 21-22-23-24-25-26-37-38-39-40-41-42 – 43 –44-45-47-48 – 50 – 51 –52- 54 – 55 – 57 – 58 – 59 – 60 – 61 – 62 -63- 64-65 – 66 – 67 – 68 – 69 – 70 – 71 – 72 – 73 – 74 – 75 – 76 – 77 – 79 – 80 – 82 – 83 – 84 – 85 – 86 – 87 – 88 – 89 – 90 – 93 – 94 – 95 – 96 – 97 – 98 – 99 – 101 – 102 – 103 – 104 – 106 – 109 – 110 – 111 – 112 – 114 -116- 118 – 119 –121- 123 – 142 – 143-146-147- 148-149.

- ر -

الرباط 66.

- س -

سجلماسة 61-120.

سطيف 97.

سلا 29-66.

سوريا 92.

- ش -

شرشال 66

شفشاون 30.

- ط -

طنجة 97-101.

- ع -

عنابة 23.

العرائش103-139-140.

عين ماضي96.

- غ -

غرناطة 27-59-66.

- ف -

فاس29-30-31-34-40-43-55-56-59-60-66-81-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-101-104-105-114-115-116-120-123-127-128-131-134-136-138-140-142.

- ق -

القاهرة 92-120.

قسنطينة 17-23-48-49-52-81-93-97.

القليعة 66.

- م -

مازونة 23-51.

مدينة الجزائر 41-46-47-48-49-66-76-93-94-97.

مراكش18-34-55-57-58-59-60-66-91-92-95-102-103-127-128.

مصر 92.

المغرب الأقصى15- 22 - 24 - 25 - 26 - 27 - 29 - 31 - 32 - 33 - 34 - 35 - 36 - 37 - 38 - 39 - 40 - 43 - 43 - 45 - 48 - 49 - 50 - 51 - 53 - 54 - 55 - 56 - 57 - 58 - 59 - 60 - 61 - 62 - 63 - 65 - 66 - 67 - 68 - 70 - 71 - 72 - 73 - 74 - 75 - 79 - 08 - 81 - 82 - 83 - 84 - 85 - 86 - 87 - 88 - 89 - 90 - 91 - 92 - 93 - 94 - 95 - 96 - 97 - 98 - 99 - 101 - 102 - 103 - 104 - 105 - 106 - 107 - 108 - 109 - 110 - 111 - 112 - 113 - 114 - 115 - 116-117-118-119 - 120 - 121 - 124 - 129 -

-135-134-133-132-131-130
-141-140-139-138-137-136
-147-146-145-144-143-142
.149-148

مكة 19-92..

مكناس 29-31-40-60-120.

معسكر 49-50-66-96-97.

- و -

وجدة 61.

وهران 26-40-53-66-82-88-92-
97.

فهرس القبائل والجماعات.

- أ -

الأدارسة 23-55.

الأندلسيون 42 – 45 – 49 – 54.

- ب -

بني راشد 30.

بني زيان 14 – 15 – 16 – 20.

بني سليم 64.

بني المنظري 30

بني هلال 64.

- ح -

الحفصيين 16-22.

- ز -

زناتة 63.

- س -

السعديون 34-44-55-75-59-79-
90-99-101-104-137-140.

- ص -

صنهاجة 63.

- ع -

العثمانيون 15-19.

العلويون 44-55-79-99-104-137-
138.

- م -

المرابطون23.

المرينيون 15-16-22-27-28-31-
37-57.

الموحدون 23-65.

- و - الوطاسيون 30-31-32-
33-34.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة.....2

مدخل عام: الأوضاع الثقافية في الجزائر والمغرب الأقصى قبيل القرن 10هـ/16م.....15

I- الأوضاع الثقافية في الجزائر قبيل القرن 10ه/16م.....15

أولا: دور الزيانيين تفي تنشيط الحركة الثقافية 15

ثانيا: دور العلماء في النشاط الثقافي خلال العهد الزياني..... 17

ثالثا: المؤسسات العلمية والدينية.....21

II- الأوضاع الثقافية في المغرب الأقصى قبيل القرن 10هـ/16م..... 27

أولا: عناية المرينيين بالعلم والعلماء.....27

1- إنشاء المؤسسات العلمية والدينية.....27

2- عقد المجالس العلمية واستقطاب العلماء..... 28

ثانيا: أوضاع المغرب الأقصى خلال الحكم الوطاسي.....30

أ-تدهور الأوضاع الثقافية خلال الحكم الوطاسي..... 31

ب-نهاية الوطاسيين وظهور السعديين..... 34

خاتمة الفصل.....35

الفصل الأول: التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب في العصر الحديث.....36

I- مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى.....42

أ- طلب العلم والإجازة.....38

ب- المناظرات والمراسلات..... 42

ج- حركة الهجرة المتبادلة.....43

II- مراكز التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى.....45

1- المراكز الثقافية في الجزائر.....45

2- المراكز الثقافية في المغرب الأقصى.....54

III- العوامل المتحكمة في التواصل الثقافي بين البلدين.....61
أ- العوامل الجغرافية والبشرية.....61
ب- العوامل التاريخية والسياسية.....65
ج- العوامل الدينية والثقافية.....69
خاتمة الفصل.....73
الفصل الثاني : هجرة علماء الجزائر إلى المغرب الأقصى.....74
I- أسباب الهجرة ودوافعها.....74
1- الأسباب السياسية.....76
2- الأسباب الثقافية والعلمية.....81
3- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية.....85
II- تراجم لبعض علماء الجزائر في المغرب الأقصى.....87
أولا: علماء القرن 10هـ/16م.....87
ثانيا: علماء القرن 11و12هـ /.17و18م.....91
ثالثا: علماء القرن 13هـ/19م 95
III- مكانة علماء الجزائر في المغرب الأقصى وموقف الحكام منهم.....99
أ- موقف حكام الدولة السعدية.....101
ب- موقف حكام الدولة العلوية.....104
خاتمة الفصل.....109
الفصل الثالث: النشاط الفكري لعلماء الجزائر في المغرب الأقصى.....110
I- مساهمة علماء الجزائر في النشاط الفكري بالمغرب الأقصى.....112
أولا: التدريس 113
ثانيا: القضاء والإفتاء.....118
ثالثا: الإمامة والخطابة.....121
II- مآثر علماء الجزائر في المغرب الأقصى.....123
اولا: المآثر المادية :.....123

1- التأليف.....123
2- الإجازة.....131
ثانيا: المآثر المعنوية.....134
أ- تكوين العلماء وطلبة العلم.....134
2- المناقب الصوفية.....135
III- مواقف بعض علماء الجزائر من أحداث المغرب الأقصى وقضاياه..... 137
1-عبد الواحد الونشريسي وبيعة السلطان السعدي أحمد الشيخ.....138
2-أحمد المقري وقضية العرائش.....139
3-ابن حمادوش الجزائري وثورة الريفي.....141
4-محمد المشرفي وحرب تطوان.....142
خاتمة الفصل.....144
خاتمة.....146
الملاحق.....150
المصادر والمراجع.....172
الفهارس العامة.....186
فهرس الأعلام.....187
فهرس الأماكن والبلدان.....190
فهرس القبائل والجماعات.....193
فهرس المحتويات.....196